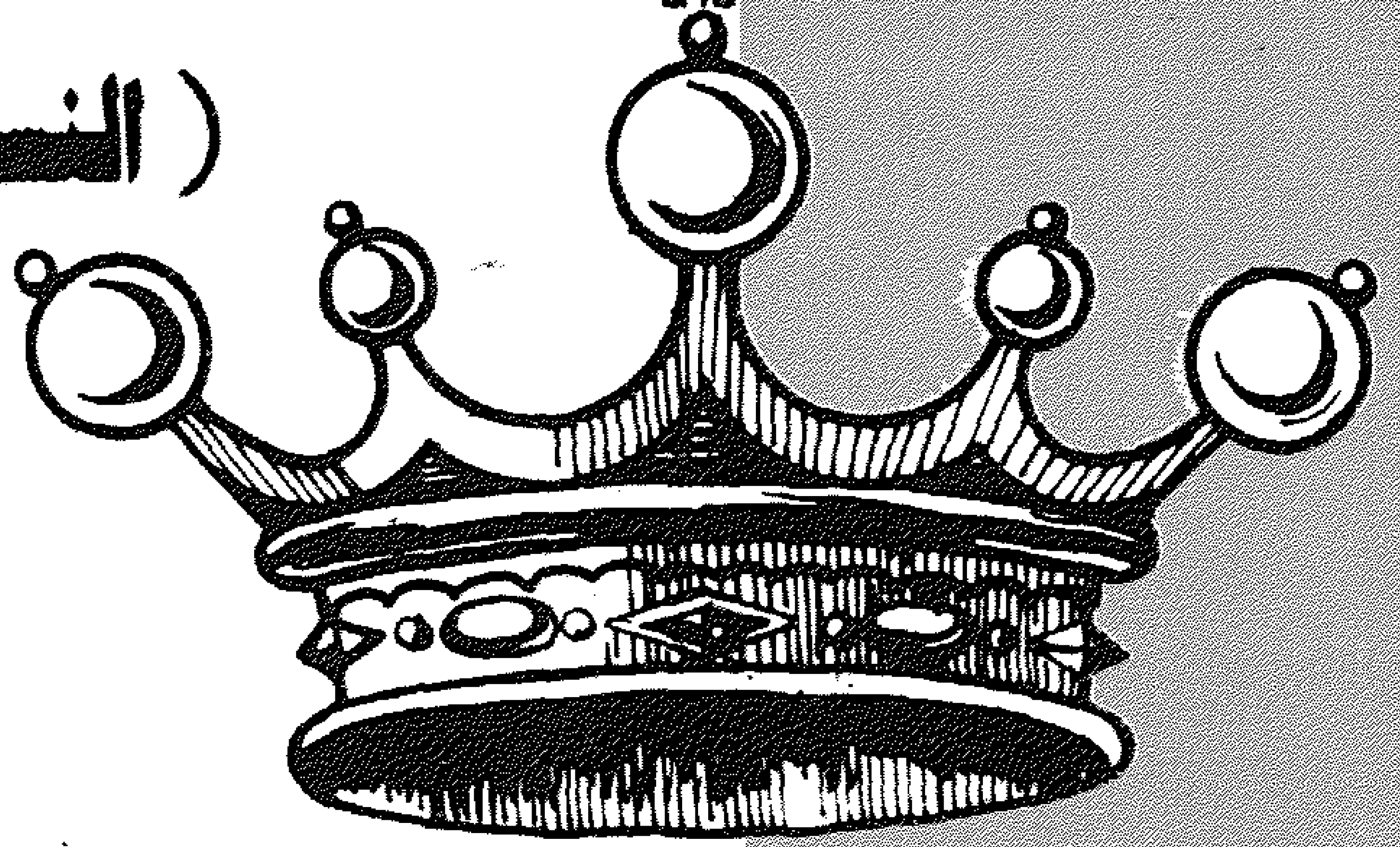
حسام عبد الهادي

السيدة الرئيسة... السيدة الجاسوسة

(النساء في عالمي الحكم والجاسوسية)





- نساء حكمن عالم الرجال:
«أشهر الملكات والحاكمات في التاريخ
من كليوبترا في مصر
الى شامورو في نيكاراغوا»

- أبرع جاسوسات القرن العشرين .

- أسرار النساء:
العجائب والعادات، التقاليد والامثال.

دار الحسام
للطباعة والنشر والتوزيع

السيدة الرئيسة..
السيدة الجاسوسة

السيدة الرئيسة..
السيدة الجاسوسة

● إعداد حسام عبد الهادي

دار
الحسام
للطباعة والنشر والتوزيع

● السيدة الرئيسة/ السيدة الجاسوسة
(النساء في عالمي الحكم والجاسوسية)

● إعداد حسام عبد الهادي
وسيد صديق عبد الفتاح

● الطبعة الثانية: حزيران ١٩٩٢م

دار الحسام
للطباعة والنشر والتوزيع
أول اوتوستراد سليم سلام (زقاق البلاط) ـ بناية السراي
ص.ب ١٤/٥٣٩٢
فاكس رقم ٠٠١٢١٢٤ ٤٤٨٠٥٦
بيـروت ـ لبنـان

تمهيد

لماذا التركيز الآن على دور المرأة وبكل ما لعبته في الحياة السياسية أو الاجتماعية أو المخابراتية في هذا العالم سواء في عصرنا الحديث هذا أم في العصر القديم.

هل كل ذلك له علاقة بحقوق المساواة وبعدالة أن تأخذ دورها هي كما أخذ هو دوره على مر العصور.

هل كل ذلك له صلة ما بالصعود النسائي للسلطة الذي نشهده حالياً في أكثر من بلد وقارة فاجادت إدارة اللعبة السياسية كما أجادها الرجل بل أفضل وأحسن في أكثر من حالة.

كل ذلك قد يكون صحيحاً وهاماً لكن الأهم من كل تلك المبررات أن أحادية الاحتكار للسلطة قد ولّى إلى غير رجعة ومع توسع المساحة الديمقراطية لتشمل أكثر بلدان العالم اضحت المرأة منافساً حقيقياً للرجل لكسر قاعدة أن المرأة خلقت للمنزل وللحضانة ورمزاً من رموز الإثارة للرجل وخلافه.. وإن الرجل الذي عُرف بالشدة والقسوة والحزم وعدم استطاعة المرأة مجاراته بتلك الطبائع، هذه الخصائص أثبتت المرأة قدرتها بدورها على امتلاكها فخاضت وما زالت معاركها سواء الداخلية أو الخارجية بنفس «همجية» الرجل بل أكثر.

أنديرا غاندي، بنازير بوتو، مارغريت تاتشر، كورازون أكينو، شامورو، جميعهن تلوثت أيديهن بالدماء في حروب مع الآخرين وجميعهن أيضاً ثبتن في مواقعهن بالقسوة والحزم والشدة التي تتطلّب «هيبة الحكم» التمسك بها.

لكن المفارقة هنا أن معظمهن أتين من صراخ الدم بالثأر للزوج أو للأب. فكان جواز المرور للوصول للسلطة وللحكم.

شجرة الدر حكمت البلاد بعد مقتل زوجها الملك نجم الدين أيوب واستطاعت دحر جحافل الغزاة عن أرض مصر واجتمعت مصر كلها على دعمها وتأييدها لتكون ملكتهم العتيدة لكن أمير المؤمنين المستعصم بالله رفض توليتها قائلاً: «أن لم يكن عندكم رجال فباستطاعتنا إرسال العديد منهم لمصر لتختاروا أحدهم ملكاً «عليكم».

وغاب حلم شجرة الدر أن تكون الملكة بعد اجماع مصر عليها لتقع بعدها مصر في مستنقعات القتل والمؤامرات وأبواب مشرعة على كل التدخلات والهجمات والمطامع الاستعمارية ولتكون شجرة الدر بالتالي ضحية أنوثتها وغيرتها للاحتفاظ وحيدة بزوجها.

كليوبترا أيضاً حكمت مصر قبل الميلاد وأجادت لعبة الحكم كما أجادت استغلال فتنتها وجمالها للإيقاع بقياصرة روما لكنها أيضاً ذهبت ضحية عشقها لحبيبها أنطونيو الذي انتحر أخيراً فلحقت به.

انديرا، بنازير، كورازون وشامورروا كلهن برزن في العصر الحديث. غابت انديرا التي حكمت سابع أكبر بلد في العالم بعد أن أثبتت أنها «رجل الهند القوي» بفعل التعصب الطائفي حيث أرداها اثنان من حرسها الخاص من طائفة السيخ.

وبنازير كما كورازون وشامورروا حملن نعوش قتلاهم وأحبائهم وقررن الثأر وخضن مستنقع الدم وصراخه من أجل الانتقام للوالد أو للزوج منهن من سقطن ولم يستطعن الاستمرار أما الباقيات فتمسكن بالسلطة حتى إكمال المسيرة رغم كثرة المصاعب والمعوقات.

وحدها مارغريت التي لا دخل لها بعالمنا الثالث حيث لا تكاد تخلو حلبة السياسة عندنا من القتل والدم والتزوير، خرجت من القمقم وحكمت بلاد الانجليز أحد عشر عاماً أجادت خلالها وبرعت بل وقاتلت بشراسة الإيرلنديين الانفصاليين والارجنتيين في حرب الفوكلاند وشاركت في أكثر من حرب «خفية» وكادت أن تُقتل في أكثر من محاولة للتخلص منها.

اليست هي القائلة: الكلمة للرجال والفعل للنساء.

وفي الشق الآخر برز دورهن وبشكل رئيسي وأساسي في لعبة التمهيد للحرب أو لإبعاد خطرها كجنود مجهولين مغروسين في كل أنحاء العالم. يجمعن ما تيسر من المعلومات والوثائق والأسرار ويغيرن الكثير من التحالفات والصداقات وحتى تفريق الأخوة والحلفاء حتى إنه قيل وفي هذا الكلام الكثير من الصحة والمصداقية إن حروب المخابرات هي معارك النساء الفضلى.

ماتا هاري، كريستين كيلر، آمي ثورب وايلكا فالك وغيرهن الكثير الكثير ممن يسلط الضوء عليهن في هذا العمل المتواضع ألم يكنّ جميعاً على مستوى الثقة بهن باداء العمل الناجح لمرؤوسيهن متحملات شتى أنواع المخاطر والأهوال.

وبغض النظر عن الميول والمعتقدات والدوافع والوسائل أخلاقية كانت أم غير أخلاقية ومهما كان ثمنها لدى أي منهن للقيام بما قامت به، اليست الإجادة للمهنة في حد ذاتها مبعث تقدير وإعجاب للكفاءة العالية التي عملت بها أكثر من جاسوسة في غيز موقع، مما جعلها شريكة هامة في حمل وزر الحروب وآثارها ومتاعبها وممهدة بالتالي لعمل عسكري ما هنا أو مهمة تفتيش عن «كنوز المعلومات» هناك أو أمر بالقتل والتصفية لأحد غير المرغوب فيهم.

لسنا هنا بالتأكيد لإعطاء شهادة حسن سلوك لاحداهن ولا حتى لنظافة العمل الذي قمن به فبالنهاية كل مواطن سيذكره وطنه ومواطنيه في كل عمل أجاد به خدمة لبلاده ولأمته وحفظ من خلاله تراب واستقلال بلده من عبث الآخرين وسيلعنه وطنه وأمته في كل عمل سخر نفسه عميلاً في خدمة مصالح الآخرين على حساب أمن واستقرار وكرامة وطنه وامته.

إنما هدفنا كله انصب على تسليط الأضواء على مخاطر ورعب هذه المهنة «القذرة» مع التركيز على بعض النماذج الهامة في تاريخها، والتي بلا شك كانت إنجازاتها وراء كل الأعمال الحربية الناجحة أو التغييرات التي مرت في أكثر من بلد في العالم.

إن شعار عدم التدخل المباشر في الشؤون الداخلية لأي بلد من قبل الآخرين قد يكون هنا صحيحاً لكن خلف هذا الشعار طوابير من الجواسيس تدخل لتخرب وتقتل وتقلب حكومات وتعين مكانها ازلاماً لها كل ذلك يتم خدمة لمصالح الكبار على حساب استقرار وأمن مصالح الصغار في حرية العيش واختيار نظم حياتهم السياسية والاجتماعية.

أما بعد..

هذا الكتاب بكل ما يتضمن نفتخر بتقديمه للقارىء العربي علنا نضيف إلى مكتبته عملاً جدياً وهادفاً.

الناشر

مقدمة:

سيدتي الرئيسة. من وماذا يصنعك؟

تكثر الوجوه النسائية في الكرسي الأولى والثانية. تذهب وتأتي، ومنها ما يبقى وإن راح. لكن ظروف مجيئها تختلف باختلاف المحيط ودرجة النضج المجتمعي والفردي. في البلدان الآسيوية يصعب أن تأتي امرأة تحني رؤوس الرجال ما لم يسبقها إرث يمهد لها، ويمتد من الجد إلى الأب أحياناً. ويواكب العمل السياسي مال كثير لا تسير السياسة بدونه. لكن الرجل وحده لا يدخل المرأة نادي رئاسة الوزارة أو الرئاسة. لا بد بالطبع من قدرات ذاتية تلائم هذا النوع، والتدرب عليه والتعرف إلى كواليسه جيداً. إنه مجال تنافسي يزدهر فيه العداء والتجني، ويتطلب قدرة على رؤية شاملة للأمور التي تطول شعوباً بأكملها.

في عام ١٩٠٠ كانت نساء نيوزيلاندة فقط يتمتعن بحق الاقتراع. ونالت المرأة تدريجاً حقوقها السياسية من كفاح اختلفت نسبة مرارته بين بلد وآخر. فلم يبق غريباً رؤية النائبات والوزيرات ورئيسات الوزارة والرئيسات. ويظل لافتاً أن النساء قلما بلغن أعلى المناصب.

في روسيا تشكل النساء نصف المجموعة السياسية المنتجة. ويرتفع عدد النائبات في أسوج. وفي الولايات المتحدة تجهد النساء للوصول إلى حقوقهن، لكن لا تتبوأ كثيرات مناصب سياسية، وهن دخلن مجلس الشيوخ ورشحت جيرالدين فيرارو نائبة للمرشح للرئاسة ولتر مونديل في ٨٤، ورونالد ريغان ما كان رئيساً لولا نانسي، وباعتراف بعض كبار الموظفين في إدارته. والفرنسية سيمون فيل كانت رئيسة المجلس البرلماني الأوروبي والألمانية آن ـ ماري رانجر رئيسة «البوند ستاغ»، البرلمان في أوروبا الغربية.

نتناول هنا سيدات وصلن إلى الحكم منذ القِدم. فالآسيويات منهن ورث معظمهن الكرسي عن الأب أو الزوج، والأوروبية وصلت بمهارتها ولكن بعد تدرّب سياسي بتمهيد من الأب وتشجيع من الزوج. ما عدا الملكات منهن حيث ورثن المُلك

عن الأب أو الأخ أو الجد أكثرهن أرامل، دخلن العالم الذي يعتبر تقليدياً للرجل وبرهنَّ عن قُدرة تختلف من واحدة إلى أخرى.

أنديرا غاندي، غولدا مائير، مارغريت تاتشر، بنازير بوتو، كورازون أكينو، وشامورو وقبلها باندرانايكه أسماء لمعت في عالم السياسة وأحدثت تغييرات جذرية في الأنظمة، لا سيما على الصعيد المحلي لكل بلد

ففي وقت يتبع المجتمع الإنساني أو البشري منذ فجر التاريخ، نظام الأبوة Société Patriarcale، برزت المرأة كعنصر فعّال ومسؤول في المجتمع وتبوأت أرقى المراكز والمسؤوليات ولا سيما في حقل السياسة والاجتماع.

وجهدت المحللات في علم النفس، الأميركيات، أمثال Caren Horney و Juliette Mitchell في مساندة الحركة النسائية في العالم، فكتبن كثيراً في مجالاتهن، خصوصاً في ضوء الفكرة السائدة في القرن العشرين أن «المرأة ولدت لتكون مطواعة». ولا يخفى عنهن أن مثل هذه الفكرة، أطلقها العالم النفسي «فرويد»، فجعل المرأة خاضعة في المجتمع، سواء لزوجها أو لأولادها أو للتقاليد الموروثة والعادات، وبالتالي حجّم دورها في المجتمع.

ومع تطور المجتمعات وتقدمها، نشأت في العالم «حركة النقّاد النسائيين» وهي تضم المناهضين لفكر «فرويد» ونظريته في دور المرأة، فبرهنوا أنه كان على خطأ وأوضحوا أن «دور المرأة إنما يتحدد من خلال المجتمع الذي تتبعه، والتقاليد التي يفرضها، وهي قادرة على القيام بكل الوظائف وفي شتى المجالات».

إن الشعب ينتظر تغييراً معيناً وقد يكون في انتظار المرأة حيث تدخل الحقل السياسي من بابه الأوسع وبمفهوم مغاير. محذرين من تدخل المرأة، بمفهوم تبعي، في السياسة، كما حصل مع بنازير بوتو التي خسرت معركتها السياسية لتمسكها بنهج زوجها السياسي وبالتالي، عدم تحرير مجتمعها من نظرة التبعية».

وفي المقارنة نرى أن مارغريت تاتشر، برعت في رئاسة الوزارة ونجحت في قيادة بريطانيا وانتشالها من حال الفوضى والانهيار الاقتصادي الهائل، الذي كان يسودها. فالإعجاب بها خاص ومما ساعد على نجاحها، وجود ملكة على رأس بريطانيا وتأهيل المجتمع لتقبل هذه الفكرة.

النساء الحاكمات في العالم

ستؤدي الاستقالة المعلنة لمارغريت تاتشر بعد أكثر من أحد عشر عاماً على رأس الحكومة البريطانية وبعد رحيل بنازير بوتو (٣٦ عاماً) رئيسة الوزراء الباكستانية من كانون الأول ١٩٨٨ حتى آب ١٩٩٠ إلى خفض عدد النساء الحاكمات في العالم.

وضربت رئيسة الوزراء البريطانية تاتشر (٦٥ عاماً) منذ عام ١٩٧٩ الرقم القياسي في هذا المنصب خلال هذا القرن.

وتبقى ثماني نساء يحكمن في العالم حالياً:

ايسلندا: فيغديس فينبو غادوتير (٥٩ عاماً) وهي رئيسة منذ عام ١٩٨٠. أعيد انتخابها عام ١٩٨٨ بغالبية ٩٣ بالمئة من الأصوات.

الفيليبين: كورازون أكينو (٥٧ عاماً) أرملة زعيم المعارضة بينينيو أكينو الذي اغتيل عام ١٩٨٣ لا تزال منذ أربع سنوات تتولى الرئاسة رغم محاولات الإطاحة بها.

الدومينيك: ماري أوجينيا تشارلز (٧٠ عاماً) رئيسة وزراء الجزيرة منذ عام ١٩٨٤.

جزر الأنتيل الهولندية: ماريا ليبيريا بيترز (٤٨ عاماً) رئيسة الوزراء منذ عام ١٩٨٤. أعيد انتخابها عام ١٩٨٨.

نيكاراغوا: فيوليتا تشامورو (٦٠ عاماً) فازت في شباط ١٩٩٠ بالانتخابات الرئاسية ضد الزعيم الساندينى دانيال أورتيغا.

هايتي: أرتا ـ باسكال ترويو (٤٣ عاماً) قاضية في محكمة التمييز عينت في آذار ١٩٩٠ رئيسة لحكومة موقتة.

إيرلندا: ماري روبنسون وهي محامية (٤٦ عاماً) كانت أول امرأة تصل إلى الحكم في التاسع من تشرين الثاني ١٩٩٠ إلى سدة رئاسة جمهورية إيرلندا.

النروج: غرو هارليم بروندتلاند (٥١ عاماً) طبيبة عينت وللمرة الثالثة في الثالث من تشرين الثاني الجاري رئيسة للوزراء.

ثورة النساء
السلطة، السلاح، الكلمة

الحق يقال، إن النصف الثاني من القرن العشرين شهد انتفاضة نسائية واسعة، خاصة على صعيد تسلم زمام السلطة والحكم، بحيث أظهرت النساء قدرة قوية على اتخاذ القرارات الصعبة خلافاً لما قيل عنهن في الماضي، بحيث اعتبرن كآلات للإنجاب أو رمز للإثارة والجنس.

مهما اختلفت الأديان والمعتقدات، ومهما اختلفت البلدان والمناطق سواء أفي الشرق أم في الغرب، يبدو أنه على النساء حتى اليوم وجوب الدفاع عن حرياتهن ووجودهن.

عشرون سنة مرّت على الثورة النسائية، والسؤال المطروح أين أصبحن اليوم؟ من إفريقيا إلى أوروبا ومن آسيا إلى أميركا، ترى ما هي النتيجة؟ الحق يقال إنهن لم يصلن إلى تحقيق كامل حقوقهن، وبالنسبة إليهن لم يكتسبن شيئاً بصورة أكيدة ومضمونة.

في جمهورية إيرلندا كما ذكرنا سابقاً تمّ انتخاب امرأة تُدعى «ماري روبنسون» رئيسة للبلاد، للمرة الأولى. سيدة أخرى تُدعى «شارون برات ديكسون» أصبحت رئيسة بلدية واشنطن العاصمة الاتحادية للولايات المتحدة الأميركية.

سيدة ثالثة «آن ريتشاردس» ستحكم تكساس أرض الكاوبوي.

وفي فرنسا في ضاحية «انجير» تمكنت خمس شقيقات بين سن الـ ١٩ و ٢٧ من خرق قانون الصمت وتضامنا معاً ضد الدهن الذي أساء التصرف معهن في فترة طفولتهن.

وتدريجياً يبدو أن النساء بدأن باستلام السلطة ومن ثم السلاح والكلمة.

النساء يملكن «نصف السماء» يقول ماو الزعيم الصيني. في حين، أنه يجب

الاعتقاد بأن الآلهة لم تقسم السماء إلى قسمين متوازيين. ذلك، أنه في الصين، تهيمن سياسة تقليدية صارمة تفرض على العائلات اتباع أصول بدائية، وتفضل الصبي على الفتاة، وتعتبرها رقماً إضافياً لا قيمة له.

في التيبت، تجبر النساء على الإجهاض أو العقم بالقوة «ولا يتردد الصينيون في إجهاض النساء الحوامل في الشهر الثامن، ولا يتبعونهن في الجبال حيث يحاولن الوضع».

في الهند، هناك ٢٥٪ من الفتيات، يعاملن بسوء، ويقتلن قبل بلوغ سن الخامسة عشرة. لأن الفتيات يكلفن غالياً بسبب المهر المرتفع (الدوطة). وفي الولايات المتحدة تعتبر النسبة الكبرى من السكان من الجنس الأنثوي.

إلى متى، ستتمكن النساء من الاستمرار في مشاهدة وتحمّل حقوقهن المسلوبة، وإلى متى ستبقى النسوة والفتيات تحت ضغط العنف والعزل والبيع هنا وهناك؟ إلى متى ستبقى النساء محرومة من الأمومة في بعض أقطار العالم، ومتهمة بالإجهاض في أماكن أخرى؟.

ومن بلد إلى آخر، تبقى حقوقهن متفاوتة، لذلك لا بد من تسليط الضوء على ذلك الميدان الذي يلعب فيه الرجال دوراً مهماً وهم ينادون تارة الله وطوراً المسيح، والذي شمل نسوة من مختلف أقطار العالم، ومختلف المناطق والأنظمة والأديان، وفي كل مكان تخضع النساء فيه لضغوط التقاليد والأديان والمعتقدات.

في بلدان العالم الثالث، تقيد الأصولية الدينية النساء وتحاصرهن وتمنعهن من التحرر.

في إفريقيا تقول إحداهن وتدعى «ميشال لولو» ان الإفلاس الاقتصادي تقع نتيجته في الدرجة الأولى على الفتيات على اعتبار أنه يتم إخراجهن من المدارس من أجل إخضاعهن للقيام بمهنة أو عمل يدرّ على العائلة بعض الأموال.

حتى الحروب ينتج عنها آثار ثانوية بالنسبة للنساء أو العكس، فأحياناً يدفع الجنس اللطيف والضعيف الثمن غالياً نتيجة أحد الانقلابات السياسية.

إن عدوى الحرية تنتقل بين بلد وآخر، حيث يعتبر الغرب المثل الأعلى لجميع

نساء العالم. فلا تكاد فتاة شابة تحصل على إجازة أو شهادة في أي مكان من العالم، حتى تحلم بالحصول على حريتها، خاصة حرية العمل والكلمة تشبهاً بفتاة نيويوركية أو اسكاندينافية، أو باريسية.

الغرب دائماً في الطليعة، لكن من يعلم ما هي معاناة النساء في الغرب؟ وإذا تعمقت في أوضاعهن ترى عدم الرضى على وجوههن. ففي الولايات المتحدة كما في أوروبا يبقى متوسط الدخل النسائي أقل من ٣٠٪ بالمقارنة مع مداخيل الرجال، وبالتالي تستنتج النساء أن استقلاليتهن وحريتهن تكلفهن غالياً ولا تدرّ عليهن أي شيء يذكر، ذلك أنه كيف يمكن للسيدة أن توفق بين حياتها العملية وحياتها المهنية؟ ويطرح السؤال مجدداً، هل أعطت الثورة النسائية نتيجة سلبية أم إيجابية؟.

البعض من النساء اعتقدن أنه إذا استلمن الحكم سيبدلن العالم، ومثالهن على ذلك هي مارغريت تاتشر وبنازير بوتو، ولكن بالرغم من تمتعهن بكامل حقوقهن بقين عرضة للمضايقة والتعدي والإهانة. وفي فرنسا سيتم التصويت قريباً، على قوانين وتشريعات للحد من هذه الإهانات والتحقيرات.

غير أن ما يكون حقاً في بلد يبدو واجبا في بلد آخر، وهكذا تنمو المطالب وتزداد تدريجاً فترى النساء يطالبن أولاً بالاحترام، ثم بالمساواة وصولاً حتى السلطة، أما اللواتي يكنّ أكثر تطوراً فإنهن يشددن على حريتهن في اختيار أدوارهن.

ظروف أخرى للوصول إلى السلطة:

أما أشكال الوصول إلى السلطة فمتعددة، وذلك عن طريق الزوج أو الحبيب. والمثال على ذلك هو الزعيم الأرجنتيني الراحل بيرون. فلو لم تدفعه زوجته إيفا وتقدم له النصائح، لم يصل من دون شك لاستلام زمام السلطة في الأرجنتين.

مثال آخر على ذلك هو الزعيم السوفياتي «ميخائيل غورباتشوف» الذي يتأثر كثيراً بزوجته رايسا، وأيضاً في تشيلي حيث يقال إن «لوشيا بينوشيه» زوجة الديكتاتور التشيلي، هي التي دفعته لاستلام السلطة سنة ١٩٧٣ وتقول «لو كنت مكان زوجي، كنت تصرفت بقساوة أكثر».

وسواء وصلن إلى السلطة بصورة مباشرة أو عملن على إيصال أزواجهن إلى

السلطة، يعترف البعض أن التضحية ومضاعفة العمل يؤدي بالسيدات إلى النجاح في مختلف الميادين. ويذكر أن البعض منهن اشترك في العصابات المسلّحة: «إذا وجدت نفسك في مواجهة عصابة من الإرهابيين، عليك قتل المرأة أولاً وإلا اعتبر نفسك رجلاً ميتاً».

ويذهب حب التسلط والقوة ببعض النساء إلى الانتساب والاشتراك في العصابات المسلحة، وهنّ غالباً ما يثرن اهتمام رجال الشرطة والأمن نظراً للخطورة التي يبرزنها.

من أي مصدر تستمد النساء هذه القوة؟ يقول أحد الاختصاصيين والخبراء في محكمة التمييز الفرنسية ويدعى «هنري بيزيه» ان سبب التحدي ومواجهة الصعوبات والنجاح الذي تحققه السيدات عائد إلى إثبات مساواتهن بالرجال، ورغبة في الاستقواء عليهم واحتلال مراكز هامة. لكن الشيء الأكيد هو أنه عندما يردن تحقيق مشروع معين، لا يطلبن سوى الامتياز أكان في الفشل أم في النجاح.

شبه الجزيرة، حيث النساء حاكمات:

في ذلك المكان، وهو عبارة عن شبه جزيرة تدعى «تريكيري» تقع على ضفاف «بحر إيجه»، الرجال يجرون والنساء تصدر الأوامر، ترى ماذا يحصل هناك، في تلك النقطة من العالم؟.

إحداهن تدعى «إيليني» شقراء، تبلغ من العمر ٣٣ سنة تعمل كقاضية محلّفة: «هنا، لا يقوم الشباب بطلب الفتيات للزواج». فالرجال هنا، يعملن والنساء يحكمن: «إنهن ملكات القرية»، القرار وحده يعود لهنّ!! ويشمل تربية الأولاد والأعمال المنزلية وشراء الأراضي، والتحكم بمصاريف ومداخيل العائلة. أما الرجال فيعودون إلى المنزل بعد رحلة صيد بحرية طويلة وبعد غياب يدوم أسابيع عدة.

والمضحك أنه قبل الزواج وخلافاً للعادات، يسكن الزوج في منزل زوجته، لأن الفتيات هن اللواتي يرثن الأراضي والأملاك والمنازل، أما الرجال فيرثن القوارب ومعدّات العمل.

وتقول إيليني: ورثت عن جدتي المنزل الذي أقيم به وسأورثه إلى ابنتي عند

زواجهـا وتضيف، سكن زوجي في منزلي ونـام في سريري منـذ لحظة الخـطوبـة، إنها العادة والتقاليد في «تريكيري».

وهكذا تبقى الفتيات في منازلهن وينتقل الرجال إلى منازل أخرى، لذلك تفضل العائلة الفتاة على الشاب لأنها تعتـبر أنه سيـترك المنزل ليتبـع زوجته، وغـالباً مـا يعود اختيار الصهر إلى الوالدة ويبقى دور الوالد صـورياً، وحتى في الحيـاة العامـة والعملية فإن القرار يعود لها وحدها. فمثلاً «عندما يطلب إلى أحد الرجال القيام بعمل ما، يرد بالقول أنا لا أعرف شيئاً، اسألوا زوجتي؟» يبدو أن المرأة في «تريكيري» هي أكثر ذكاء من الرجل، أما إذا حل الخلاف بين الزوجين، فإنه هـو الذي يـترك المنزل ويعـود إلى والديه.

نعم، إن النساء يحكمن وعلى الرجال فقط العمل وجلب الأموال.

الله ليس عدو المرأة:

من أجل إثبات هذا الأمر أجرت مجلة «اكسبرس» حواراً مع أحـد رجال الـدين وهو المونسنيور «إيليو سفريسيا».

* الكنيسة: هل هي عدوّة المرأة، نعم أو لا؟؟

ـ أبـداً، بل عـلى العكس، فإن «عـداوة المرأة» هي إحـدى خصائص الثقـافـة الشرق أوسطية حيث يأتي الرجل من لدن الآلهة والمرأة من لدن الشيطان.

وتعتـبر التوراة أن الله خلق الـرجل والمـرأة معاً، لكن الشيـطان أغـوى حـواء، وعنـدها اعتـبرت المرأة مخلوقـاً ضعيفاً وعـديم المسؤولية، لكن الحق يقـال إن التـطور وتغيير المعتقدات جاء مع ظهور المسيحية حين بدأت المساواة بين الرجل والمرأة.

* لماذا تصرّون على منع الأساقفة من الزواج؟

ـ إن ذلـك يجري تـطبيقاً لتعـاليم المسيح. إنـه هو الـذي طلب من رسله ترك العائلة وتكريس أنفسهم له.

* لماذا لم تتدخل الكنيسة في وجه وسائل منع الحمل والإجهاض؟

ـ الكنيسة ترفض كـل إجراء تكـون نتيجته القضـاء على حيـاة إنسان ولـو كان .

جنيناً، لكنها في المقابل لا تلزم النساء بإنجاب عدد كبير من الأولاد. إذ الكنيسة ليست عدوة المرأة.

لقد أعطت بوتو الثورة النسائية دفعاً قوياً وذلك بعد وصولها إلى سدّة الحكم في بلد إسلامي ولكنها بعد عشرين شهراً من استلامها الحكم، أقيلت من منصبها، ترى هل السبب سياسي أم لكونها امرأة؟.

مجلة «اكسبرس» أجرت معها الحوار التالي:

* هل تعتقدين أن سبب الإقالة هو كونك امرأة؟

ـ لا أعتقد أن هذا هو السبب، لأن المعارضة السياسية اعتمدت على أكاذيب لا أساس لها من الصحة، حتى لو كنت رجلاً، لكانوا تصرفوا بالطريقة ذاتها، إضافة إلى أن بعض وسائل الإعلام يعتبر أن زوجي يسيطر على مشاعري ويقيدني.

* هل أحببت السلطة يوماً؟

ـ أحب السياسة، ورثتها عن والدي، إنها وسيلة للتضحية من أجل الوطن، وللقيام بالواجب تجاه الشعب.

* ماذا فعلت من أجل المرأة؟

ـ في باكستان، تعاني النساء مشاكل عدة. تدني فرص العمل أولاً، صعوبة المواصلات ثانياً، وغيرها من المشاكل الاجتماعية. لقد ساهمت في إنشاء مصرف للنساء، تديره فقط النساء ومخصص لهنّ.

* هل تعتبرين أن ازدياد الأصولية الإسلامية عبر العالم سيقف حاجزاً أمام تحرير المرأة؟

ـ هذا يتعلق بأي إسلام تتحدثون عنه. فهناك أنظمة ديكتاتورية لا تعترف بحرية المرأة شخصياً، أنا أؤيد الإسلام المتطور والمنفتح الذي يعترف لمساواة المرأة والرجل أمام الله عزّ وجلّ. وهناك عدة بلدان تدخل ضمن هذه الفئة وهي مصر والأردن واليمن وباكستان.

من كليوباترا في مصر إلى شامورو في نيكاراغوا

I

السيدة الرئيسة/ النساء في عالم الحكم



كليوباترا

(٦٩ - ٣٠ ق م)

ملكة مصر عام ٥١ ق.م.

انحدرت من أسرة البطالسه الملوكيه أما عائلتها فانغمست في الرذيلة والفجور. فكان يعرف عن والدها بوحشيته الفظيعة ووالدتها بالشقية الظالمة أما شقيقاتها فانتهى بهن الأمر إلى قتل بعضهن البعض.

حُكم والدها لم يدم طويلاً إذ سرعان ما لفظه الشعب فاستعان بالرومان لاسترداد عرشه بعد أن قتل ابنته الكبرى التي نصبت مكانه.

بعد وفاة والدها الملك وكان قد أوصى بالمُلك قبل وفاته لابنته كليوبترا وكانت لم تبلغ بعد السادسة عشر من عمرها ولأخيها الصغير بتولمي تم تعيين وزيرا الحكومة بوتنيوس واشلس كوصيين على كليوبترا وشقيقها.

عمد الوصيان إلى افصاء كليوبترا للاستفراد بالحكم وتعيين شقيقها ملكاً صورياً. أما كليوبترا فلقد توجهت إلى سوريا لتثير الجيوش هناك لمحاربة شقيقها ولاستعادة عرشها.

استطاعت حشد بعض الأنصار لها مقابل حشود أنصار شقيقها.

تقربت إلى يوليوس قيصر الذي كان وقتها في الاسكندرية وادخلت إلى سلطاتها خلسة ملفوفة في سجادة.

انبهر القيصر بجمالها وحنكتها السياسية وثقافتها الواسعة فقرر مساندتها ودعمها في استرداد عرشها. استطاعت بفضل هذا الدعم من استرداد حكمها الذي دام عشرون عاماً والتخلص من أخيها قتلاً بعد أن تزوج منها القيصر وانجبت منه طفلاً.

بعد وفاة يوليوس قيصر وحروب الأباطرة الرومان على وراثته انحازت إلى جناح مارك انطونيو الذي سرعان ما ارتبط معها بعلاقات غرامية حميمة بعد أن استطاعت بجمالها وفتنها وعقلها من اخضاع إرادة القائد الروماني والاستئثار به تاركاً مقاطعة سوريا وراء ظهره.

ناصب قيصر روما الجديد اكتافيوس العداء لانطونيو بعد أن بلغه انغماسه في ملذاته مع كليوبترا وأجبره على العودة إلى روما حيث تم الصلح بينهما بتزويج انطونيو لأخت القيصر بعد وفاة زوجته الرومانية.

لم ينس أنطونيو حبيبته كليوبترا في حينها حيث أعلنها ملكة على مصر وقبرص وليبيا وسوريا.

عاد العداء مجدداً بين القيصر اكتافيوس وانطونيو نتيجة لسوء معاملة انطونيو لزوجته شقيقة القيصر فاعدا عدة الحرب فالتجأ أخيراً انطونيو إلى مصر حيث شكّل مع كليوبترا حلفاً عسكرياً ضد القيصر.

ويذكر أكثر من مصدر هنا أن كليوبترا لم تكن صادقة في تحالفها مع انطونيو حيث كانت قد اعطت الأوامر لقواد مقاطعاتها بالتسليم لجيوش اكتافيوس والانضمام لهم في حملتهم ضد انطونيو.

في المعركة الحاسمة انحازت كليوبترا بجيوشها إلى اكتافيوس بعد ان مالت بسفنها إلى قوات خصوم انطونيو للانضمام إليهم.

جرى انطونيو بعد هزيمته إلى القصر يبحث عن هذه المرأة النادرة وكانت قد توقعت ذلك فاختبأت في أحد القبور بعد ان انتشر خبر انتحارها.

لم يقو انطونيو على فراق حبيبته رغم خيانتها له ففضل الأخير اللحاق بها بالانتحار.

أما اكتافيوس فوعدها بحسن المعاملة بعد انحيازها له، لكنها بقيت غارقة في أحزانها على انطونيو حيث سممت نفسها لتدفن بناء لوصيتها بجواره.

وهكذا قضت كليوبترا نحبها بعد أن مزجت كوكتيلاً غريباً يجمع بين الحب والخيانة لتقتل نفسها أخيراً حزناً على حبيبها الذي خانته ولتوصي بدفنها بجواره.



زنوبيـا
ملهمة التاريـخ

في العام ٢٦٨ ميلادية ارتقت زنوبيا عرش مملكـة تدمـر بعد وفـاة زوجها الملك أزينة وابنه البكر هيرودوس. وإعلانها كوصية على ابنها وهب اللات.

حافظت زنوبيا على العرش وعملت جاهدة على تعميق الدور الثقافي والحضاري والتجاري لتدمر، وأضحت تدمـر في عهدهـا ملاذاً لكـل الأحرار والمنـاضلين في العالم الروماني وهـذا ما جعـل الرومـان ينظرون إلى تعـاظم دورها بـالشك والـريبة ومن ثم بالعداء.

وسعت زنوبيا سلطة المملكة لتصلَ إلى البـوسفور شمـالاً ووادي النيل جنـوباً، وأنشأت قوة عسكرية ضخمة متعددة الجنسيـات تحمي بها حـدودها وتحفظ للقـافلات التجارية الأمن والأمان.

تعاظم وتنامي قوة تدمر العسكريـة لم يرقِ للرومـان فجندوا حملة ضخمـة بقيادة الامبراطور الروماني أورليان للقضاء على زنوبيـا ودور تدمـر التوسعي، عقـدت زنوبيـا حلفاً عسكرياً مع الفرس بقيادة شابور لكنـه خذلهـا في أول مواجهـة بين قـوات تدمـر والرومان في حمص ٢٧١

انتهت موقعة حمص بهـزيمة زنـوبيا التي انكفـأت وبقايـا جيشها إلى تـدمر حيث لحقتها قوات الرومان وفرضت حصاراً عليها دام أشهراً عديدة.

أمام قساوة الحصار ونفاد المؤن وتقاعس التجار عن الاستمرار بالمقـاومة فضلت زنـوبيا الهـرب عن تدمـر لكن القوات الـرومانيـة استطاعت اعتقالهـا عـام (٢٧٢ م) ونقلتها أسيرة إلى روما.

ومع غياب دور زنوبيا فقدت تدمر استقلالها وازدهارها الاقتصادي ودورها النضالي في المنطقة.

ألهمت تجربة زنوبيا ودورها في قيادة تدمر العديد من الشعراء والكتاب في العالم كما خلدها المؤرخون الرومان والغربيون وقارنوها بكليوبترا ومدحوا دهاءها السياسي وبراعتها العسكرية وجمالها وعمق ثقافتها.

***

بلقيس:

ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة النمل والتوراة في قصة زيارة ملكة سبأ بلقيس لـ...ليمان الحكيم في القرن العاشر قبل الميلاد وكانت مملكة سبأ في حينها دولة تضم صراوح ومأرب في شرقي "ا من وعاصمتها - مأرب - وإلى هذه المملكة تنسب الحضارة واللغة والديانة السبيئة.

اشتهرت بلقيس بحنكتها السياسية الواسعة وبجمالها الأخاذ واضحت مأرب في ظل حكمها مركزاً ثقافياً وتجارياً هاماً في جنوب الجزيرة العربية.

***

سميراميس:

شخصية اسطورية ذكر ديودوروس الصقلي ان الأعراف السائدة في الشرق أيام الأخمينيين كانت تعتبرها ملكة اشور وبابل يقال انها ولدت في فلسطين من اقتران رجل عادي بالإلهة ديركيتو، حكمت بالوصاية عن ابنها (٨١٠ - ٨٠٥ ق.م.). وتقول الأسطورة إن سميراميس رميت في الصحراء فانتشلها الراعي سيميوس وتزوّج بها حاكم سوريا العامل لحساب الملك نينوس (ملك نينوى) الذي تزوّجها من ثم، ولم يلبث أن توفى بعد زواجه بها.

أصبحت سميراميس سيدة الامبراطورية الاشورية فحصنت بابل وانشأت فيها القصور الرائعة والحدائق المعلقة التي اعتبرت إحدى عجائب الدنيا السبع.

وقامت بتوسيع رقعة ممتلكاتها ولكنها هُزمت في الهند. تركت سميراميس العرش بعد أن شغلته مدة اثنين وأربعين عاماً، إلى ابنها نينياس.



شجـرة الـدر

أول ملكة في الإسلام

تُعتبر شجرة الدر أول ملكة في الإسلام رغم أن مُلكها لم يستمر أكثر من ثمانين يوماً وقد سُميت بهذا الاسم لجمالها وفتنتها وثقافتها الواسعة وأول مَنْ أطلق عليها هذا الإسم أميرها ثم زوجها الأمير نجم الدين أيوب أمير حصن كيفا أولاً، ثم الحاكم على مصر كلها.

امتازت شجرة الدر بحسن إدارتها لشؤون الدولة والعين الساهرة التي لا تغفل عن شيء وعزماً دائم التأهب يعد لكل أمرٍ عـدته وإرادة وطنيـة صلبة في مقـاومة كـل الطامعين الغزاة.

كانت الساعد الأيمن لاسترداد زوجها عرش مصر واعتمدت في ذلك عـلى فلول المماليك التي خصَّتهم برعاية خاصَّة تمثلت في تبوأهم لأعلى المراكز والمناصب العسكرية والإدارية في مملكة زوجها.

خاض زوجها الملك نجم الدين بجيوش المماليك وبحنكتها وحسن تصرفها كـل المعـارك الناجحـة ضد الـطامعين في الاستيـلاء على مصر حتى كـانت الحملة الصليبيـة السابعة بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع عشر على مصر استطاعت جحافل الصليبيـين احتـلال مدينـة دمياط. أثنـاء إغارتهم عـلى مصر وأثناء مقـاومة المصريـين بقيادة الملك الصالح نجم الدين للصليبيين توفي الملك سنة ١٢٤٩ م في عز المعارك والمواجهة، هنا برزت صلابة شجرة الدر وحسن تدبيرها للأمور إذ كتمت على جيشها خـبر وفاة الملك لئلا تؤثِّر على معنويات الجند وأخذت تدير المعارك وتقود الجيوش وترفع من معنـوياتهم وتصدر الأوامر الإدارية والعسكرية باسم الملك المتوفي وكأنه حي يُرزق.

ومـع انهزام الصليبيين وانتصـار المصريين بقيـادة شجرة الـدر أُعلنت وفاة الملك

الصالح ليتبوأ مكانه ابنه ولي العهد تورنان شاه الـذي لم يكن يحظى بـدعم الجيش له نظراً لكونه غير صـالحاً وغـير مؤهلاً لقيـادة البلاد أمـام الحملة الصليبية القـادمة بعـد علمهم بوفاة الملك.

حاول تورنان شاه الاقتصاص من قادة الجيوش والتقليل من شأنهم وقدرهم ممـا جعلهم يثورون عليه ويقتلونه.

قادت شجرة الدر الجيوش المصريـة في معركة المنصورة حيث حـاول الصليبيون اقتحام أبوابها واستطاعت صدّهم ودحرهم بعد أن تم أسر قائد الحملة لويس التـاسع عشر.

بعد مقتل تـورنان شـاه بويعت شجـرة الدر كملكـة على مصر بعـد إجماع قـادة الجيوش كلها وتأييد الشعب لها.

خلال توليها الحكم تزوَّجت من قائد الجند عز الدين أيبك مؤسس دولة المماليك في مصر، وأدارت شؤون المملكه بالحنكة والدهاء والسياسـة واستطاعت أن تبعـد عن مصر كل المخاطر والغزوات الخارجية وتدحرها، لكن تتويجها ملكة لم يحز على مـوافقة أمير المؤمنين المستعصم بالله الذي أوكل شؤون الملكة إلى موسى بن مسعود رغم صغـر سنـه وتعيين عـز الدين أيبـك وصياً عليـه. رضخت شجرة الـدر لقرار أمـير المؤمنـين وتنازلت عن العرش بعد حكم لم يستمر أكثر من ثمانين يومـاً بعد أن كـانت أول امرأة في الإسلام تتوج ملكة.

عوملت من قِبَل عـز الدين أيبـك بعد تنحّيهـا عن المملكة بـالكثير من الإذلال والتقليل من شأنها حيث حاول أيبك الانفراد بالحكم وإقصاء الملك القاصر.

تزوج عز الدين أيبك على شجرة الدر من ابنة أمير الموصل وهذا مـا حدا بهـا لتجنيد مجموعة من الخدم لقتله وهو في حمام قصرها. تولى الحكم بعـده ولده عـلي من زوجته الأولى.

ثـارت المماليـك على شجـرة الدر فتم سجنهـا وقتلها في السجن. بتحـريض من زوجة أيبك الأولى.

ليفيـادروسيـلا

أمبراطورة رومانية (٥٦ ق.م ـ ٢٩ م)

عُرفت بدهائها وحنكتها السياسية الواسعة في تسيير أمـور البلاد من هنـا تسابق العديد من الشيوخ للزواج منها رغم عدم جمالها.

***

أغـربينـا الصغـرى

(١٥ ـ ٥٩ م)

أمبراطورة رومـانية ابنـة جيرمـانيكوس وأمهـا أغربينـا الكُبرى وأخت كـاليغولا الذي أخذت منه قساوتـه وفظاظتـه، تزوجت أولاً أرستقـراطياً رومـانياً هـو دومتيوس أهينـوباربـوس الذي أنجبت منـه ولداً سُمي نـيرون الذي ارتبَط اسمـه بحريق رومـا المشهور الذي سرعان ما قتل والدته في العام ٥٩ م بعد أن اعتلى عرش روما.

***

مـاتيلـدا

ملكة انكلترا من العام ١١٣٥ ـ ١١٥٤

ابنة هنري الأول ووريثته عام ١١٣٥ بعد وفاته.

حكمت طوال فترة التسعة عشر عاماً في خضم نزاع مستمـر على عـرش المملكة مـع ابن عمها ستيفْن الـذي أجبرهـا بالنهـاية عـلى التخلي عن الحكم ففـرت من قلعة إكسفورد هاربة من سجنها راكضة على الثلج وهي حافية القدمين.

كان زواج ماتيلدا الثاني بجيوفري بلانتا أنجو قـد أنجبت منه طفـلاً هو هنـري الثـاني الذي حكم انجلترا من العـام ١١٥٤ ـ ١١٨٩، وكان يُعتـبر في حينـه أعـظم مشرِّع عـرفته انجلترا. تـوسَّعت ممتلكات المملكـة في عهده لتشمـل أجزاء كبـيرة من فرنسا. عندما علم أن ابنه الأصغر المُحبَّب إليه جون يجهِّز جيشاً ضده للاستيـلاء على العرش (١١٨٩ م) صرخ قائـلاً: «لا شيء في هذه الحيـاة يستحق العيش من أجله» ورمى بنفسه في أحد الوديان خائباً ظنه بأولاده.

مرغريت دانجو

١٤٢٩ - ١٤٨٢م

أصغر بنات رينيه دوق انجو. زوجة ملك انجلترا هنري السادس حكمت انجلترا وهي لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها بعد مرض زوجها.

خسرت أول معاركها مع الفرنسيين عام ١٤٤٨ حيث غزا شارل السابع ملك فرنسا مقاطعة نورمانديه الانجليزية وضمها لمملكته مع بقية الولايات التي كانت لانجلترا في فرنسا.

مع التدهور المستمر لصحة الملك استطاع دوق اف يورك من إيرلندا الاستيلاء على المملكة وعزل الملك والملكة.

عادت للملك صحته وعافيته بعد فترة فأخذ بمساعدة مرغريت المطالبة مجدداً بالعرش الذي حصل عليه بعد تصفية الخلافات مع دوق اف يورك الذي أعاد للملك عرشه على مضض.

لكن هذه الخلافات عادت لتظهر بعد زحف دوق اف يورك على لندن لمقاتلة الملك.

في ٩ تموز ١٤٦٠ جرت المعركة الفاصلة بين الاثنين وانتهت بذبح عشرة آلاف انجليزي وأسر الملك هنري السادس.

فرت مارغريت مع طفلها إلى نورث ويلز ثم إلى حدود اسكوتلند، ومعها كل مجوهراتها. في الطريق هاجمتها مجموعة من قطاع الطرق الذين سلبوها كل ما تحمل، استطاعت الهرب بعد ذلك في جوف الليل مع طفلها ادوارد إلى أحد الغابات القريبة.

علمت خلال هروبها عن إفلات زوجها من خصومه فاخذت تفتش عنه حتى وجدته فقررا الزحف إلى لندن لاسترداد العرش مجدداً.

خاضت مرغريت معركتها الأخيرة ضد الملك ادوارد اف يورك مغتصب العرش الإنجليزي حيث انتهت هذه المعركة بخسارتها ووقوع ابنها أسيراً الذي أعدم لاحقاً مع زوجها وبسجنها في قلعة لندن.

أطلق سراحها أخيراً بعد تنازلها عن كل حق كسبته في انجلترا. هكذا قدر لهذه الملكة أن تحيا في الحكم وخارجه في شقاء وآلام.

ايزابيلا

١٤٥١ - ١٥٠٤م

اعتلت العرش الاسباني العام ١٤٧٤، زوجة الملك فرديناند اوف اراغون. خاضت معركة شرسة ضد الغزاة البرتغاليين واستطاعت دحرهم ومن ثم تمكنت من توحيد اسبانيا بالكامل بعد محاصرتها لآخر معاقل العرب في غرناطة (٢ كانون الثاني ١٤٨٧) يعود لها الفضل الأول في تمويل رحلة كريستوف كولمبس الذي اكتشف بنتيجتها قارة أميركا.

عرفت وزوجها بالتعصب الكاثوليكي الأعمى إذ حكم بالموت على الكثيرين ممن لا ينتمون لهذا المذهب الديني عبر محاكم التفتيش المشهورة بفظاعة وبشاعة أحكامها.

توفيت في تشرين الثاني عام ١٥٠٤.

كاترين داراغون

١٤٨٥ - ١٥٣٦م

ابنة ايزابيلا ملكة اسبانيا، زوجة هنري الثامن خطبت وهي في التاسعة من عمرها لأحد أولاد الملكة اليزابيت أوف يورك الذي تزوجته في العام ١٥٠١.

بعد أربعة أشهر توفي زوجها لتعود مجدداً للزواج من هنري الثامن أمير ويلز ابن الملك هنري السابع. رزقت في العام ١٥١٠ بولداً توفي بعد أيام وكرت سبحة أولادها المتوفين ليبلغ عددهم التسعة.

وأخيراً ولدت الأميرة ماري العام ١٥١٦.

اتسمت حياتها بالتعاسة والشقاء فبجانب خسارتها لأولادها التسعة فقدت كل افراد عائلتها والدها والدتها والد زوجها حتى أخيراً خسرت زوجها الذي طالب الكنيسة باصدار قرار بطلاقها بحجة غضب الله على زواجه هذا وتجريدها من كل حقوق الحاشية والإيراد ونفيها إلى إحدى المقاطعات النائية

توفيت في العام ١٥٣٦.



كاترين مديتشي

(١٥١٩ - ١٥٨٩ م)

ملكة فرنسا وحفيدة لورنزو. تزوجت عام ١٥٣٣ من هنري الابن الثاني لفرنسيس الأول ملك فرنسا.

كان همها خلال فترة حكمها التوفيق بين الكاثوليكية والبروتستانتية للتعايش سوياً ضمن المجتمع الفرنسي لكنها انحازت بالنهاية للكاثوليك فأمعنت القتل والسجن في البروتستانت حيث قُدِّر عدد قتلاهم بأكثر من عشرة آلاف قتيل منهم زعيمهم أدميرال كوليغني.

***

ماري الأولى

(١٥١٦ - ١٥٥٨ م)

ملكة إنجلترا

١٥٥٣ - ١٥٥٨ م

ابنة هنري الثامن من زوجته الأولى كاترين الأرغونية.

طرد الملك هنري زوجته الأولى وابنتها ماري من القصر بعد عشقه لغيرها.

خَلِفت ماري أخاها من أبيها إدوارد السادس (١٥٤٧ - ١٥٥٣) ملكة على انجلترا. سنَّت الكثير من الشرائع والقوانين التي تزيد من الإخلاص والالتصاق بالكنيسة الرومانية وكل الرافضين لهذه الشرائع كان مصيرهم الاعتقال والمحاكمة والحرق.

خلال فترة حكمها القصير فقدت ميناء كاليه وكان ذلك آخر معقل للانجليز في البر الفرنسي.



إليزابيت الأولى

(١٥٣٣ - ١٦٠٣م)

ملكة إنجلترا

(١٥٥٨ - ١٦٠٣م)

عُرفت بترددها الدائم والحيرة في أخذ القرارات المصيرية، هي ابنة آن پولين وهنري الثامن أُعدمت والدتها بتهمة الزِنى وعمرها لم يتجاوز الست سنوات. دفعت ثمن سلوك والدتها وأُبعدت عن القصر باعتبارها غير شرعية. خلال فترة الإبعاد هذه تفرّغت إليزابيت للمطالعة وأضحت ذات ثقافة عالية بعد وفاة شقيقتها عالية. ماري، تبوأت عرش انجلترا وأحاطت نفسها بالعديد من المستشارين اللامعين وأضحت انجلترا في عهدها ذات مكانة قوية بين الأمم الأوروبية ومنارة للعلم والثقافة والعمران.

***

ماري ستيوارت

(١٥٤٢ - ١٥٨٧ م)

ملكة اسكوتلندا

(١٥٦١ - ١٥٦٧ م)

عُرفت بالغطرسة وبسرعة الانفعال ولا توحي بالثقة رغم ثقافتها الواسعة إذ كانت تتكلم عدة لغات.

مع تحول اسكوتلندا نحو البروتستانية عادت في العام ١٥٦٠ لتحكم هذا البلد وسط أجواء مشحونة عاصفة حيث كانت شديدة التعصب لكاثوليكيتها.

عاشت فترة حكمها في صراع مستمر مع النبلاء والحكام حتى أنها تزوجت من ابن عمها اللورد دارنلي العربيد والشرس وعشقت أمين سرها ريزيو الذي قتله زوجها لاحقاً.

اتهمت بقتل زوجها بسبب قتله لعشيقها ففرت إلى انجلترا عند الملكة إليزابيت الأولى ابنة عمها حيث حاكت المؤامرات والدسائس للإطاحة بابنة عمها وتنصيبها مكانها افتُضح أمرها أخيراً فحوكمت وأُعدمت في قلعة فورثرينغي.

***



كريستينا

(١٦٢٦ - ١٦٨٩ م)

ملكة السويد

(١٦٣٢ - ١٦٥٤ م)

خلفت والدها غوستاف في عرش المملكة وهي لا تزال طفلة لم يتجاوز عمرها السبع سنوات، استلمت زمام السلطة واهتمّت بالفنون والآداب العامة والثقافة على حساب الاقتصاد والسياسة، وكانت تعلن دائماً زهدها بالعرش والمملكة ورغبتها بالعودة للحياة العادية.

خاضت تجربة حب فاشلة أثّرت نفسياً عليها مما انعكس سلباً على إدارتها لشؤون مملكتها. اعتزلت الحكم في العام ١٦٥٤ وتفرّغت للأدب والثقافة واستقرت بالنهاية في إيطاليا.



ماري تيريزا

(١٧١٧ - ١٧٨٠)

ملكة المجر وبوهيميا وارشيدوقة النمسا والأراضي الواطئة ودوقة ميلان وبارما وبلاسنشيا وارشيدوقة توسكاني.

ورثت هذه المساحات الشاسعة بعد وفاة والدها شارل السادس امبراطور المانيا وزواجها من فرنسيس دوق أوف لورين في العام ١٧٣٦.

بعد توليها الحكم ثارت عليها المقاطعات الملحقة بالامبراطورية الألمانية واستطاعت بالحنكة والسياسة حيناً والشدة أحياناً أخرى استعادة معظم هذه القطاعات.

استطاعت خلال حكمها الفصل بين السلطتين الدينية والروحية فلم تسمح للبابا أن يملي أوامره على مملكتها وكانت على استعداد دائماً لأن تضحي براحتها من أجل مصلحة رعيتها وكانت تقول: «إني لآخذ على نفسي الوقت الذي قضيته في نومي لأنه اختلاس من رعيتي».

قامت بالكثير من الاصلاحات الداخلية وشجعت التجارة والفنون وشق الطرق حتى سميت «بأم الشعب».

في العام ١٧٦٥ مات زوجها فرنسيس الأول وبقيت لابسة الحداد حزناً عليه.

حزنها على زوجها عجل بوفاتها حيث توفيت في العام ١٧٨٠ بعد ان بقيت في الحكم دون أن يشب اسمها أية شائبة. أغرب قوة أمن في التاريخ أنشأتها ماري تيريزا وتدعى بوليس العفة.

إن «بوليس العفة» لم يكن مجرد بوليس للآداب وحسب. فقد كانت هذه القوة تبذل جهوداً مضنية لصيانة الإخلاص الزوجي والنزاهة الجنسية لدى جميع النمساويين.

كان أفراد هذه القوة، المخلصة للملكة، يجتاحون البيوت دون سابق إنذار ويتلصصون من ثقب الباب ويكسرون أبواب غرف النوم بشكل مفاجىء بحيث لم يعد أي عاشق أو عاشقة في مأمن من أمره أينما وجد.

كان رجال البوليس هؤلاء يرابطون بزيهم الرسمي في صالة كل مسرح في المدينة. وفي كل حلبة رقص وذلك ليمنعوا النساء وبعنف شديد أن يظهرن كواحلهن. أو ليتدخلوا في فض أي اشتباك عاطفي بين حبيبين على حلبة الرقص.

وكانت تفتش جميع الطرود التجارية والبريدية وحتى الحقائب الدبلوماسية بحثاً عن كتب وصور الرذيلة.

كانت كل امرأة تمشي في الشارع بمفردها تعتقل وتقدم للمحاكمة. والعاهرات كن يجبرن على مغادرة المدينة إلى مصحات قروية في جنوب هنغارية. أما العاهرات اللواتي تكيفن مع جو الحياة في فيينا كن يمشين بكل حشمة وأدب زوجاً زوجاً. وكن يمسكن المسابح بأيديهن كلما صادفن أحد المسؤولين وذلك ليصرفن أنظار الآخرين.

كانت الأقاويل تتردد حينها بأن الملكة أمرت بتشكيل قوة «بوليس العفة» هذه لأنها منيت بإحباط من قبل عشيقها الداعر والحميم (فرانز الأول). ومهما يكن السبب وراء ذلك. فقد جعلت هذه الملكة الحياة بائسة جداً حتى في وجه أكبر الأشخاص إباحية وفجوراً.

ففي إحدى المرات زار كازانوفا الشهير فيينا مع إحدى خليلاته وقدمها على أنها شقيقته. بعد وصولها بيوم واحد وبينما كانا جالسين لتناول طعام الإفطار إقتحم بوليس العفة غرفة الطعام التي ضمت العاشقين. وبعد تعرضهما لتحقيق شديد الوطأة. تبين أن قصتهما مختلقة ومزيفة. ثم أمر الإثنان على أن يقطن كل منهما في حي بعيد عن الآخر وكما ذكر كازانوفا في مذكراته.

«كان هناك الكثير من المال والفيض من المتعة في فيينا. إلا أن الأمبراطورة بنت الزنا هي التي جعلت الحصول على الملذات أموراً غير ممكنة» والمعلوم هنا أن كازانوفا اشتغل كمخبر مأجور في سلك (بوليس العفة) ومخبراً مأجوراً أيضاً لدى قسم التحقيق القضائي في فيينا حيث كان يزود هاتين الجهتين بمعلومات عن المطبوعات (المحرمة جنسياً) والمضادة للدين الموجودة في المكتبات الخاصة وحتى في البيوت.



كاترين العظيمة

(١٧٢٩ - ١٧٩٦ م)
قيصرة روسيا
(١٧٦٢ - ١٧٩٦ م)

لم تكن كاترين روسيّة المولد بل كانت ألمانية لكن حبها لروسيا جعلها تتزوج من القيصر بطرس الثالث الذي عُرف عنه ولعه الشديد باللهو والمعارك الحربية الوهمية وكان يُعرف باسم «الأبله» تم خلع القيصر عام ١٧٦٢ بموافقة كاترين التي انتخبت مكان زوجها.

أظهرت الكثير من الذكاء والدهاء والحنكة في تسيير أمور البلاد وكانت أول مَنْ أصدر قرارات إلغاء الرق في روسيا مما جعلها في حرب مواجهة مع النبلاء.

واجهت الكثير من الاضطرابات والحروب الأهلية الداخلية بحزم وثبات مما جعلها سيدة روسيا الأولى بدون منازع.

أدخلت الكثير من التحسينات والأفكار الغربية على المجتمع الروسي مما انعكس نهضة عمرانية مزخرفة على الطريقة الأوروبية.

***



ماري أنطوانيت

(١٧٥٥ - ١٧٩٣ م)
ملكة فرنسا
(١٧٧٤ - ١٧٩٣ م)

دُعيت بملكة العجز والإفلاس إذ اتّسم حكمها مع زوجها لويس السادس عشر بالفساد.

حولت الشعب الفرنسي إلى أعداء لها نتيجة لتصرفاتها المقيتة مع رعاياها.

مع اندلاع الثورة الفرنسية ١٧٨٩ حاولت الهرب مع زوجها لكن تم القبض عليهما وعُثِر معها على رسائل استنجاد لقوى أجنبية لسحق الثورة الفرنسية.

اقتيد لويس السادس عشر في العام ١٧٩٣ وتبعته زوجته ماري أنطوانيت في العام نفسه إلى المقصلة حيث تم إعدامها بعد محاكمة استمرت عاماً كاملاً.

***



جوزفين

(١٧٦٣ - ١٨٢٠)

زوجة الامبراطور نابليون بونابرت.

في طفولتها التقت بإحدى العرافات التي تنبأت لها بزواج قريب وغير سعيد تصير بعدها أرملة ثم ملكة لفرنسا وسنوات سعيدة ثم وفاة في مستشفى.

تزوجت بداية من الفيكونت دي بوهرنيه الذي سقط رأسه تحت سكين المقصلة بعد فترة وكان مصيرها السجن بعد طلاقها خُطبت للجنرال بونابرت التي كانت الزوجة والحبيبة والمستشارة الناجحة والوفية له.

في كل المعارك التي خاضها نابليون كانت جوزفين ملهمته تشد من عزيمته بالرسائل العديدة التي كانت ترسلها لزوجها وبحسن ادارتها للامبراطورية في غيابه.

استطاعت دسائس فوشيه وزير الشرطة وبعض أفراد الحاشية من إيقاع الفرقة بين نابليون وزوجته حيث تزوج أخيراً من ماري لويز ابنة امبراطور النمسا التي انجبت له طفلة.

بعد هزيمة نابليون ودخول الحلفاء باريس بقيت جوزفين وفية لنابليون كظله لا تفارقه حتى في سجنه بينما تركته وهجرته زوجته الجديدة. توفيت جوزفين في إحدى المستشفيات وكانت آخر كلماتها وهي تحتضر: «جزيرة البا... نابليون».

***



فيكتوريا

(١٨١٩ - ١٩٠١ م)

ملكة بريطانيا وأيرلندا

(١٨٣٧ - ١٩٠١ م)

حكمت فيكتوريا أطول مدة حكم على العرش البريطاني (أكثر من ٦٤ عاماً).

تبوأت العرش بعد وفاة عمها وليام الرابع، اتّسمت بذكاء حاد وجمال جذّاب.

تزوجت في العام ١٨٤٠ من الأمير ألبرت اللذين شكلا ثنائياً فريداً استطاعا رغم تحديد البرلمان لسلطتيهما من التأثير عليه لدفعه لاتخاذ الكثير من القرارات الحاسمة والجذرية لتوسيع رقعة الأمبراطورية الإنكليزية.

بعد وفاة ألبرت الذي أنجبت منه تسعة أطفال وكان منهم الأمير إدوارد الذي أصبح الملك إدوارد السابع بعد وفاة أمه.

اعتزلت فيكتوريا الحياة الاجتماعية ثم عادت لممارسة أعمالها كملكة إلى حين وفاتها في العام ١٩٠١.

وكانت بريطانيا قد تحولت خلال حكمها ونتيجة لتوسيع أمبراطوريتها بالسيطرة على أكثر من ربع العالم إلى دولة حديثة مُهابة من كل أقطار العالم.

***



إليزابيت الثانية

(١٩٢٦ - وما زالت)

ملكة بريطانيا وشمال أيرلندا وما زالت ابنة دوق يورك (١٨٥٢ - ١٩٥٢) الذي توّج ملكاً عام ١٩٣٦ تحت اسم جورج السادس.

تزوجت العام ١٩٤٧ من الأمير فيليب مونتباتن، ابن الأمير أندرو اليوناني الذي أصبح يُدعى دوق أدنبره. خلفت والدها بعد موته عام ١٩٥٢ تُوِّجت ملكة عام ١٩٥٣. وبالرغم من أنها تملك ولا تحكم، فإنها نجحت في فرض احترامها على المسرح السياسي، وفي تقديم نفسها كرمز لوحدة البريطانيين وحسن سير مؤسساتهم الدستورية الديمقراطية. قامت بعدة زيارات للخارج، وبشكل خاص إلى بلدان الكومنولث، واحتفلت عام ١٩٧٧ بيوبيلها الفضي. لها أربعة أولاد هم: الأمير تشارلز ولي العهد وأمير مقاطعة ويلز، والأميرة آن، والأمير أندروز والأمير إدوارد أما مقرها الرسمي فهو في قصر بكنغهام.

***

تزوهسي
(١٨٣٥ - ١٩٠٨)

امبراطورة الصين الكبرى، وآخر ملوك الحكم الملكي قبل الانتقال إلى عهد الجمهورية.

اتسم عهدها بالكثير من الاضطرابات الداخلية والتنافس الشديد مع الطامعين لمنصب الامبراطور. كانت الصين في عهدها عرضة للكثير من الغزوات الخارجية فالانكليز والفرنسيون أغاروا عليها عام ١٨٦٠ واليابان في العام ١٨٩٤ والروس والجرمان والفرنسيين والانجليز (لاحقاً) العام ١٩٠٠ تحت حجة حماية رعاياهم من الاضطرابات الداخلية العرقية في حينها.

كل ذلك أدى إلى قيام ثورة البوكسر أو الملاكون لرد الاعتبار للصين أمام التدخلات الأجنبية وغزو الآخرين لأراضيها.

تقاسمت العرش الامبراطوري مع شريكتها تزوآن ثم انفردت بالحكم بعد وفاة الشريكة واتهامها بدس السم لها وحكمت منفردة ثماني سنوات.

الكثير من الغموض اتسم حكمها لكن المؤكد أنها كانت تتعاطى «الأفيون» الذي حرمت زراعته في كل الصين بعد أن منعها أطباؤها من تناوله حرصاً على حياتها.

بوفاتها وموت ابن أختها انتهى حكم أسرة المنشورين إلى الأبد.

***



سيريمافو باندرانايكه

أول رئيسة وزراء
في العصر الحديث

سيريمافو باندرانايكه أول رئيسة وزراء في التاريخ الحديث. في ١٩٦٠ حقق حزبها، حزب الحرية، انتصاراً غير متوقع ففاز بـ ٧٥ مقعداً من ١٥١ في البرلمان، وكانت جائزتها مقعد رئيس الوزراء.

ترملت عند وفاة باندا، زوجها الذي عرف بهذا الاسم، وكان قبلها رئيساً للوزراء منذ ١٩٥٦ حتى اغتياله في ١٩٥٩. اكتفت بدور ست البيت، قبل وفاته، رغم أنها نشطت في الحركات النسائية والاجتماعية. اتهمها معارضوها بأنها مجرد مبتدئة عندما حملت الشعلة بعد باندا لتجمع صفوف الحزب، وتحقق برنامجه. لكنها كانت تلميذة زوجها عشرين عاماً، ردت، وكان ذلك كافياً، إذا أضيف إلى خلفيتها العائلية فهي الابنة الكبرى لبارنز راتدات، الملاك الثري الأريستوقراطي، حاكم مقاطعة رابنابورا. سليل عائلة ذات مناصب رفيعة لدى الملاك السنهاليين القدامى.

في الرابعة والعشرين من عمرها، تزوجت سيريمافو وزير الصحة والحكومة المحلية واسمه من أربعة أسماء مختصرها س. و. ر. د. وحفظت المثل جيداً ووقفت وراء زوجها، وتبنت الدور التقليدي فعملت في مؤسسات نسائية عدة وكانت رئيسة لإحداها.

اهتمت بامتداد الجمعيات إلى سريلانكا كلها، وكان اسمها يومها سيلان التي لا تزال تعطي اسمها للشاي. وركزت على تنظيم الأسرة والحقوق السياسية وتعليم النساء.

والجزيرة الاستوائية الخضراء التي دعيت «لؤلؤة الشرق» عرفت يوماً مستوى مرتفعاً من المعيشة يفوق ما في كثير من البلدان الآسيوية. كانت مستعمرة للتاج البريطاني من ١٨٠٢ إلى ١٩٤٨، وبقيت بعد استقلالها مرتبطة اقتصادياً ببريطانيا، إذ اعتمد الاقتصاد إلى درجة كبيرة على شركات بريطانية. جغرافياً ترتبط بجنوب الهند عبر لسان رملي اسمه جسر آدم. أراد باندا أن يجعل السنهالية لغة البلاد الرسمية الوحيدة، وأن يؤمم المصارف وشركات الشاي والمطاط التي يسيطر الغرب على معظمها، وأثاره تراجع البوذية أمام تدفق المسيحية، فسعى إلى دعم الأولى. لكن أمرضه الانشقاق بين الأغلبية البوذية الناطقة بالسنهالية، والهندوس الناطقين بالتاميلية، وكانوا نحو ربع السكان. وانحدر الاقتصاد، ولا يزال، وأضيفت إليه الحرب، في ما بعد وقدر لباندا أن يموت على يد راهب بوذي احتجاجاً على تفضيله الأدوية الغربية على الوصفات من الأعشاب، هكذا بكل بساطة. وغيرت ست البيت رأيها، وترشحت لمقعده في البرلمان، وكانت قالت إنها لا تقبل منصب رئيس الوزراء ولو قدم لها. وجالت السيدة الحزينة في البلاد تخطب في الجماهير وتدير خطب زوجها المسجلة، فدفعت خصومها إلى تلقيبها «الأرملة النائحة» لكن حزبها انتعش بدموعها وكانت مقاعده أقل بأربعة فقط من التي نالها الحزب الوطني المتحد الفائز. وفي ١٩٦٠ اختيرت «سيدة سريلانكا» رئيسة للحزب واتفقت مع الشيوعيين كما فعل زوجها قبلها، وعندما حصلت على الأغلبية في الانتخابات ما عادت محتاجة إلى هؤلاء، تماماً كما حصل مع باندا. ولم تترشح في الانتخابات فعينها الحاكم العام السر أوليفر غونتيليك في أحد المقاعد الخمسة عشر للتعيينات في ١٩٦٠، وكانت أول رئيسة وزراء في البرلمان بهذه الطريقة. واستبدلت الإنكليزية بالسنهالية لغة رسمية للبلاد، فاحتج التاميل، الأقلية التي وجدت في ذلك ما يزيد غبنها، وأعلنت باندرانايكه عزمها على تعديل الدستور بحيث تصبح سيلان جمهورية ولا تبقى إحدى دول الأورمينيون المرتبطة ببريطانيا. سعت إلى توحيد التعليم فوضعت اليد على المدارس الخاصة التي أدار معظمها جماعات مسيحية، وقصدت بنتاها سونثرا وشاندرا، وابنها انورا إلى مدارس كاثوليكية رغم أن العائلة بوذية. هذه السيدة التي تخلت عن الثياب الغربية والقبعة وتبنت الساري والتسريحة البسيطة وحملت حقيبتي الدفاع والخارجية، وكان طبيعياً للتقليل من وجع الرأس أن تتبنى الحياد.

بسيطة، ذات سلوك مباشر (ربما أكثر ارتباطاً بالنساء منه بالرجال) وإرادة قوية، تُثير الاحترام والتعاطف. لم ترَ في كونها، امرأة ما يعرقل، كالعادة، بل العكس: المرأة تلقى التعاون أكثر من الرجل». لكنها وجدت العكس في الانتخابات الرئاسية المُضرّجة بالدم في كانون الأول ١٩٨٨. بعد غياب طال عن الساحة، عادت تترشح للكرسي عن حزب الحرية المُعارض وتفشل أمام راناسينغ بريماداسا الذي تسلَّم الكرسي من جونيوس جايواردين، ذلك العجوز الثمانيني الذي جلس في الجزيرة المُضطربة، منذ ٧٧. فضّلت سريلانكا رجلاً نال ٥٠,٤٪ من الأصوات مقابل ٤٥٪ للسيدة ذات التاريخ السياسي الحافل. وعادت باندرانايكة إلى أحلامها وذكرى باندا، وقت تنتظر الرئيس أسوأ أزمة سياسية منذ الاستقلال عن بريطانيا في ٤٨. هناك الحرب الأهلية بين السنهاليين والتاميل وتوابعها من دم ودمار وحال طوارىء تمدد كل شهر من ١٩٨٣.



أنديرا غاندي

رجـل الهند القوي

عندما ولدت سميت أنديرا بريا دارشيني أي أنديرا التي يحلو النظر إليهـا. ولئن حلا النظر إليها في ما بعد، فليس للأسبـاب التي يأملهـا، وإنما لمعـرفة سر تلك المـرأة القادرة في بلاد الـ ٦٠٠ مليون جائع و ٣٠٠ مليون بقرة، في ذلك الوقت.

قالت جدتهـا عندمـا ولدت في ١٩١٧ في «بيت السعـادة»، بيت أهلها: «كـان يجب أن تكـون صبياً». رد الجـد: «ستكون أفضـل من ألف صبي». وكبرت وقـادت بجـدارة مثيرة لـلإعجاب الفسيفسـاء الهنديـة. هندوس ومسلمـون ووثنيون وبـوذيون و. . . سيـخ سيقتلها اثنـان منهم ويعدمـان. كانت في العـاشرة فكتب إليهـا والـدهـا ثلاثين رسـالة إلى مصيفهـا، يشرح لها قصة الكرة الأرضيـة والكائنـات الحية وظهـور المدنية. واعتادت باكراً صداقة والدهـا والكفاح وفتـح العينين واسعتـين على التـاريخ والمستقبـل. اعتقل والـدها، وكـانت في الثالثـة، وصودرت بعض محتـويـات المنـزل، فانتقلت إلى صومعة موهانداس غاندي، الذي نعرفـه بلقب «المهاتمـا»، حيث عـرفت التقشف بعد الترف. في الثانية عشرة من عمرها طلبت الانضمام إلى حزب الكونغرس الوطني الذي رأسـه والدهـا في ١٩٢٩، وجدد لـه أربع مـرات. رفضت لصغر سنهـا فأنشأت منـظمة وطنيـة للأطفـال انضم إليها الآلاف. وإلى العلوم والآداب، تعلمت الرقص المابنبوري، مزيجاً من رقص فني وديني، وكانت تـرقص في حفلات المـدرسة. قالت في ما بعد أنها كادت تصبح راقصة بارعة لولا حياؤها.

أتت من تاريخ طويل في الكفاح والعمل السياسي، جدها موتي لآل كان محامياً فقيـراً وصار ثـرياً وعضـواً بارزاً في حـزب الكونغـرس، أرسل ابنـه جـواهـر لال إلى كيمبريدج، بريطانيا، ليدرس الحقـوق، مثله، ففعل لكنـه عمل في السيـاسة كـأبيه، انضم إلى حـزب الكونغـرس وتبع المهـاتما غـانـدي وجـال في القـرى يـدعم مـطالب

الفلاحين بتحسين شروطهم المعيشية. سجن مراراً لعمله الدؤوب من أجل الاستقلال، واستعمل يديه طويلاً مثل زملائه المساجين، ولكن في تأليف الكتب. وسجنت أيضاً زوجته شريماتي كمالا، رئيسة مجلس الكونغرس في الله آباد، وأخته، إحدى زعيمات الاستقلال. حقق جواهر لال حلمه الأساسي بإعلان استقلال الهند في ٤٧. كان أول رئيس للوزراء وبقي حتى وفاته في المنصب. والتغلب على الفقر والمرض والجهل الازدياد الكبير في عدد السكان كان أصعب من التغلب على الاحتلال. قام بإصلاحات اجتماعية واقتصادية والتزم الحياد. عمل على توحيد الدول الإفريقية والآسيوية كتلة محايدة ذات سلطة في ١٩٦١ واجه لعنة الاضطرابات الطائفية. بعدها بسنتين غزت الصين الشعبية الهند، فتأثرت صحته وغادر الحياة في ٦٤.

أنديرا التي أحرقت باكراً ثيابها الغربية لتعتمد الساري عملت على توحيد الهند مع والدها وبعده. سجنت في ١٩٤٢ وبعد خمس سنوات عملت وغاندي في المناطق المضطربة ودرست في سويسرا وبريطانيا، في كلية سومرفيل، جامعة أوكسفورد، تزوجت فيروز غاندي، وفيروز لا يلفظ بتسكين الياء كما عندنا، وكان زواجاً عاصفاً نظراً إلى مركزها ودينه المزدكي الزرادشتي. وكان فيروز عضواً في البرلمان وتوفي في ١٩٦٠. عندما ولد راجيف وجدته قبيحاً، ولم تخفف عنها إلا كلمة لطاغور: «كل طفل يأتي العالم يحمل رسالة مؤداها أن الله لا ييأس من الإنسان». وراجيف الذي صار شاباً وسيماً لم يعمل مع أمه التي لازمها سانجاي، الابن الأصغر فتسبب بانحسار شعبيتها لاستغلاله نفوذها من أجل مصالحه. كان على الابن الأكبر أن يرث الأم فجأة بعد مقتلها الذي سبقه موت أخيه.

رأست أنديرا ذات الوجه القلق حكومة بلادها وحزب الكونغرس بين ٦٦ و ٧٧. وواجهت مشكلة تحديد النسل بحملة إعلامية واسعة وراديو الترانزستور. كان كل رجل يرضى بالتعقيم يأخذ ترانزستور، جائزة ترضية عن الخصوبة المفقودة. مشروعها أفقدها شعبية كبيرة، وسجنت في ٧٧ بتهم جنائية وكانت أول رئيسة وزراء تدخل السجن. ثم سجنت ثانية بعد سنة وأمضت عيد الميلاد في السجن لتجريمها بمضايقة المسؤولين إذ كلفوا جمع المعلومات عن مشروع وضعه سانجاي لصنع السيارات. ولم تترك وحيدة غضبها المكبوت بين القضبان. فخطف مسلحان طائرة بين

كالكوتا ونيودلهي وطالبا بإطلاقها، وسارت تظاهرات احتجاج على سجنها صبغها دم القتلى والجرحى.

«رجل الهند القوي»، و«المرأة الحديد»، بطلة حرب ٧١ بين الهند وباكستان، قالوا. ردت على وصفها في ٨٣ بـ«الرجل الوحيد» في الحكومة: «قد لا تكون إهانة للرجال في حكومتي، لكنها بالتأكيد إهانة لي». كانت أقرب إلى السوفيات، فالحياد يبرهن باستمرار عن صعوبته. اتهمت المخابرات الأميركية بالتدخل ضدها. وحازت جائزة لينين للسلام «اعترافاً بمساهمتها البارزة في النضال من أجل الحفاظ على السلام ودعمه».

قالت عنها مارغريت تاتشر «المرأة الحديد» في بريطانيا: «يكفي النظر إلى غاندي التي انتصرت على باكستان بينما انهزم والدها أمام الصين لنتأكد أن المرأة تملك مميزات في الحكم لا يتمتع بها الرجال في حالات عدة». حاكمة سابع أكبر بلد في العالم ماتت ميتة مسرحية في أول تشرين الثاني (شهر مولدها ومماتها) ١٩٨٤. اغتالها اثنان من السيخ في حديقة منزلها، وقضت كالمهاتما غاندي محوطة بالأزهار. وأحرقت ونثر راجيف رمادها فوق نهر الغانج، وحمل الشعلة وافتتح سنة ١٩٨٩ بإعدام قاتليها.



غولدا مائير

العدو المغتصب

يعرفها جيدا جيل ما سمي «نكسة» ٥ حزيران، الهزيمة الساحقة الماحقة جسد ضخم، وجه رجالي مجعد، نظرة قاسية وذقن عريضة. غولدا مابوفيتز مائير رابع رئيسة وزراء لإسرائيل من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٤، من رواد مؤسسي إسرائيل، نخبة «الحرس القديم». بدأت حياتها السياسية سفيرة إسرائيل إلى روسيا حيث ولدت في ١٨٩٨، وهاجرت إلى الولايات المتحدة في ١٩٠٦ وتدربت كمدرسة وتزوجت في ١٩١٧ موريس ميرسون، المهاجر الروسي هو الآخر. أخذت زوجها غصباً عنه إلى فلسطين وعملت في كيبوتز. عرفت العائلة ظروفاً قاسية واضطرت أن تغسل ملابس الأطفال لتؤمن لابنها وابنتها دخول المدرسة.

عندما توفي رئيس الوزراء اشكول كانت المرشح التسوية، لكنها استدعت ابنتها وصهرها، اللذين كانا يعيشان في كيبوتز، قبل أن تقبل فأقنعاها بأن من واجبها أن تفعل. «أنا كسولة ولكن لدي إحساس بالواجب» كانت تقول. وجدت واجتهدت طويلاً. من عرفها يصفها بالدهاء والقدرة والقسوة. وزيرة للعمل ووزيرة الخارجية قبل دخولها نادي رئاسة الوزراء، وأحبت وزارة العمل «لأن المرء يستطيع تحقيق الكثير فيها». كانت امرأة عملية ولم تعن لها الأمم المتحدة إلا «الكثير من الكلام».

دخنت بشراهة واصفرت أصابعها من النيكوتين، كانت إسرائيل، همها حتى موتها في ١٩٧٨ لتأمين قيامها، ثم لحدود آمنة ودائمة ومعترف بها. وإلى إسرائيل، أحبت الطبخ والكوي وتنظيف الأرض إذا وجدت الوقت. و «أحب القراءة والموسيقى (ابنها موسيقي). أحب أولادي وأحفادي. أحب الناس» إلا إذا كانوا عرباً.

الصحافة الغربية قارنتها بأنديرا غانـدي. الزعيمـة الهنديـة عاشت في بيت غني لكن جدها موتي لال كان فقيـراً وحقق ثروة بنفسـه، وهي ذات «تربيـة اسبرطيـة» كما قالت، وقضى صغار العائلة الشتاء دون تـدفئة. وغـولدا لازمهـا الفقر في عـائلة ذويها وعائلتها. وكلتاهما أرملة ولها طفلان، واشتراكية بـالمعنى «الديمـوقراطي» لا المـاركسي، وفي منصب رئـاسة الـوزراء دون التفـات إلى حسنـات الجنس «الأضعف» وسيئـاتـه. وكلتاهما قادت شعبها في عمره الأول وبرهنت عن قدرة. ونقول «قدرة» بإعجـاب عن أنديرا وبعداء عن غولدا، لكننا نعترف في أي حال.



ايزابيل بيرون
الراقصة والسياسة

أول تموز ١٩٧٤ صارت الراقصة السابقة أول رئيسة في أميركا. ورثت الكرسي عن زوجها خوان بيرون الذي لا يغرم إلا بالراقصات. كانت انتخبت نائبة له قبل ذلك بتسعة أشهر عندما عاد بيرون إلى السلطة من انتخابات شاملة أنهت ١٨ عاماً له في المنفى.

في ١٩٦١ أصبحت ايزابيل الرقم الثالث والأخير في قلب بيرون، رسمياً. تزوجها واعتمدها رسولة له إلى مناصريه في بلاده التي حكمها من ٤٦ إلى ٥٥. قوبل ترشيحها لنيابة الرئاسة بسخرية ورفض، أظهرت الكثير من الحذق في ملء فراغ السلطة بعد موته لكنها ورثت، مع الرئاسة، مشاكل وجدها زوجها بالغة الصعوبة: اقتصاد منهار، بيرونية منقسمة وعنف سياسي راعب.

ولدت ماريا استيلا مارتينيز كارتاس في ١٩٣١ في لاريوجا، ثالث ابنة في عائلة ضمت أيضاً صبيين، وكان الوالد فيها مدير فرع لمصرف. إيزابيل اسم شقيقتها، يوم العمادة، تبنته عندما احترفت الرقص. لم تبد ميلاً كبيراً إلى الدرس ولم تتعد الصف السادس. درست الباليه والرقص الإسباني واللغة الفرنسية، وطالعت الشعر الرومنسي الإسباني. وتخرجت مدرسة بيانو، تعرفت على الجنرال الذي سيأخذها إلى السلطة في ١٩٥٦ عندما كانت ترقص في مربع اسمه «الأرض السعيدة» في باناما، وأصبحت منذ ذلك سكرتيرته الرسمية. الرواية الرسمية تقول إنها التقته في كراكاس، فنزويلا، وكانت ترقص مع فرقة باليه، لا يهم أيها نصدق، المهم أنها كانت أصغر منه بخمسة وثلاثين عاماً. وكان متعباً، كسيراً خارجاً من السلطة ومن ذكرى إيفيتا، الراقصة التي أصبحت زوجته الثانية وتوفيت بالسرطان في ١٩٥٢.

زواجهما بقي سراً خشية المس بمشاعر البيرونيين الذين قدسوا ذكرى إيفيتا، وشغلت الكثير من الوظائف بعد زواجها: كانت السكرتيرة والممرضة والزوجة والتلميذة النبيهة، راقبت نظام طعامه وساعدته في المراسلات ومخطوطات كتبه، وعملت سائقة له في تنقلاته، وعندما استعاد قبضته على الحركة البيرونية وهو في الفيلا الإسبانية، زارت هي الأرجنتين وساهمت في نجاح مرشحه في الانتخابات الفرعية، وشاركت في احتفالات الذكرى العشرين لصعوده إلى السلطة. وتدهور الاقتصاد وتصاعد العنف فدفعا الحكم العسكري إلى التعاون مع بيرون، فذهبت إيزابيل تبحث في إعادة الاعتبار إلى زوجها ورفع الحظر عن البيرونية. وعاد الرجل الأسطورة في أذهان مناصريه، وفي ١٩٧٣ انتخب مرشحه هكتور كامبورا رئيساً، ولم يستطع وقف الانشقاق بين يسار البيرونية ويمينها، وتلاه بيرون فتسلم الرئاسة شخصياً.

عندما اختارها بيرون نائبة له قالت: «لا أستطيع أن أعدكم بالكثير. لست سوى تلميذة له». استاء الشعب من الاختيار الذي أثار ذعر البيرونيين اليساريين. فإيزابيل تفضل اليمين البيروني وتعتمد على مرافقها الخاص جوزيه لوبيز ريغا الذي يدعم المواقف اليمينية. كثيرون رفضوا محاولة سكب إيزابيل في قالب المثال المعبود، إيفيتا، التي أبعدتها النزعة الذكورية في أميركا اللاتينية عن نيابة الرئاسة في ١٩٥١. لكنها لم تحاول أن تأخذ مكان إيفيتا وما كان ذلك في مستطاعها، لأن تلك كانت ذات كاريزما وشخصية طاغية ساحرة. وربح آل بيرون معركة نيابة الرئاسة بـ ٦٢٪ من الأصوات، وعملت إيزابيل ساعات طويلة وتصرفت بعزة هادئة، كسبت احترام الشعب، وتزعمت الحركة النسائية كإيفيتا قبلها، ومرض بيرون وعندما مات ظهرت على التلفزيون دامعة لتقول إن القائد توفي بنوبة قلب. وجلست السيدة الخجولة التي لا ترتاح إلى كثرة الناس على الكرسي دونما صعوبة بدعم من البيرونية والمعارضة. وخبرتها كانت محدودة ولم يكن زوجها معها ليدعمها بقوة شخصيته. تبنت سياسة محافظة وأطلقت يد العسكريين في مواجهة العنف، وتصاعده فأعلنت الأحكام العرفية حارمة ٢٥ مليون أرجنتيني من حقوقهم الدستورية. واتهمت بالفساد وارتفع التضخم في عهدها إلى ٢٠٠٪ أسقطت في انقلاب عسكري في ٧٦ فلم تكمل ولايتها وذهبت إلى المنفى الجاهز في مدريد. وفي ٨٤ عادت إلى بلادها لتحضر حفل تسلم الرئيس

المدني راوول الفونسين الذي دفع الاتهامات عنها مقابل وعدها بإنهاء معارضة حزبها. وفي ٨٥ استقالت من رئاسة الحزب المنقسم اثنين منهية حياتها العامة بعد تعرضها لمحاولة اغتيال بقنبلة تزن ٤٥٠ غراماً في الطائرة التي كانت ستقلها إلى إسبانيا، وكانت تؤمن بالتنجيم. فهل قالت لها النجوم أن رنين الكؤوس ودخان السكائر في الملاهي لم يدرباها لتكون في القصور رئيسة»؟.



مارغريت تاتشر

ابنة البقّال التي أصبحت المرأة الحديدية

بين أوائل سنة ١٩٧٩ تاريخ استلام السيدة مارغريت تاتشر منصب رئاسة الوزارة في بريطانيا وأواخر تشرين الثاني ١٩٩٠ تاريخ انسحابها من رئاسة حزب المحافظين وبالتالي من منصبها الرسمي ١١ عاماً مليئة بالأحداث. ولا عجب في أن يكون عقد الثمانينات هو عقد التاتشرية في بريطانيا نظراً للدور الذي لعبته «المرأة الحديدية» على الصعيدين الداخلي والخارجي.

وبقاء تاتشر في منصبها طيلة ١١ عاماً وهو رقم قياسي دليل على نجاحها في إدارة دفة البلاد في وقت كانت تشهد بريطانيا حالة ركود اقتصادي وتضخم كبير.

بجانب ذلك شكل انتصار تاتشر في حرب المالوين مع الأرجنتين عام ١٩٨٢ مفترقاً مهماً للمرأة الحديدية حيث اكتسبت شعبية كبيرة في المجتمع البريطاني. وقد استطاعت تاتشر تخطي العقبات التي واجهتها داخل حزب المحافظين ومع حزب العمال المعارض والنقابات العمالية ومع الجيش الجمهوري الإيرلندي إلى حد تعرضت فيه إلى عدة محاولات اغتيال نجت منها بأعجوبة.

والآن بعد انسحابها من معترك الساحة السياسية يبدو أن زوج تاتشر دنيس تاتشر من أكثر المهللين لهذا الانسحاب فعندما كانت تحتفل بمرور عشر سنوات على توليها منصب رئاسة الحكومة. وهي الفترة التي وصفتها بأنها أجمل سنوات حياتها سئل دنيس عما إذا كان سعيداً فقال: «إنني لست واثقاً من ذلك» غير أنها «لكزته» على الفور وقالت: «إنك بالطبع سعيد بذلك يا عزيزي».

بداية النهاية:

سادت الشكوك والانقسامات صفوف حزب المحافظين الحاكم بحيث لم يتورع معه أحد النواب وهو سير أنطوني مير عن ترشيح نفسه في كانون الأول ١٩٨٩ أمام مارغريت تاتشر في الانتخابات التي تجري سنوياً لاختيار زعيم الحزب والتي ظلت حتى ذلك الحين مجرد طقوس شكلية. سير أنطوني مُنِيَ بهزيمة منكرة، لكن ستين نائباً محافظاً من بين ثلاثمائة وأربعة وسبعين قد رفضوا تجديد ثقتهم بالمرأة الحديد.

أضف إلى ذلك «ضريبة الرأس» الإجراء الذي شكل العلامة المميزة لفترة الولاية الثالثة لتاتشر، إذ ألغت الضريبة المحلية السابقة التي كانت تقدر على أساس القيمة الإيجارية للمسكن وتدفعها كل وحدة ضريبية أي كل رب أسرة، وحل محلها مبلغ ثابت يتعين على كل مواطن راشد سداده. وقوبلت المبادرة بثورة حقيقية وأحدثت الضريبة الجديدة انقساماً عميقاً في صفوف النواب المحافظين.

مأزق اقتصادي:

ماذا حل بالأعجوبة الاقتصادية التاتشرية؟ الازدهار الاقتصادي الذي ساد البلاد عام ٨٧ ـ ٨٨ واقترن بخفض ضرائبي، أدى إلى ارتفاع المداخيل بشكل ملحوظ وبالتالي إلى رغبة ملحة للاستهلاك، المدفوع ديناً وليس سلفاً مما دفع إلى خلق حال بلبلة وإلى تراجع سعر الجنيه بدأ الاقتصاد البريطاني يعاني مأزقاً كبيراً والخطر الأكثر إلحاحاً هو التضخم الذي سجل أعلى نسبة بين دول المجموعة الاقتصادية الأوروبية بحيث تخطى ٩٪.

تحول في مسار الرياح السياسية:

وثمة سبب آخر يفسِّر الصعوبات التي واجهتها تاتشر هو التغيير في سُلَّم الأولويات السياسية والاقتصادية في الداخل والخارج، فيما بدأت أوروبا تشهد تغييرات جذرية وولّت الحرب الباردة، وبرزت موضوعات سياسية مختلفة كل الاختلاف عن تلك التي كانت تحتل مكان الصدارة في السبعينات وأوائل الثمانينات.

أتت هزيمة الحكومة المحافظة مفاجئة في مجلس العموم في آذار ١٩٩٠ وكانت الهزيمة الأولى منذ الانتخابات العامة عام ١٩٨٧. وشكلت الهزيمة نكسة لرئيسة

الوزراء في الوقت الذي كان من المقرر أن تواجه تاتشر الاستياء الشعبي بسبب إدخال ضريبة محلية جديدة (بول تاكس) وتمرداً متصاعداً في صفوف المحافظين.

استقالـة هـاو:

في بـداية تشرين الثـاني الحالي استقـال فجأة نـائب تاتشر رئيس مجلس العمـوم السيد جيفري هاو «بسبب خلافات متزايدة مع السيدة تاتشر حول الدور الـبريطاني في أوروبا». ووصف مراقبون سياسيون بريطانيون استقالة هاو بالضربة القاضية لحكومـة تاتشر.

وبخروج هاو من الحكومة فقدت تاتشر آخر رجل من أعضـاء حكومتهـا الأولى الذين تساقطوا الواحد تلو الآخر خـلال السنوات الإحـدى عشرة الماضيـة، وخروجـه بالمعايير السياسية والحزبية في بريطانيا وضع حزب المحافظين للمرة الأولى منذ ١٦ عاماً في مواجهة أهم مسألة حزبية وهي البحث الجـدي عن بديـل لتاتشر لاستـلام زعامـة الحزب.

واستقالة هاو مثل معظم استقالات أعضاء الحكومة السابقة، تعود إلى الخـلاف مع تاتشر حول الموقف من أوروبا، والتباين في تفسير توجهات بريـطانيا نحـو الوحـدة والتنسيق الـوثيق بـين دول المجمــوعـة الاقتصــاديـة الأوروبيــة وتعكس سلسلة من الانشقاقات داخل حزب المحافظين، والنـاخبون الـبريطانيـون يمقتون عـادة النزاعـات الـداخلية في الأحـزاب السياسيـة وهي بالنسبـة إليهم مصدر ضعف وعيب سيـاسي، وهذا هو السبب الذي أدى إلى إبقاء حزب العمال المعارض خارج الحكم منـذ ١٩٧٩ وإن كان قد بدأ يتعافى من نتائج الانشقاقات الداخلية التي أضعفته.

بدايـة المشـوار:

في شبـاط ١٩٧٥ حملتها ثـورة صغيرة في السيـاسة الـبريطانيـة إلى زعامـة حزب المحافظين، وفي أيار كانت أول رئيسة للوزراء في التاريخ البرلماني البريطاني الذي عـلى تاريخه تاج سبعة قرون.

مـارغريت هيـلا روبرتس تـاتشر ولدت في ١٩٢٥ في منـزل ذويهـا فـوق دكـان الوالد، قيـل عنها «ابنـة البقال التي أصبحت رئيسـة للوزراء». ووالدهـا سار في درب

السياسة وربما مهده لها على نحـو ما. كـان مستشاراً وقـاضياً ومحـافظاً لمنـطقة غـرانتام ومؤسس نادي الروتاري، تقول عنه ابنته: «كـان يوفـر لي كل الكتب التي أطلبهـا ولم أستـطع الذهـاب إلى حفلة راقصة قبـل الجامعـة»، وإذ أخذت شيئـاً من أبيهـا فـإنها أخذت حب الموسيقى من أمها التي كانت خياطة قبل الزواج.

كانت طفلة واثقة وطموحة. وفي المرتبة الأولى في مدرسة غرانتام وكـابتن الفرق الرياضية أو مساعدة الكابتن، في العطل ساعدت أباها في الدكان، وطالعت في أوقات الفراغ في السياسة والشؤون الدولية. وميولها لم تكن صبيانيـة فقط، فدرست البيـانو، وشـاركت في كورس بـاخ في جامعـة أوكسفـورد حيث درست الكيميـاء وأشعـة اكس بمنحة. انتخبت رئيسة جمعية المحافظين في الجامعة وحازت الماسترز.

وكانت باحثة كيميائيـة، وتزوجت في ١٩٥١ دنيس تـاتشر الذي كـان عضواً في منظمة دارتفورد المحافظة. كان ضابطاً في المدفعية الملكية ثم مديراً لشركات عـدة بينها شركـة نفط، أنجبت توأمـين؛ مارك وكـارول، وشجع زوجهـا طموحـاتها السيـاسيـه فدرست الحقوق ومارست المحاماة، وفي ١٩٥٩ إلى مجلس العموم عن منطقة فينشلي. وكانت خطيبة بارعة فعينت ناطقـة باسم المحـافظين سـواء شكلوا حكومـة أم حكومـة الـظل. في ١٩٧٠ وزيرة الـتربية والتعليم، وقـال نائب عـمالي إنها فعلت بالـتربيـة في بريطانيا ما فعله أتيلا بالحضارة الغربية. رأى خصومها سلوكها في الوزارة نخبوياً، مذ خفضت المساعدات للتعليم العالي وزادت ضبط الحكومة للاتحادات العمالية لإبعادهـا عن السياسة. واعترف لها الجميع بالفضـل في التركيـز على صفـوف الحضانـة والمرحلة الابتـدائية وزيـادة عدد المعلمـين وتسهيلات التـدريب. وزادت ثمن وجبة الغـداء في المدارس وكانت لها قصة مع الحليب. ألغت الحصة المجانية من الحليب لثلاثة مـلايين طفل ونصف مليون بـين السابعـة والحاديـة عشرة. سميت بـ «السيدة تـاتشر خاطفـة الحليب»، فردت أنها كانت تدفع ثمن الحليب عندما ذهبت إلى المـدرسة، ولا عـلاقة للحليب المجاني بالتعليم. وعندما حاولت بعض المدارس الالتفـاف على القـرار بدفـع ثمن الحليب من الضرائب والاحتفاظ بمجانيته للأطفال أصدرت قانوناً مانعاً.

وخسر المحـافظون في قيـادة ادوارد هيث ثلاثـة انتخابـات من أربعـة، فغضبت وترشحت ضده وكان «فوز سـاحق تاريخي». في ١٩٧٩ خـطت خطوة أعـلى وتسلمت

رئاسة الوزراء التي جددت لها ثلاث مرات آخرها في ٣ حزيران ١٩٨٨. كانت الوحيدة فازت ثلاث مرات متتالية رقماً قياسياً سبقت به الليبرالي هربرت اسكويت، من ١٩٠٨ إلى ١٩١٦. جالت في الشرق والغرب وكانت أول رئيس وزراء بريطاني يزور تركيا، والحليفة الوفية لأميركا رونالد ريغان.

في ١٩٨٣ اختارها المستمعون إلى هيئة للإذاعة البريطانية امرأة السنة. أتت سعيدة إلى العزيز دنيس الذي لا يمانع السير وراءها في المناسبات الرسمية. في ١٩٨٤ حاول الجيش الجمهوري الإيرلندي اغتيالها بوضع قنبلة في الفندق حيث عقد المؤتمر السنوي للحزب. وكانت محظوظة ويبدو أن أحدهم فوق يحبها. تابعت، باسمة «لإعادة الهيبة إلى بريطانيا، واسترجاع القيم التقليدية التي جعلتها مرادفة للعدالة والصدق والاحترام»، يمكن نقاشها بالطبع، لكن السيدة مقتنعة. لها غالبية مريحة في مجلس العموم، وحكومتها نظفت من المعارضين، والوضع الاقتصادي تحسن وصار أول في أوروبا. لا يريد الإنكليز، الذين ما عادوا متعصبين كثيراً، أكثر من ذلك. وإن ضربت النقابات التي قلصت هي ذات القبضة الحديد نفوذها. لم تؤثر عليها اتهامات إلى ابنها مارك بالاستفادة من منصب أمه لدى شركات النفط، ربما الأمر ما عاد مهماً لمارك مذ تزوج ابنة مليونير أميركي. راتبها خمسون ألف باوند، وراتب أنطوني ولسون، الشريك في مؤسسة حسابات، ٧٥ ألفاً لمنصب رئيس إدارة الحسابات الحكومية. لكنها لا تتوقف كثيراً، ولا تزال تستعذب، كل يوم بعد الظهر، حبة شوكولا واحدة، ووجدت الوقت أخيراً لتفرح عن الشاعرة فيها نشرت قصيدة من بيتين في كتاب ريعه للأطفال ضحايا الجوع في إفريقيا، يقول المختصر المفيد:

سهل أن تكون البادىء ولكن أيمكنك الاستمرار
سهل أن تبدأ عملاً لكن الصعوبة متابعته بإصرار

تريد أن تبقى في الخامسة والثلاثين طوال عمرها، وربما فعلت. لا تزال كما كانت منذ ظهرت من تسعة أعوام. التسريحة المنضبطة، تايور التويد المحافظ، والخطب المعدة بعناية. تعرف طريقها إلى الناس، شخصياً وعلى التلفزيون. مجتهدة كالنحلة وشجاعة كمحارب قديم. بعيداً عن السياسة تحب الطبخ والاعتناء بالبيت واستقبال الزوار. ليست متعصبة نسائياً إذا نظرنا إلى رأيها دون تعصب. «في

السياسة، إذا أردت شيئاً يقال اسأل رجلاً، وإذا أردت شيئاً يعمل، اسأل امرأة». وسألتها بريطانيا ثلاثاً.

الكلمة للرجال والفعل للنساء:

سواء كانت محبوبة أم لا، لا بد أن نعترف بأهمية وتأثير رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارغريت تاتشر. إنها تلك التي اقترن اسمها بلقب «المرأة الحديدية». فمنذ أكثر من عشر سنوات قضتها في الحكم، سلبت الأنظار وأصبحت محط اهتمام العالم أجمع خاصة في ما يتعلق بشخصيتها وتصلّبها.

وبالطبع لا يزال العالم يتذكر النزاع في جزر المالوين سنة ١٩٨٢. فقد كانت انكلترا ضد أي تدخل عسكري، ونصحها مستشاروها بعدم الدخول في حرب مع الأرجنتين، لكنها تصلبت في موقفها ووقفت في وجه الجميع، واتخذت قراراً بالمواجهة وانتصرت، وبذلك ضمنت انتخابها لولاية ثانية.

مارغريت تاتشر امرأة ذات إرادة قوية وحازمة، القرار لها وحدها، مما دفع البعض للقول، إن تصلبها ناتج عن طفولتها القاسية وتربيتها الصارمة. في منزل والديها لم تشاهد الماء الجاري، ولم تعرف التدفئة المركزية. والدها بقال، منعها مرة واحدة من الاستفسار عن مظاهر البؤس وسبب الفقر قائلاً لها: «لا أستطيع» و«هذا أمر بالغ الصعوبة».

أما نتيجة هذه التربية فشهدها العالم أجمع. مارست السياسة كمن يمتطي حصاناً عنيداً وشرساً، دون تراجع أمام الحواجز. سواء فشلت أم انتصرت لا شيء يردعها عن تنفيذ القرارات التي تتخذها لا تتراجع رغم نصائح مستشاريها ومعاونيها حتى لو أدى ذلك إلى استقالة بعض الوزراء من حكومتها، أو وفاة البعض من المضربين عن الطعام.

ولكن رغم ذلك فالسيدات الإنكليزيات يكرهنها، وهي التي أعلنت يوماً: «إذا أردت الكلمة فاسأل الرجال وإذا أردت الفعل فاسأل النساء». وبعيداً عن تاتشر نرى النساء يبحثن عن السلطة في جميع المجالات، ومن أجل السلطة يتسلحن بالقوة والإرادة ويسحقن كلّ ما يعترض طريقهن، ويصلن إلى درجة يتجاوزن فيها الرجال، وذلك سواء كن في السلطة أو في الجيش أو القوات المسلحة أو الميليشيات.

أصبحت تاتشر أكثر رؤساء الوزارة تطرفاً في العصر الحديث وتركت بصماتها التي ستدوم طويلاً على الحياة والمجتمع في بريطانيا في الثمانينات، أصبحت من أقوى شخصيات العالم الغربي، وكأن الصدفة تلعب دورها مع تاتشر التي أطلق عليها أعلام الزعيم السوفياتي الراحل ليونيد بريجنيف اسم «السيدة الحديدية».

وتاتشر التي تنبأت في شهر آذار من عام ١٩٧٣ أنها لا تعتقد بإمكان «وصول سيدة إلى الحكم» في بريطانيا خلال فترة حياتها.

وصلت إلى مركز رئاسة الوزارة لمدة ١١ سنة وهي أطول مدة يقضيها رئيس وزراء بريطاني في الحكم. ومما ساعدها على البروز، غياب حضور الآخرين. مثل الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران ورئيس الحكومة السابق جاك شيراك بدخولهما الانتخابات في أيار ١٩٨٨. ولا شك في أن تاتشر صادفت حظوظاً أخرى في الأعوام الماضية تمثلت في الوهن الذي أصاب الرئيس الأميركي السابق رونالد ريغان من جراء فضيحة «إيران غيت» عام ١٩٨٦، كما أن ميتران ـ المنافس الأوروبي الأقرب ـ قد اضطر للتنازل عن جزء من هيبة زعامته عندما قبل بمشاركة الحكم مع المحافظين الفرنسيين الذين حصلوا على أغلبية في البرلمان الفرسي عام ١٩٨٦.

وعدا عن المؤهلات، المطلوب توافرها في كل سياسي، فإن تاتشر تتمتع بصفات شخصية قلّ مثيلها بين زعماء العالم، وهذه الصفات تجعل بعض من يتعامل معها، خصوصاً أعضاء حكومتها، يقولون عنها إنها «ديكتاتور»، والبعض الآخر يقول: إن عقليتها تماثل عقلية «حكام دول الحزب الواحد أو. . . الملك». فالمعروف عن تاتشر أنها تتدخل في كل الوزارات، وهي غالباً ما تتجاوز الوزير للاتصال مع الخبراء في الوزارات المختصة للاطلاع على أمر ما. وهي ربما من أكثر رؤساء حكومات بريطانيا في هذا القرن الذين قاموا بتغيير وزرائهم بشكل لاحق. وقد كان هذا الأمر ملحوظاً بشكل خاص في وزارة الخارجية. ولأنها لا تستطيع التعامل مع الوزير الذي يتمتع بشخصية مستقلة. فإن مصير هذا الوزير يكون إما الإقالة أو الطلب منه أن يستقيل. وهذا ما حصل لوزيري خارجية سابقين هما لورد كارنغتون وفرانسيس بيم ووزير العمل جيمي براير وآخرين، ومن أصل أعضاء حكومتها الأولى التي شكلتها عام ١٩٧٩، بقي فقط خمسة وزراء منهم في حكومتها الثالثة التي شكلتها في حزيران الماضي.

وتاتشر، البالغة من العمر ٦٥ عاماً، تقرأ كثيراً وتعمل ساعات طويلة وبحدود ٢٠ ساعة يومياً، ومعروف عنها أن عطلتها السنوية لا تزيد عن أسبوع واحد. وعلاقاتها داخل وخارج مؤسسات الدولة تقوم في معظمها على أساس شخصي وليس على أساس حزبي أو برلماني. والآن بعد مرور أكثر من ٩ سنوات على وجودها في الحكم تمكنت من تعيين عدد كبير من «جماعتها» في الوزارات المختلفة، وقد بلغ عدد هؤلاء ٢٤ وكيل وزارة من أصل ٢٨. والإجراء الملفت للانتباه الذي اتخذته تاتشر في ١٩٨٣ هو تعيينها لسفير بريطانيا السابق في الأمم المتحدة أنطوني بارسون مستشاراً سياسياً لها لأنها لم تكن قادرة على التعامل مع وزيرها بيم في تلك الأثناء لأنه كانت له آراء مستقلة تعكس وجهة نظر خبراء وزارة الخارجية. وسمحت تاتشر لمستشارها بارسون بحضور جلسات الحكومة والمشاركة في المناقشات على حساب الوقت المخصص لوزير خارجيتها. والديبلوماسي المتقاعد بارسون لم يتحمل حدة هذه المناكفة التي لا دخل له فيها فاستقال بعد بضعة أشهر.

إلى ذلك، اتخذت تاتشر مواقف متشددة من مسألة توحيد أوروبا ومن مسألة توحيد النقد الأوروبي وكانت تغرّد خارج السرب الأوروبي بالنسبة لتوحيد القارة الأوروبية. وكانت تاتشر تعتبر من أشد حلفاء الولايات المتحدة في العالم ومن أشدّ المتحمسين للسياسة الأميركية الخارجية، فتاتشر أيّدت الموقف الأميركي من الحرب العراقية - الإيرانية التي لم تنجو أبداً من آثارها حيث كان للرعايا البريطانيين في لبنان نصيبهم من عمليات الخطف. فخطف البريطانيين ساهم بشكل أو بآخر بالفتور بين لندن وطهران، وما لبث هذا الفتور أن وصل إلى القطيعة التامة عام ١٩٨٩ على أثر قضية الكاتب البريطاني الهندي الأصل سلمان رشدي مؤلف «آيات شيطانية». ومؤخراً، عادت المياه إلى مجاري العلاقات البريطانية - الإيرانية بعد تسوية الأزمة حيث أعيد فتح سفارتي البلدين.

من ناحية ثانية، شهدت فترة حكم تاتشر قطيعة بريطانية - سورية على أثر قضية نزار الهنداوي الذي اتهمته لندن بمحاولة تفجير طائرة «العال» الإسرائيلية في مطار هيثرو اللندني. وقد اتهمت آنذاك السلطات البريطانية دمشق بتدبير المحاولة على الرغم من النفي السوري القاطع. وقد استطاعت تاتشر مزاحمة الأميركيين بالنسبة لمسألة بيع السلاح إلى العالم العربي حيث نجحت لندن في التوقيع على اتفاقية بيع

أسلحة إلى المملكة العربية السعودية عرفت بـ «اتفاقية القرن» وقيمتها نحو ٢٣ مليار دولار.

وبعيد أحداث الخليج ٩٠، أيّدت تاتشر الحل العسكري ضد العراق لحمله على الانسحاب من الكويت واتخذت مواقف متشددة من العملية العسكرية وأرسلت قواتها إلى منطقة الخليج للتمركز ضمن إطار القوات المتعددة الجنسيات.

على الصعيد الداخلي، شهدت العلاقات بين تاتشر والثوار الإيرلنديين تدهوراً واسعاً إلى حدّ وصلت فيه المواجهة إلى عدة محاولات لاغتيال تاتشر وأهمها الانفجار الذي وقع في فندق كانت تنزل فيه تاتشر عام ١٩٨٤ في مدينة برايتون.

حياة خاصة:

إنها تمارس السياسة مثل ما يمارس الرياضي رياضته المفضّلة. بل إن السياسة هي رياضيتها المفضلة.. لكن بالرغم من كل شيء، فإن «المرأة الحديدية البريطانية» تدافع عن نفسها بكل قوة.

ومهما كانت السياسة التي تتبعها، فإن السيدة «مارغريت تاتشر» هي في البداية امرأة بسيطة في عاداتها الإنكليزية وعندما تقول انكلترا ترسم أمامنا تلك العادات البريطانية التي لا تتغيّر: من الفطور المميّز مع فنجان الشاي «الإنكليزي» وقطعة البسكويت، إلى النزهات في حدائق «هايدبارك» سيراً على الأقدام. و «مارغريت تاتشر» الحاكمة التابعة كانت في طفولتها تعيش في بيت متواضع: والدها بقّال ووالدتها خيّاطة، ولا أثر في البيت للمياه الساخنة حتى في شتاء لندن القارس ولذلك، فإنها اليوم «مقتصدة» بكل معنى الكلمة وتعرف قيمة القرش. بالإضافة إلى ذلك، فإن البريطانيون لم يسمعوا قط أن رئيسة الوزراء أقامت في منزلها الواقع في لندن، رقم ١٠ شارع «دووينغ» حفلة ساهرة أو صاخبة. فهي لا تحب الضجيج، ولا السهر إلا برفقة زوجها. حتى أن الخدم يعرفون ذلك ويسنحبون كل ليلة في الوقت ذاته بعد انتهاء عملهم، ويتركون الزوجين. آنئذ، تقوم «مارغريت» بإعداد وجبات كانت قد حضّرتها بنفسها وحفظتها في الثلاجة، فيقول لها زوجها: «إنك جوهرة!».

اللحظات الأخيرة للمرأة الحديدية:

ماذا عن الساعات الأخيرة قبل مغادرتها «١٠ داونينغ ستريت»؟؟..

«سأستمر في النضال حتى النصر!» هذا ما قالته تاتشر في لحظاتها الأخيرة في الحكم.

في ذلك النهار، في ٢٢ تشرين الثاني وصل «جون واكهام» إلى القصر الرئاسي، إنه قائد حملة تاتشر الانتخابية ويعتبر من مؤيدي وحلفاء تاتشر الحميمين، واعتبرت هذه الزيارة هي الأخيرة والتي تنهي بذلك يوماً انتخابياً عاصفاً. ساعة الحقيقة اقتربت وبدأت النتائج بالظهور تدريجياً.

في صباح ذلك اليوم، استيقظت تاتشر، التهمت طعام الفطور وهي تستمع إلى أخبار الصباح «إنها النهاية» قالت لزوجها دنيس «لم يعد لي أي خيار». اتصلت بمستشاريها المقربين ومن ثم بابنتها كارول الصحافية وبابنها مارك في تكساس. وفي الساعة الثامنة شاع خبر استقالة المرأة الحديدية وبعد حضور أعضاء حكومتها، والدموع في عينيها تلت مارغريت تاتشر بيان الاستقالة.

«سأفتقدها» قالها جورج بوش، «إنها شخصية تاريخية» قالها الناطق باسم الكرملين، «تستحق التصفيق» اعتبر جيسكار ديستان، إنها تلك التي أثارت إعجاب رجال الدول الكبرى، موسكو، واشنطن، طوكيو، بكين، بريتوريا، باريس، القدس، وغيرها من العواصم الكبرى.

واليوم، ماذا ستفعل مارغريت تلك التي لا تحب القراءة ولا سماع الموسيقى والتي كرست طاقتها لدراسة الملفات؟ فمثلاً سنة ١٩٨٤ قضت ليلة عيد الميلاد في دراسة ثلاث آلاف صفحة في ملف يتعلق ببناء مطار ثالث في لندن.

وختاماً وبعد حوالي أحد عشر عاماً على حكم مارغريت تاتشر والذي بواسطته تمكنت من إخراج البلاد من حافة السقوط وجعلت من انكلترا أحد أكبر البلاد الصناعية اليوم: نجاح لم تسامحها عليه الارستقراطية البريطانية، فخسرت بالتالي الانتخابات وأصبح من واجب خلفها ووريثها الاستمرار في تطبيق «التاتشرية من دون تاتشر».

سعيد لأنه زوجها:

ربما تضايق زوج آخر، غير «دنيس تاتشر» إذ كانت امرأته تدير البلاد والمنزل معاً بذات الإرادة والقوة الفولاذية. لكن «دنيس تاتشر» ليس كذلك. فهو بالإضافة إلى أنه غني، وقد ساعدها في بداية مشوارها، نراه دائماً بشوشاً (خاصة أمام الكاميرا) وكثير المزاح والضحك. وهو على ما يبدو سعيد بكونه زوج «مارغريت»، ولا يتضايق أبداً حتى لو كان وراء الكواليس. السر؟ طبعاً إنه يحب تلك السيدة التي بلغت اليوم ستة وخمسين سنة من العمر، (هو يكبرها بعشر سنوات)، والتي أنجبت له توأمين: مارك وكارول (٣٠ سنة).

ولا شك أن هذه السيدة الحديدية الأعصاب، لم تصل إلى الحكم بيوم وليلة، ولم يكن تعيينها لأول مرّة رئيسة وزراء لبريطانيا في العاشر من أيار ١٩٧٩ (وتجديد رئاستها ثلاث مرات خلال إحدى عشرة سنة)، أمراً سهلاً بالنسبة لها. فلقد حققت ما كانت تحلم به في طفولتها وكان زواجها من «دنيس تاتشر» قد أنقذها من الفقر فيما كان وصولها إلى الحكم عبارة عن تحقيق غايتها في الحياة: أن تسيطر وتحكم وتخرج من الواقع الذي كانت تعيش فيه، ذلك الواقع، الذي لا يزال يعيش فيه اليوم الآلاف من البريطانيين خاصة الطبقة العاملة منهم. وهكذا، فإن «ماغي» كما يناديها البريطانيون قد بلغت بطموحها وإرادتها عالم الرجال والسلطة والمال والشهرة. وبذلك أثبتت للجميع، وحتى لزوجها الذي يفرح عندما تأمره بالقيام بشيء ما، والذي بات معتاداً على أوامرها ونواهيها. إنها الأولى في كل شيء. في السياسة والبيت والسلطة والشهرة. وحتى في رياضة ركوب الدراجات النارية التي تهواها ولا تقبل أن يقودها أحد غيرها. وكالمعتاد نرى «دنيس تاتشر» يستسلم لها بابتسامة.



فيغديس فينبو غادوتير

من المسرح لرئاسة ايسلندا

والسيدة فيغديس فينبو غادوتير، الشقراء الناعمة، أول رئيسة منتخبة في العالم. خطت، أول مرة، في القصر، في ١٩٨٠ ولم تغادره منذ ذلك. وبداية المشوار صعبة، إذ تغلبت بفارق ضئيل على منافسها الأقوى الذي نال ٣٢,٢٪ من الأصوات وكانت حصتها ٣٣,٦. فرحت، بانتصارها على ثلاثة رجال في معركة الرئاسة، ولم تكن فخورة بنفسها بل بـ «النساء الإيسلنديات».

مطلقة. تكتفي بابنتها المتبناة وكرسي الرئاسة في تلك الجزيرة الشمالية التي تتوسط الامبراطورية التي غابت عنها الشمس والجزيرة القطبية غرينلاند. كانت مديرة شركة ريكيافيك للمسرح منذ ١٩٧٢ حتى انتخابها. لم تعمل في السياسة، وكان واضحاً أنها المرشحة المفضلة لليسار لمعارضتها الوجود العسكري الأميركي في بلادها ووجود بلادها في منظمة حلف شمال الأطلسي.

لا تتدخل كرئيسة في السياسة، وفق الدستور، وتؤدي الواجبات بحسب المراسيم. ولها صلاحية تعيين حكومة في حال غياب زعيم للأغلبية في البرلمان. ويبدو أن الأمر يرضي الإيسلنديات والإيسلنديين، إذ جددوا لها ثلاثاً آخرها في حزيران ١٩٨٨.



أليزابيث كوب

اللغز الذي يحكم سويسرا

جسم ناحل يمشي بخفة في شوارع برن المقنطرة. سيدة سويسرا تقصد شقتها بعد يوم عمل حافل في مبنى البرلمان الاتحادي. وكما يليق ببلدٍ دخلُ الفرد فيه هو الأعلى في العالم الصناعي لكنه يتحاشى مظاهر الأبهة، ليست هناك سيارة ليموزين سوداء أو مرافقون مترصدون.

في ٢ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٤ أصبحت أليزابيث كوب المرأة الأولى التي تُنتخب عضواً في حكومة سويسرا الاتحادية. ويحكم هذه الأمّة الديموقراطية مجلس اتحادي من سبعة وزراء متساوي الأهمية يمثلون الأحزاب الأربعة الكبرى التي تمارس الحكم يداً واحدة. والرئاسة مداورة سنوياً بين الأعضاء، وفي إحدى السنوات المقبلة ستغدو كوب أول رئيسة تحكم البلاد.

كانت سويسرا، تقليديا، من البلدان الأكثر تمييزاً ضد النسوة. ولم تمنح المرأة حق الاقتراع في الانتخابات الوطنية إلا عام ١٩٧١. كانت كوب آنذاك في الخامسة والثلاثين. وإذ لاحت الفرصة السياسية أخيراً كانت هي إحدى النسوة الأوائل اللواتي سارعن إلى اقتناصها. وغدت عضواً في المجلس المحلي في قرية زوميكون قرب زوريخ حيث ما زالت كوب مقيمة، وهي تؤمها في عطلة نهاية الأسبوع. وقد انتخبت عمدة للقرية في ما بعد.

كثيرون يعتبرون أليزابيث كوب لغزاً. مظهرها أنثوي، وقوامها رقيق. غير أنها قوية العزيمة ومقتدرة وذكية على نحو غير عادي. بعضهم يعتبرها «المرأة الحديد»، لكنها من دون ريب الزعيمة السياسية المحبوبة في سويسرا.

كتب الصحافي السياسي سرب مایر عن «امرأتين تدعيان أليزابيث كوب. الأولى فاتنة مرهفة الحس عفوية في التزامها الإنساني، والأخرى هادئة الطبع متحفظة تركز على الوقائع».

وقد ردت كوب على الذين يبدون اهتماماً بمظهرها أكثر من اهتمامهم بقدراتها: «أنا لست عارضة أزياء الأمة». وحين انتقدت مرة في الصحافة لارتدائها اللباس نفسه أربع مرات متوالية ارتدته مرة خامسة من دون توان. وهي تقول: «إنهم لا يتحدثون عن عدد المرات التي يرتدي فيها الرجال بذلاتهم!».

أثر لا يمحى:

ولدت أليزابيث ايكي في ١٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٦ في زوريخ. وهي من أسرة ثرية ذات تراث في الصناعة والصيرفة والإدارات العامة في سويسرا. كانت أليزابيث ألمعية ولم تجهد نفسها في المدرسة. وكانت مولعة بالتزحلق على الجليد الذي خصصت استراحات الغداء للتدرب عليه. ولم يفت أحداً أن أليزابيث الفتبة ذات جرأة، ويبدو أن مدير المدرسة لم يطق هذا الأمر.

كانت تقود دراجتها في الصقيع مسافة أربعة كيلومترات من قرية موري حيث تقطن عائلتها إلى المدرسة في كيرشنفيلد. ولم يكن مسموحاً أن ترتدي الفتيات سراويل في المدرسة، لكن أليزابيث كانت ترتديها.

ذات يوم التقاها مدير المدرسة في الممشى فنهرها بقسوة: «إذهبي إلى البيت حالاً والبسي ثياباً لائقة».

ومنذ ذلك الحين أظهرت كوب مقدرة سياسية على حسن الإفادة من أسوأ الظروف. فقد ركبت دراجتها إلى البيت وتمتعت ببضع ساعات من الحرية وارتدت أجمل ملابسها وتبرجت وعادت إلى المدرسة سيدة كاملة.

بعد ساعة التقاها المدير في الممشى ثانية، فقال لها متهكماً: «لن تكوني أبداً أكثر من نجمة تزلج. ما الذي جاء بك إلى هذه المدرسة؟ إنك تحرمين صبياً ذكياً مقعده الدراسي».

هذا الظلم ترك فيها أثراً لا يمحى. وهي تذكر: «إن حساسيتي لعدم المساواة ترقى إلى تلك الأيام».

وجة وأم قائدة:

لم تستطع كوب أن تنشط سياسياً في بلد لا يقر للمرأة بدور. ولكن أمكنها الالتحاق بالعسكر النسائي التطوعي حيث اختارت قيادة سيارة إسعاف. وعزمت أيضاً على أن تصبح محامية. باشرت دراستها في زوريخ في ١٩٥٦ عام الثورة المجرية (الهنغارية) حين تقاطر ألوف المجريين إلى سويسرا بعد النهاية الفاجعة للانتفاضة في بلدهم. وقطعت أليزابيث دراستها لسنتين بهدف إدارة مكتب للتلاميذ المجريين ينظم نقلهم إلى سويسرا، إضافة إلى التماس الوظائف لهم والاتصال بأسرهم. وهي تقرّ: «إن بغضي للاستبداد يرقى إلى تلك الأيام».

في غضون ذلك التقت المحامي اليافع هانس كوب. وصممت على الإسراع في إتمام دراساتها وتخرجت بأعلى درجات التفوق عام ١٩٦٠. وبعد فترة قصيرة تزوجت هانس وانتقلا إلى زوميكون. وكانت أليزابيث، جرياً على سجيتها، ربة بيت مندفعة وأماً صالحة لابنتها بريجيت. وهي تؤكد: «لم أشعر بالضجر في البيت تلك السنوات، فتدبير المنزل يوفر فرصاً للإبداع كأي عمل آخر. لقد تعهدت البستان وحفرت البلور وطهوت وأحسنت رعاية ابنتي». ونشطت أيضاً في المنظمات النسائية التي كانت تضغط مطالبة بحقوق الاقتراع.

عام ١٩٧٠ طلب من أليزابيث أن تمثل المجلس المحلي كعضو في الحزب الديموقراطي المحافظ ذي الاتجاهات التجارية. وانتخبت كأول امرأة عضو في الحزب وبعد أربع سنوات أصبحت رئيسة المجلس في زوميكون مما جعلها أول امرأة تتولى هذا المنصب في كانتون زوريخ. وانتخبت للمنصب نفسه مرتين، ثم تخلت عنه لدى انضمامها إلى المجلس الاتحادي عام ١٩٨٤.

تقول كوب: «إن الإدارة المحلية تؤمن أفضل إعداد لعضو المجلس الاتحادي. فجهازها مماثل لجهازه، وينبغي على العضو أن يتمرس في القيادة متغلباً على المعارضة. فإدارة اجتماع يحضره ٨٠٠ شخص ليست سهلة».

والواقع أن جوهر سويسرا هو في مجموعاتها الأهلية التي تزيد على ٣٠٠٠ وتتنوع لغوياً وعرقياً ودينياً ولها إداراتها الخاصة ونظمها الضريبية وشرطتها. وهي ديموقراطيات مباشرة تترك لمواطنيها القول الحاسم في القرارات الرئيسة. وقد ذاع صيت كوب لرزانتها وسياستها الذكية في إدارة المناظرات.

قانون المساواة:

كانت كوب أول امرأة تنتخب عام ١٩٧٢ عضواً في المجلس التربوي الكانتوني. وسرعان ما انطلقت تحض على مزيد من المساواة في تعليم الفتيات، إذ لم يكن مشروعاً، أن يُتوقع نجاحهن في امتحانات الهندسة عندما تتسنى للشبان ساعات أكثر للدرس فيما ينصرفن هن إلى دروس الحياكة. وأيدت أيضاً المدارس النهارية، وهي موضوع تختلف حوله الآراء في بلد كسويسرا حيث يعود الأولاد إلى البيت ظهراً لتناول الغذاء مما يحجز النسوة في بيوتهن.

عام ١٩٧٣ حدثت اضطرابات في مدارس زوريخ. وبغية تسكين الجدل حظر المجلس التربوي استعمال الأبواق المكبرة الصوت مما أفضى إلى اجتماع استنكاري في فرويدنبرغ، وهي مدرسة في عهدة أليزابيث. وعلى الأثر استدعي كل تلميذ فاعل في الاضطرابات على حدة. وعلل أحدهم موقفهم كما يأتي: «لقد أقسمنا ألا نبوح بشيء، إذ كنا نرتاب في استجواب يؤدي إلى الوشاية بزملائنا. لكن السيدة كوب كانت تود أن تعرف ما أفكر فيه، وهذا أمر لم آلفه من قبل. لقد حادثتني مدة ساعتين».

في الختام عاد السلام باستمرار حظر الأبواق وباتفاق عدم طرد أي تلميذ. وفي ذلك تقول كوب: «ينبغي على الإنسان أن يحسن الإصغاء».

بحلول ١٩٧٩ باتت كوب مستعدة لمرحلة أكبر. وأثر انتخابها من دون صعوبة في البرلمان الوطني انتقلت إلى برن. وسرعان ما وطدت مكانتها قضيتان جعلتاها من السياسيين الرواد، وهما: الحقوق المساوية للمرأة، وحماية البيئة.

في ١٩٨١ أضافت سويسرا تعديلاً إلى دستورها يلحظ المساواة في الحقوق بين الجنسين. وخلال السنوات التالية أعيد صوغ قانون الأسرة، فغدا الزوج والزوجة شريكين متساويين مما أبطل الحق القانوني الذي كرَّس الرجل رأساً للعائلة يتخذ القرارات الحاسمة. وناضلت كوب بشدة ضد المشككين الذكور الذين حاولوا تخفيف القانون للحافظ على امتيازات للزوج. فردت موصية بأن «الأمر موكول إلى الزوج والزوجة، لا إلى المشرعين، ليقررا معاً كيف سينظمان زواجهما».

وكانت إحدى مهماتها كعضو في المجلس الاتحادي قيادة الكفاح الحكومي لإقرار

قانون الأسرة بعدما فرض الخصوم إجراء استفتاء وطني. وتكللت جهودها بـالفوز، إذ غدا القانون سارياً في الأول من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨.

حملة شرسة:

تشعر كوب بتعاطف حميم مع الطبيعة يكشفه خطاب ألقته في المزارعين ذات مرة: «أحياناً أهرع ظهراً خارج المدينة إلى حيث الهواء العليل، وأتنفس بعمق. وعند تقاطع الطرق أختار دربي إلى الروابي، فأنطلق بخطوات واسعة ورأسي متحرر للأفكار الجديدة. وفي حقل محروث أقف لأستشعر التربة البنية اللامعة».

وواجهت محاذير سياسية. ولكن خلال نضالها لإنقاذ الغابات البائدة، غدت نصيراً مجاهراً بضرورة تزويد السيارات ضوابط تقلل من نفث الغاز. هذه الضوابط هي الأكثر تشدداً في أوروبا اليوم. وهكذا أصبحت كوب من المحافظين على الخضرة، ذات حظوة لدى عدد كبير من أفرقاء المعارضة. وبقيت تحظى باحترام جماعتها السياسية مع أنها كثيراً ما اختلفت معها، إذ أنها لم تلحّ أبداً على اعتماد حلول متطرفة.

بحلول العام ١٩٨٤ باتت سويسرا مهيأة لقبول امرأة في حكومتها. لم تكن أليزابيث كوب الجنس الملائم فحسب، بل أثبتت أنها ندّ لأي سياسي لكونها محامية وذات موهبة تنظيمية. لا ريب في قدرتها على إدارة مصلحة اتحادية كبرى. وهي مقبولة من الحزب الديموقراطي الاجتماعي والجماعات اليسارية بفضل أوراقها «الخضراء». ومن وجهة أخرى فإن حزبها مطمئن إلى دعمها لنظام الاقتصاد الحر والدفاع الوطني.

كانت الحملة الانتخابية شرسة ودنيئة أحياناً. وأصبحت مؤهلات زوجها موضوع الحملة ضد ترشيحها. وأشارت أليزابيث إلى استحالة بلوغ النسوة القمة ما دام الاعتبار الأساسي هو لأزواجهن وليس لهن. وحتى اللحظة الأخيرة بقي انتخابها غير مؤكد.

اليوم تود وزيرة العدل والشرطة في سويسر ألا تعيش يوما كآخر إذ تعكف على دراسة مواضيع حساسة كمراجعة الدستور السويسري وملكية المزارعين للأراضي والإتجار في أسواق العملات وحقوق الطبع وغسل النقود والهندسة الوراثية. وهي مدركة جداً أن القرارات المتخذة في إداراتها ستساعد في صنع مستقبل سويسرا.

زهـرة صخريـة:

ومنذ تسلمت كوب منصبها تربعت على الكرسي أكثر من مرة. وكـانت المعضلة الأكثر إثارة للجدل التي واجهتها، هي معالجة وضع اللاجئين الذين وفـدوا إلى أوروبا من بلدان العالم الثالث. ولسويسرا تاريخ طويل من الحرية لكونها ملجأ للمضطهـدين السيـاسيين. لكن صغـر رقعتها لا يتيـح لها أن تستقبـل كل من يقـرع بـابهـا. وتمييـز اللاجئين الذين يحدق بهم الخطر فعلاً عن الذين ينشدون الإفادة من المزايا الاقتصادية للبلد، ليس بـالأمر السهـل. وقد تعـرضت كوب لانتقـادات بالغـة من رجال الـدين ومنظّمات حقوق الإنسان لموقفها الحاسم. وهي تقول في ذلك: «أنا أكترث طبعاً للذين لا يُقبلون كلاجئين. لكني لا أسمح لنفسي بالتأثر بمشاعر كهذه».

هـذه القـدرة عـلى التعـالي فـوق العـواطف لبلوغ قـرار عقـلاني هي إحـدى خصائصها.

غير أن كوب عضو في فريق، وهـذا وضع نـاجح في حكـومة سـويسرا الفريـدة المؤلفة من سبعة أشخـاص. ويجتمع الـوزراء أسبوعيـاً خلف أبواب مغلقـة يصوغـون حلولاً وسطى تقبلها الأحزاب السياسية الأربعة التي يمثلون.

وبصرف النـظر عما إذا كـان الوزيـر موافقـاً على النتيجـة أم لا، ينبغي عليه أن يظهر موافقة علانية. تقول كوب: «لا يسع المرء أن يتنصل من قرار اتخذ جماعياً. هذا هو قوام نظامنا السياسي».

ولدى سؤالها كيف تود أن يرد ذكـرها في التـاريخ تجيب مـازحة: «ثمـة مدخـل واحد مضمون. فأنا أول امرأة في المجلس الاتحادي، وسوف أبقى كذلك».

لعل هذه القصيدة الأثيرة لديها التي نظمها زوجها في عيد ميلادها الخمسين أكثر إفصاحاً:

يا زهرة، تشبثي بالصخر
وغلغلي ألياقك في الشقوق
وجذورك في الجروح
أنت تحفظين التربة السوداء القليلة.



بنازير بوتو
(استمرار حكم القتيل)

وفي باكستان لم ينس البعض تلك الفتاة البالغة من العمر ٢٧ سنة، في ذلك اليوم من العام ١٩٧٩ تقدمت من قبر والدها علي بوتو رئيس الوزراء الباكستاني السابق الذي قضى اغتيالاً، وتحدت بذلك قوات الجنرال ضياء الحق. وقالت والدموع في عينيها «لقد قتلتم والدي، اسمحوا لي فقط أن أبكيه». ومن حينه خطت بنازير بوتو خطواتها الأولى في الطريق الطويل التي قادتها في ما بعد إلى السلطة. وبعد، لا المنفى ولا سنة من السجن في غرفة مظلمة، تمكنا من كسر إرادتها وتصلبها. على العكس، لم تنس كلمات والدها الأخيرة: «لا يجب أن تذرفي الدموع، سأستمر في الحكم من خلالك». ووصلت الرسالة ونفذتها.

وبعد عودتها من المنفى في لندن، استقبلها الشعب بمرارة ولاقت تأييداً واسعاً وعلمت بنازير أن الوقت قد حان للقضاء على النظام العسكري للجنرال ضياء الحق، وتضاعفت شعبيتها، واعترضتها الصعوبات الواحدة تلو الأخرى، لكنها أصرت على التقدم، لا يعترضها ولا يقف في وجهها شيء.

ومن أجل الوصول إلى هدفها تخلت نسبياً عن أفكارها وثقافتها الغربية، احتراماً ومحافظة على التقاليد الإسلامية ولم تعد تظهر في الأماكن العامة سوى مرتدية وشاحاً أبيض يمتد من رأسها حتى كتفيها.

واحتراماً للتقاليد العائلية تزوجت من رجل اختارته عائلتها. وفي ربيع العام ١٩٨٨ أعلنت بأنها حامل، فما كان من منافسها الجنرال ضياء الحق سوى تحديد تاريخ الانتخابات العامة في الأسبوع المتوقع للوضع في شهر تشرين الثاني، بقصد التحدي والتخفيف من إرادتها، لكن ما يجهله هو أن بنازير بوتو استبقت الأحداث و«زورت» الحقائق وولد طفلها في شهر أيلول!!.

وقتل الجنرال ضياء الحق في حادث طائرة، وبذلك أصبحت بنازير لوحدها في الساحة السياسية في مواجهة حادة مع التيارات المتخلفة، والأديان والتقاليد.

ولدت بنازير في ١٩٥٤. سليلة أسرة إقطاعية، وحفيدة السر شاه نواز بوتو، رئيس وزراء مقاطعة برسلي الهندية قبل انفصال باكستان. تولى والدها رئاسة الوزراء من ١٩٧١ وإلى ١٩٧٧، وناشد رؤساء العالم ضياء الحق الامتناع عن إعدام الذي كان يعتني بجروح بلاده بعد انفصال بنغلادش عنها. قبل ساعات من إعدامه، كانت بنازير الزائرة الأخيرة. قال لها وشفتاه متورمتان من الضرب: «أنا وأنت من طينة واحدة. كوني قوية وشجاعة أنا واثق أنني سأحكم ثانية من قبري من خلالك أنت». وأعدم، وسجنت ووضعت في الإقامة الجبرية وغادرت إلى المنفى مع أمها نصرت، الأميرة الهندية التي فازت أيضاً في الانتخابات مع بنازير.

هي «بينكي» للأصدقاء، لبشرتها الزهرية اللون. درست في الولايات المتحدة حيث شاركت في التظاهرات ضد حرب فيتنام، وفي بريطانيا حيث تفوقت بدراسة الاقتصاد والسياسة، ورأست اتحاد الطلبة، وكانت أول أجنبية تحقق ذلك. بجانب الكتاب، أغرمت بالسينما والحلوى التي لم تؤثر على قوامها الناحل.

كانت الأقرب إلى والدها إذ أراد لها مستقبلاً سياسياً يعطي نموذجاً للمرأة الباكستانية في الرقي والتقدم. وفي التاسعة عشر اصطحبها إلى لقاء قمة مع أنديرا غاندي. قال لها مراراً إنه يريدها أنديرا باكستان، واتبع في تربيتها، يقال، طريقة مشابهة للتي استخدمها جواهر لال نهرو مع ابنته. شقيقها شاهنازاد مات مسموماً في ظروف غامضة في كان الفرنسية، وشقيقها الأكبر مورتازار لجأ إلى دمشق إثر اختطافه طائرة باكستانية مع شاهنازاد. وتربط عائلة بوتو صداقة بالمسؤولين في دمشق.

عودة الزعيمة

كان عليها أن تكون، في المنفى، قائدة لحزب الشعب الباكستاني. تشعبت بأفكار الديموقراطية والعدالة السياسية في مجتمع من قلة غنية وأكثرية معدمة، ونسبة الأمية فيه ٧٥٪ والتركة ثقيلة. ضياء الحق ترك باكستان في وضع أسوأ مما كانت في الستينات عندما كانت اثنتان وعشرون عائلة تتحكم في ثلثي ثروة البلاد. بلغت الديون ١٦ مليار دولار، ولم تبق أموال، رغم المساعدات، لبناء المستشفيات والمدارس

وتوفير المواد الغذائية. وتزيد الطين شبكة من تجار المخدرات الذين حققوا المليارات وسلطة كافية لتدبير المؤامرات وعرقلة خطط الإصلاح.

عادت إلى بلادها في ١٩٨٦ بألق زعيمة المعارضة وصورة والدها وعرقلة السير. صرف موكبها عشر ساعات على ثلاثة عشر كيلومتراً. لم تكن تنوي الانتقام من ضياء الحق، قالت: لكنها آبت إلى لاهور حيث سقط أكثر من ديكتاتور. ولم يستطع هو تجاهل الاستقبال الجماهيري لغريمته ذات القدرة الخطابية متفوقة بها على والدها. و «الاجتماعات الحاشدة» قال بتلك الابتسامة الأقرب إلى التكشيرة، «تخلق حرارة أكثر مما تخلق ضوءاً، والدولة محتاجة إلى الضوء». وكان هو الضياء في ليل باكستان الطويل، عارض في البدء تقديم انتخابات ١٩٩٠ إلى ١٩٨٦، ثم حددها في فترة وضع بنازير مولودها. ولم يلبث أن سقط بسقوط طائرة كان وما غاب النهار عن باكستان، عن الفيلا في حي كليفتون حيث يستقلها في آب الماضي. يقرأ اسم ذو الفقار على بوتو على اللوحة المذهبة على مدخلها. خلصها القدر من لعنة الدم وصراخه، مذ تعرضت بنازير مرتين للاغتيال بعد عودتها، وما كان ممكناً، ربما، أن تبقى متسامحة صافية من روح الرد والانتقام. فلعب أحدهم دور ملاك الانتقام الذي سهل الطريق. لم تكن سهلة تماماً. لم تفز بالأغلبية المطلوبة لتشكل الحكومة وحدها، ومر وقت قبل أن يكلفها الرئيس الباكستاني تأليفها، بعد زيارة للسفير الأميركي عززت فرصها. وأميركا كانت أوثق الحلفاء لباكستان في أثناء الحكم العسكري ووفرت له مساعدات بمليارات الدولارات. وبنازير رأت أن باكستان قد تكون أفضل إذا توقفت عن دور العميل للولايات المتحدة.

(الأحزان وصراخ الدم)

أعجبت، لا بمارغريت تاتشر وهي التي عاشت في بلاد المرأة الحديد، بل بأكينو الآتية مثلها من الأحزان وصراخ الدم. تحدثت عن شجاعة كوري «وصلابتها وصفاتها السياسية الاستثنائية، وودت الشيء نفسه في باكستان. أرادت التخفيف من صورتها الغربية، وتزوجت زواجاً وفق التقاليد. وبررت: «لا يسمح بالقصص الرومنسية في بلد إسلامي». ارتدت يوم عرسها ثوباً من الحرير الأخضر. مرغت قدميها بالحنة وقالت: «نعم» ثلاثاً. لا نعرف ماذا يبقى لها من يوم العرس، المحطة المتألقة في ذاكرة معظم النساء. نعرف أن كثيراً من الباكستانيين يرى أن أزيف زارداري شخص عادي

لبوتو التي تعلمت في هارفرد وأوكسفورد. وعائلتها اختارته بناء على تحقيق خطي ومفاوضات استمرت سنة، بحثا لها في المصادر المالية لعائلة العريس، وعلاقاتها. وأزيف، وربما عاصف، يحمل دبلوماً من معهد لندن للاقتصاد، ويملك عقارات في السند ويدير شركة لتعهدات البناء في كراتشي. و «يملك» أيضاً فريقاً للبولو، تسلية الباكستانيين الأثرياء. جاء في أسئلة التحقيق: «يقال إنك بلاي بوي يلعب البولو في النهار ويرتاد الملاهي في الليل. فهل أنت مناسب للزواج بزعيمة سياسية؟».

تريد الديموقراطية والنهوض بالاقتصاد والمستوى المعيشي. وعليها أن تزيل الآثار السيئة التي خلفها والدها باعتماده التأميم والإصلاح الزراعي القاسي. إنها أتيغون باكستان التي قالت صحيفة «الأوبزرفر» البريطانية عن معركتها الانتخابية: «استيقظ رجلان ميتان ليتقاتلا»، مستعيرة التعبير من «الملك لير» لشكسبير. أين تقع بنازير بوتو بين ذو الفقار وضياء الحق؟ العالم، عادة، يعطي المرأة مهلة للجواب أقصر من الرجل.

أجاب: «إنها قصص مضخمة، وفي أي حال ما مضى مضى». وسئل يوم الزفاف هل أنت مغرم بعروسك؟ فقال: «ومن ليس مغرماً بها. البلاد كلها تحبها». جواب عام فليس ممكناً جواب حميم في بلد إسلامي. بنازير رغبت في زوج يدعم طموحاتها هي، ولا طموحات سياسية خاصة لديه. قالت: «ما كنت تزوجت لو في الزواج ما يعرقل عملي. لن يتدخل زوجي إطلاقاً في عملي السياسي، ولن أزوره في معمل الإسمنت الذي يملكه».

فضائح الزوج:

ابنة الرجل الأسطوري الباكستاني ذو الفقار علي بوتو، رئيسة الحكومة السابقة بنازير بوتو تصرّ على نفي الإشاعات التي تتناول زوجها، والفضائح التي أثرت في وضعها الحكومي. واليوم سقط حلمها من جديد ولم تنجح في الانتخابات البرلمانية الباكستانية.

انتصف النهار في غرفة الاستقبال الكبيرة والمظلمة. وفي الخارج، خلف النوافذ نصف المغلقة، تسمع نعيق سيدات السند الموشحات بالأسود والأحمر، ينشدن أغاني المديح ويطالبن بإطالة عمر بنازير «التي لا تضاهى». والبعض منهن سرن مشياً على

الأقـدام وقطعن الصحـراء من مسـافـة عشرات الكيلومـترات متحمـلات القيظ وحـرّ الشمس لاستقبال ابنة باكستان البارّة.

منذ يومين، يخيمون هنا، في محيط أسوار منـزل «لاركانـا» المقر التـاريخي لعائلة بـوتو. ووصلت بنـازير في المسـاء إلى العاصمـة إسـلام أبـاد، بـرفقـة زوجهـا «أزيف زارداري» وعشرات المؤيـدين. وكالعـادة، هي، وريثة عـائلة بوتـو تقوم بـزيارة القـبر الذي كان ويبقى مثالاً لبقائها، إنه المكان الذي يرقد فيه الزعيم الباكستاني الراحل ذو الفقـار علي بـوتو. فمنـذ أحد عشر عـاماً، وتحـديـداً صبـاح ٤ نيسـان ١٩٧٩، قضى الشهيد ذو الفقار علي بوتو والـد بنازير شنقاً على يـد الجنود في بـاحة السجن، ومنـذ ذلك الوقت شرعت بنازير بالتحضير للانتقام.

مـأساة أخـرى، بل بـالأحـرى لعنـة أخـرى ستضرب تلك المـرأة، تتلخص في الأحداث التي تعيشها منذ بضعة أشهر.

المـرأة «التي لا تقهر» منهكـة القوى. وبـالرغم من ارتبـاطاتهـا المسائيـة المتعددة واستقبالات أكثر من ٢٠٠ رئيس قبيلة محلي ومؤيديها، تستيقظ بوتو مع بـزوغ الفجر، يومياً، في الساعة السابعة صباحاً تذهب إلى القبر الضخم حيث يـرقد والـدها لتصـلي وتختلي بنفسها. وبعـد، كما تقتضي تقـاليد الصحـراء الحمراء، بقيت مـع بعض أرامل القرية من أجل وضع الزهور على الضريح.

في الساعة العاشرة تستقبل في مكتبها، الوزير الأول لمنطقة كراتشي.

ويقف وراءها، في الغرفة الخلفية زوار يوميون ينتـظرون باستمـرار، مواعيـدها متلاحقة، كـالعادة. وهي طـوال النهار لم تتنـاول الفطور بمنـاسبة حلول شهـر رمضان المبارك. تجلس وراء مكتبها برصانة وهدوء، وتستمع إلى اعتراضـات أحد القـرويين، لكن وراء تلك النظارات تختبىء نظرات مثقلة بـالتعب. ويدخـل «ازيف زارداري»، بلباسه التقليدي «شالوار كافير» ذي اللون الأبيض الناصع. وحتى زوج وريثة آل بوتو يخبىء وراء نظاراته عينين مثقلتين بالإرهاق.

وجلس بجـانب زوجته يستمـع إلى القروي، وفجـأة امتعض الرجـل وانـزعـج وفضل الخروج والعودة لاحقاً.

وما لبث أن طلب ازيف الخدم لإحضار الطعام لزوجته. الكثيرون من المقـربين.

من بنازير لا يمكنهم تفسير التأثير الذي يمارسه ازيف على بنازير، فهذه المرأة التي ربطت وجودها بالصراع السياسي، تمضي كل لحظة من حياتها في تنفيذ الوصية التي تعهّدت بها أمام ضريح والدها.

وهكذا انطلاق من كون هذه المرأة القائدة في بلد مسلم وابنة زعيم قضى قتلاً، فإن بنازير تكون من دون شك قد ذهبت إلى أقصى حدود التحدي.

فهذه التي كانت تحترم بدقة قوانين الإسلام بحذافيرها تتقاسم حياتها اليوم مع الشخص الذي يخرق علناً واجبات الصوم في رمضان والذي يختبىء لمعاقرة الخمرة.

حاولت الحفاظ على سمعة والدها ورفضت طرق الإثراء الشخصي وتركت زوجها يعمل في حقل الأعمال الرسمية وإدارة المشاريع.

الإقالة

وبالنسبة إلى أعداء بوتو، كانت الظروف ملائمة. ففي ٦ آبَ الماضي قام رئيس الجمهورية الباكستانية غلام إسحق خان بإقالتها من منصبها كرئيسة للحكومة، بعد ١٨ شهراً من تسلمها زمام الحكم.

النزوات واللامبالاة كلمتان لا وجود لهما في قاموس بنازير بوتو، وفي السن التي كانت بنات جنسها يهتممن بجمالهن، كانت ابنة ذو الفقار علي بوتو، ترافق والدها في المفاوضات الهندية الباكستانية وتقابل أنديرا غاندي. وفي الوقت الذي كانت رفيقاتها يضعن ملابس والداتهن الشفافة، تسلمت مهام رئيسة اللجنة الطلابية في جامعة أوكسفورد بفضل رسالة لها تناولت أوضاع العالم الثالث.

رفيقاتها يفتشن عن عريس، فيما كانت هي متجلببة في ثوب الحداد تدخل عالم السياسة من بابها الواسع كمن يدخل إلى الميتم، لاغية بذلك كل أمل في حياتها الخاصة، لا سيما العاطفية.

بالأمس كان هدفها الوحيد هو الوصول إلى السلطة، وكل ما عدا ذلك يأتي في المرتبة الثانية وبالأخص الرجال، حتى زواجها اهتمت بتحضيره والدتها سنة ١٩٨٧. تقول بنازير بهذا الصدد:

«لو فكرت يوماً أن زواجي سيحدّ من واجباتي السياسية، لما قمت به، وعلى

كـل حال، لـو لم أكن امرأة سيـاسية من الـدرجة الأولى لما كنت أعيش حياة عـائليـة سعيدة».

متألقة، على مدى ثلاثة أيام من احتفالات زواجها، الذي تمت مراسمه بمشاركة الشعب، ظهرت بنازير مرة أخرى غير متحمسة.

بعض المقربين منها يتساءلون بجدية كيف وافقت على زواجهـا من لاعب بولـو أطلق عليه تسمية ملك الديسكو، واختارته من بين شباب كراتشي كلهم.

«عندما علمت أنها تـزوجت من زارداري، تتذكـر إحدى أفضـل الصحافيـات الباكستانيات، قلت في نفسي: لقد فقدت عقلها، لأنني كنت أعـرف «ازيف» جيداً، ففي المدرسة كان شاباً لعوباً وهذا الزواج هو في الحقيقة انتحار سياسي على اعتبـار أن وريثة آل بوتو تجمع السلطة والدبلوماسية معاً.

وأخيراً حققت بنازير بوتو في تشرين الثاني ١٩٨٨ انتصارها.

إذ لقي الجنرال ضياء الحق مصرعه في حادث طائرة غامض وعلى الأثـر أجريت الانتخابات البرلمانية، وها هي بعد سنتين قضتهما في المنفى تعود إلى البلاد لكي تصبح رئيسة للحكومة الباكستانية.

عـلى صعيد العـلاقات الخـارجية، تؤكـد بنازيـر بوتـو أنها أعادت إلى بـاكستان أمجادها الغابرة. تألّقت في احتفالات الثورة الفرنسية، وغادرت فرنسا وبحـوزتها وعـد قاطع من الرئيس الفرنسي فـرانسوا ميـتران بإعـادة تطبيق بـرنامـج التعاون النـووي - وإنشاء مركزين لتحقيق هذا الأمر المعلّق منذ سنة ١٩٧٧.

ولقيت تأييداً واسعاً من أنصارها وأعدائها على السواء، لكن هذه الشهرة لم تدم أكثر من ١٨ شهراً.

خلال الفترة التي أمضتها في الحكم، لم تصدق عـلى أي قانـون في البرلمـان، ولم ينفذ أي مشروع عمراني أو إنشـائي، فقد أخـذتها نشـوة الحكم ونسيت ضرورة البناء والعمـران. حتى النساء اللواتي رافقنهـا منذ اللحـظة الأولى، نسيتهن ولقيت معارضـة من المحيطين بها عندما قررت إنجاب ولد آخر، خاصة في خضم الصراعات الـعرقية والاتنية التي تجتاح البلاد وأزمة كشمير. لكنها لا تسمع نصائح أحد. «إنـه أمر سهـل تقول سكرتيرتها سامية، بنازير فخورة بإنجاب ولد آخر وهي اليوم تبلغ من العمر ٣٧

سنة، ولا يمكنها الانتظار أكثر من ذلـك، وما يجب معـرفته اليـوم أنها مغرمـة وحياتهـا الخاصة مهمة كثيراً بالنسبة إليها».

حياتها الخاصة هذه، وضعت رئيسة الوزراء السابقة أمام المحاكم الباكستانية في الأسابيع الأخيرة. زوجها متهم بثلاث قضايا، المتاجرة بالسـلاح بصورة غـير شرعية، اختلاس وتبديد الأموال، والتواطؤ في عدة أعمال.

فبعـد سنة من زواجـه من بنازيـر وريثة آل بـوتو اشـترى «سيد الـ ١٠٪» وهي تسمية أطلقت عليه، مصانع السكر، وامتلك خمسة فنـادق من الدرجـة الأولى، ومحطة للتزلـج وسلسلة محلات منتشرة في مختلف الأراضي البـاكستانيـة. لكن تحركـاته كـانت مـدروسة بـدقة، وملفـاته جـاهزة لـدى القـوات المسلحـة، التي عمـدت إلى وضعهـا بتصرف الرئيس خان وبواسطتها تمكن من إقالة بنازير من منصبها.

لكن مصـادر صحافيـة متعددة عـزت سبب الإقالـة إلى تدخـل قـوى خـارجيـة بالضغط على الرئيس خان لإقالتها لأسباب تتعلق أهمها بتسريب بنازير لمعلومات لأحد الـزعماء العـرب تحذّره من مؤامـرة أجنبية تُحـاك ضـده وضـد بلده استـطاعت بنـازيـر الحصول عليها من مصادر استخباراتها.

ومنـذ فـترة يعيش ذلـك الـذي اعتـبر الـرجـل الأول في بـاكستــان، في أحـد الأحياء العاصمة كراتشي. ولا تزال بنازير تصر على نفي الإشـاعات، ومهـما يكن من أمـر، فقد رفض المنفى في لنـدن. لكن بنـازيـر لم تفقـد الأمـل، وتبقى تلك «التي لا تضاهى» الزعيمة السياسية الشعبية الأولى في باكستان.

ويقول عنها أحد الدبلوماسيين الأوروبيـين، أنها المرأة التي لا تقهـر ولا تتخاذل أمام الفشل، ستعود يومـاً على رأس البـلاد بقوة أكـبر. أنديـرا غانـدي لا شك أنكم تتذكرونها، بنازير بوتو هي من العرق ذاته.



كورازون أكينو

أمام تابوت زوجها
أقسمت على المتابعة

ومن كان يقول إن تلميذة الراهبات التي شغلت وظيفة الزوجة بامتياز ستقود بلاداً في ثورة تنتهي بفك الارتباط بين الدكتاتور وكرسيه التي جلس عليها عشرين عاماً.

ولدت ماريا كورازون كونخوانكو في ١٩٣٣ لأغنى عائلة في مقاطعة تارلاك. عائلة جمعت مجد الدنيا من طرفيه: مزرعة كبيرة للسكر وجد دخل مجلس الشيوخ، وتبعه أبو كورازون وأخوها من مجلس النواب. درست في أميركا، في مدرسة للراهبات، وتتذكرها معلماتها فتاة هادئة مجتهدة متدينة. تخرجت في الأدب الفرنسي، وتهوي جميع اللغات في ذاكرتها كما تهوي إيميلدا ماركوس جمع الثياب والأحذية، وتتقن الإنكليزية، الفرنسية، اليابانية، والتاغالوغية، اللغة المحلية الفيليبينية.

التقت وبنينيو أكينو، أو نينوى كما يدعوه الأصدقاء، ذات عطلة ولم تتجاوب مع رسائله الكثيرة التي بعث بها إليها. كان صحافياً من عائلة ثرية من مقاطعتها. وانطباعها عنه تحسن بلقائهما مجدداً عند عودتها إلى مانيلا لدراسة الحقوق التي تركتها إلى واجبات الزوجة والقليل من حقوقها، إذ كانت «زوجة شرقية كلاسيكية» تربي خمسة أطفال، تستقبل الزوار، تطبخ، و «تعني بحصان زوجها المحارب»، كما رأى صديق لهما. راقبت نجم نينوى يزداد سطوعاً، وكانت وراءه دائماً. من أصغر رئيس بلدية إلى أصغر حاكم فإلى أصغر سناتور. وعينه على القصر، لكن المتربع فيه رأى أنه صاحبه فأعلن حال الطوارى في ١٩٧٢ لتمديد فترة رئاسته وسحق معارضيه. وكان بنيتو أكينو المرشح لخلافة فرديناند ماركوس، أول من دخل السجن بتهمة القتل وحيازة سلاح غير مشروع.

والسجن الذي احتوى زوجها سبع سنوات ونصف السنة كان محطة في حياة المرأة الخجولة الصامدة. كانت صلته الوحيدة بالخارج، وعليها أن تحفظ كلماته لتعلنها في مؤتمرات صحافية للحفاظ على ذكرى زوجها. كانت في خوف دائم على حياته، وتعرضت للتفتيش كلما زارته. تجاهلها الأصدقاء. وتعلمت أن الناس ينسون المغلوب سريعاً، لذلك ما عاد الناس الهامون يعنون لها شيئاً، فكان هذا جزءاً من قوتها، لأنها ما عادت ترهبهم. وعادت إلى أميركا وزوجها الذي أدى تدخل الرئيس جيمي كارتر إلى السماح له بالسفر لعملية في القلب. درّست في هارفرد وخلعت ثوب السياسة لتعود ست البيت التي تتحوج وتطبخ لعائلتها وتتفرج على التلفزيون، ولا تتفوّه بكلمة واحدة عندما يقرر زوجها العودة إلى بلاده لدعم المعارضة على معرفتها بمخاطرها. ويكبر قلب زوجها بها ويقول بفخر لصديق: «أليست سيدة رائعة؟ امرأة غيرها كانت بكت وتوسلت إليّ ألا أفعل. ولم تفه بكلمة». وعاد ليقتل في المطار فور خروجه من الطائرة، وادعت الحكومة أن قاتله رونالدو غالمان الذي قتل فوراً بعد الجريمة. والمعارضة اتهمت رئيس الأركان ورئيسه المباشر ماركوس بالتخطيط للاغتيال. وأثارت كوري دهشة عائلتها وأصدقائها، ودهشت هي للهدوء والشجاعة في نفسها اغتيال زوجها. كل الخوف المختزن من مقتله قوة كامنة خرجت لتحقق ما كانت تخشاه سارت أمام مليون فيليبيني في جنازة استغرقت عشر ساعات ووقفت أمام التابوت لتقسم على المواصلة. وارتدت الأصفر حزناً، وتخطت التأثير المغناطيسي الذي أراده زعماء المعارضة لحصرها فيه وقررت خوض الانتخابات التي أرادوا مقاطعتها. وربحت المعارضة ثلث المقاعد وتغيرت النظرة إلى الأرملة الناعمة الضئيلة، وترددت في مسألة ترشيح نفسها للرئاسة رغم تلقيها عرائض مليون و ٢٠٠ ألف فيليبيني يطلبون منها أن تفعل. ولم تؤخذ القرار إلا بعد يوم صلاة وصوم تلا قرار المحكمة إسقاط أقوال رئيس الأركان المتهم بالتورط في مقتل زوجها. قالت إنها كانت ستلوم نفسها لو لم تجرب.

تزوير الانتخابات

بدت غير واثقة في أول حملتها الانتخابية ومـ لبث أن أهملت الخطب المكتوبة لتروي قصتها للجماهير الذين شاركتهم في كونها ضحية من ضحايا ماركوس. تطوع الآلاف في حملتها مكتفين بالطموح إلى رئيسة تتمتع بالأخلاق التي يفتقر إليها

ماركوس. ولم يخيب هو ظن الشعب فيه فسرق أنصاره صناديق الإقتراع في المناطق التي صوتت لمنافسته ولجأوا إلى رشوة الناخبين وتخويفهم. ادعى كل من المرشحين الفوز، ولم ينه اعتماد أكينو على سلطة الشعب حكم ماركوس إلا لما نصحت الولايات المتحدة صديقها بزيارة دائمة لها.

رجل السنة

بعد السكرة والاحتفالات الجماهيرية في الشوارع أتت الفكرة وتساءل كثيرون عن قدرتها على الحكم. أطلقت سجناء سياسيين. مدت يدها إلى المتمردين الشيوعيين. ولم تشأ الحكم بأدوات ماركوس فعدلت الدستور بحيث صار مشابهاً لما في الولايات المتحدة. وكان مستوى المعيشة انحدر إلى ما كان في ١٩٧٣ وعرف نصف السكان البطالة، وما أن انتخبت حتى ارتفعت الأسهم لأنها منحت الاقتصاد عنصر الثقة. وإدارة ريغان وعدت بمشروع مارشال مصغر عندما اطمأنت إلى أن الرئيسة الفيليبينية ستحفظ القواعد الأميركية في بلادها حتى ١٩٩١، وفق الاتفاق. واليابان دعمتها عندما واجهها قائد الدفاع خوان برونسيه انريلي وغيره بضرورة الخضوع لانتخابات جديدة بعد تعديلها الدستور، وحاول الانقلاب عليها. وكانت محاولات انقلابية كثيرة ومحاولة اغتيال. واستمر الاقتصاد في التراجع رغم عزمها على تحويل بلادها ثاني معجزة اقتصادية في آسيا بعد اليابان. والثوار تابعوا حربهم للجيش، وزادت المشاكل بظهور بوادر حرب انفصالية إسلامية في الجنوب (الجنوب دائماً) فناشدت أكينو الدول الإسلامية مساعدتها على تجنب الحرب بالامتناع عن دعم المتطرفين. والولايات المتحدة، مع اليابان، تمشي في مشروع مارشال المصغرد وتشرك دولاً آسيوية وأوروبية لدعمها في مواجهة الثوار الشيوعيين والمتطرفين اليمنيين وأنصار ماركوس الذين يهددون حكمها.

في أول ١٩٨٦ اختارتها مجلة «تايم» الأميركية «رجل السنة» لـ «تصميمها وشجاعتها على رأس ثورة ديموقراطية خطفت إعجاب العالم». وكانت الثالثة تحوز اللقب بعد واليس سمبسون، الأميركية المطلقة مرتين التي تنازل ملك بريطانيا ادوارد الثامن عن العرش ليتزوجها عام ١٩٣٦، وملكة بريطانيا أليزابيث الثانية في ١٩٥٢. ورحل ماركوس تاركاً لها أرضاً يباباً أخرج كل كنوزها إلى المصارف الأجنبية. وتركت ايميلدا ثلاثة آلاف زوج من السكربينات في القصر الذي رأته أكينو شديد الفخامة في

بلد فقير فاكتفت بمنزل قريب منه للعمل. ولا تزال «بيتوتية» ترفض الدعوات وتبقى أوسع وقت مع بناتها الأربع ايلينا أكينو كروز، فيكتوريا، أورورا، وكريستينا، وابنها بينينيو أكينو الثالث، وحفيدها. ولم يبق لديها متسع لتطبخ وتشتغل الصوف وتعنى بالحديقة. وعندما يواجهها قرار صعب تصلي قبل اتخاذه. وما زال عليها أن تصلي أربع سنوات.

مضاعفة العمل للنجاح

لا تختلف قصة كورازون أكينو في الفيليبيين عن تلك التي عاشتها بنازير بوتو باستثناء أنها خاضت حربها في مواجهة رجل مستعد لتجاوز جميع الحواجز من أجل الحفاظ على السلطة، وزوجته ايميلدا.

لم تعش كورازون الأجواء السياسية. ففي الستينات لم تكن سوى ربة منزل كغيرها من السيدات، واستمرت كذلك حتى سنة ١٩٨٣ تاريخ مقتل زوجها «وبنينيو أكينو» على يد الدكتاتور فرديناند ماركوس، وفجأة تبدل كلّ شيء وبعد هذه المأساة، بدأت زوجة الشهيد بالغوص في عالم السياسة من بابه الواسع، وهي حذرة مصممة، جريئة، خطواتها دقيقة، خوفاً من الوقوع في المطبات التي يحضّرها لها أعداؤها.

وواجهت ماركوس في الانتخابات وانتصرت بالرغم من محاولة هذا الأخير للغش والتزييف وهكذا زال نظام ماركوس واختفى عن الحياة السياسية الفيليبينية، وفي ٧ شباط ١٩٨٦ وصلت كورازون إلى رئاسة الجمهورية.

«عندما نكون امرأة، قالتها كورازون مرة لإحدى المجلات الأميركية بعد استلامها السلطة يتطلب النجاح مضاعفة العمل».

ويعلق أحد الباحثين الاختصاصيين على هذا القول: قد يكون هذا، مفتاح الحل أو سبب نجاح السيدات، ففي نزاعهن لاستلام السلطة في جميع المجالات، لا ينسين أنه عليهن مخالفة القواعد الموضوعة من قبل الرجال منذ أزل من هنا تنبع الضرورة والشعور بمضاعفة العمل من أجل الوصول إلى المستوى المطلوب».

وبالنسبة لبنازير بوتو أو كورازون أكينو، متزوجة أو ابنة الشهيد اعتبرت مدخلاً إلى استلام السلطة والشرعية سواء في الباكستان أو الفيليبين.



فيوليتا دي شامورو

الرئاسة على عكازين

فيـوليتا بـاريوس دي شـامـورو، المـرأة التي انتخبت كـرئيسـة للجمهـوريـة في نيكاراغوا، لم تزل تعيش في منزلها، وحيدة، بالقرب من حديقة عامة خضراء، حيث كل شيء هناك مملوء، كمهنتها الجديـدة، بصور وذكـريات الإنسـان الغائب الـذي ما زال يسيطر على حياتها العامة والخاصة.

وسط عتمة كالحة، تبرز مكتبة هادئة، وهو المكان الذي كان يجلس فيه زوجها، بيدرو جواكين شامورو كاردينال، ليكتب افتتاحيات جريـدة العائلة «لابـرنسا»، والتي صارت عالمية الشهرة بعدما عارضت بقوة الديكتاتور انسطاسيو سوموزا ديبايل.

وخلف المنـزل الذي رتب بعنـاية فـائقة، تـبرز الصور التي كـان يحملها السيـد شـامورو إلى العمـل في العام ١٩٧٨، عنـدما أطلق عليـه أحدهم النـار وأرداه قتيلاً. وأدى ذلك إلى الانتفاضة ضد سوموزا والتي جاءت بثورة الساندينيستا.

وفي وسط حـديقة المنـزل هناك تمثـال للسيد شـامورو صنـع بعد مقتله، وجعله واحداً من أهم السياسيين الأبطال في ذاكرة الشعب.

وقصة الصراع والتضحيات التي قدمها زوجهـا المغدور لا تفـارق مخيلة الرئيسـة المنتخبـة، كما أنها لا تفـارق الآلاف من المؤيـدين الـذين اسـتطاعـوا إيصـال السيـدة شـامورو، وهي في الستـين من عمـرهـا، إلى أعـلى مـركـز في البـلاد، وبخـاصـة أن نيكاراغوا تقدس الأساطير والتاريخ.

ومن خلال فكر زوجها، تبدو الدونا فيوليتا معروفة عالمياً، كما أنها تشعر تقريباً بأنها ملكية وطنية. بالإضافة إلى أن شكلها الأرستقراطي وشعرها الفضي وطلتها المليئة بحنان الأم وعطفها. أعطتها الشكل المطلوب للدخول إلى قلوب الشعب لتربح المعركة.

لقد قال أحد الديبلوماسيين في العاصمة ماناغوا: «إن اتحاد «أونو» هو فيوليتا، ليس أكثر ولا أقل. وأضاف: «لقد ولدت المعجزة هي بنفسها، ولولاها لما حدث الذي حدث».

وقال أحد المراقبين الدوليين الذين أشرفوا على الانتخابات: «الشعب تعرف إلى مشاكلها وشعر بها بأنها مشاكله».

والسؤال المطروح الآن: هل هذا الدعم الشعبي، والحملة الانتخابية الناجحة كافيان لإنجاح مهمتها، ولإدارة حكومتها وسط اقتصاد مهترىء وجيش ورجال أمن تابعين للساندينيستا؟.

للجواب على هذا السؤال، لا بد من معرفة شخصية وتاريخ الرئيسة الجديدة.

ولدت فيوليتا باريوس عام ١٩٢٩ في مدينة ريفاس، بالقرب من حدود نيكاراغوا مع كوستاريكا، وكانت منتجة زراعية، وتنتمي إلى عائلة رفيعة المستوى، لكنها تعيش بعيدة عن السياسة التي صارت الآن مسيطرة على كل حياتها.

وكان والدها غنياً وصاحب مزارع للمواشي والبقر، وقد درس في ولاية ماساتشوستس الأميركية في الكلية التقنية، لذا أرسل ابنته إلى المعهد النسائي في تكساس ومن ثم إلى فيرجينيا لتتعلم الإنكليزية، وعندما فشلت في هذه المهمة، على الرغم من مكوثها في أميركا حوالي ثلاث سنوات، ولم تستطع تعلم الإنكليزية عادت إلى بلدتها ريفاس، حيث قدمها شقيقها إلى صديقه في الدراسة، بيدرو جواكين شامورو كاردينال، الذي كانت عائلته تملك صحيفة في ماناغوا.

بعد عام على هذه العلاقة الجديدة، قبلت فيوليتا عروض بيدرو المتكررة للزواج، وبدأ الإثنان حياة سياسية متقاربة وموحدة، تركزت على مقاومة ديكتاتورية سوموزا، والتي كانت للسيد شامورو علاقة فيها.

ولأنه أحد أبناء العائلة الأشهر في نيكاراغوا، خصص بيدرو جواكين شامورو، كل وقته لصحيفة العائلة «لابرنسا»، فجعلها قاعدة للمعارضة لنظام سوموزا، والسيدة شامورو، التي نذرت نفسها له كزوجة مخلصة، كانت تأخذ له دائماً الطعام خلال دخوله المتكرر إلى السجن، والتحقت به بكوستاريكا عندما نفي لمدة عامين إليها.

اغتيال الزوج

ولما اغتيل بيدرو في شارع ماناغوا في ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩٧٨، كانت الدونا فيوليتا على بعد ألف ميل، لقد سافرت إلى ميامي لشراء ثوب الفرح لكريمتها، لكن الخبر السيء لم يبق بعيداً، فسرعان ما وصلها عبر الهاتف والإذاعات.

وما زالت السيدة شامورو حتى الآن لا تعرف من قتل زوجها فهي تقول: «لا أعتقد بعدالة سوموزا أو بعدالة الساندينيستا».

وعندما استطاع ثوار الساندينيستا بقيادة دانيال أورتيغا سافيدرا، الانتصار، ودخلوا إلى ماناغوا في تموز/يوليو ١٩٧٩، كانت السيدة شامورو معهم عضواً عن الأعضاء الخمسة للجنة الحاكمة.

وفي أقل من عام استقالت، وذلك معارضة لسياسة الساندينيستا العامة للسيطرة على البلاد والعباد. وعادت إلى صحيفة «لابرنسا» لتجعلها صوت المعارضة، الأمر الذي أكسبها تأييداً وإعجاباً عالميين. وجعلها المرشحة المناسبة لرئاسة المعارضة التي تضم ١٤ حزباً مفككاً وضعيفاً لرئاسة البلاد.

لكن هذا الترشيح الذي جاء على حين غرة، تبعته انتقادات ركزت كلها على أنها ليست مهيأة لهذا المركز، إلا أن أكثرها حرجاً وأذى كان من أفراد عائلتها المنقسمة.

فمن بين أربعة أولاد لها، انضم إليها في المعارضة ضد الساندينيين، ابنها بيدرو جواكين شامورو باريوس الذي صار مديراً لثوار «الكونترا»، وابنتها كريستيانا التي صارت رئيسة لتحرير «لابرنسا».

إلا أن ابنها الآخر كارلوس فرناندو، وابنتها الكبرى كلوديا هما مسؤولان كبيران مع ثوار الساندينيستا، ولا يخجلان في مهاجمة والدتها وحلفائها.

فكلوديا مثلاً كتبت رسالة مفتوحة في ماناغوا قالت فيها: «إن اتحاد «أونو» (الذي تتزعمه والدتها) جمع معاً كل أعداء والدي».

صراع العائلة

وخلال الحملة الانتخابية، كان الصراع حامياً بين الدونا فيوليتا وابنها كارلوس فرناندو الذي يشرف على تحرير جريدة الساندينيين «باريكادا»، والتي كانت تهاجم يومياً السيدة شامورو وسياستها.

بعض المطلعين قالوا بأن صورة العائلة المقسومة ساعدت السيدة شامورو في حملتها الانتخابية ضد ثورة فشلت قطاعاً كبيراً من الشعب وقسمت عائلات عدة بالطريقة نفسها.

يبقى أن أكثر الديبلوماسيين والخبراء الأجانب يشكون بقدرة السيدة شامورو على توحيد رأي الأحزاب التي دعمتها ورأي مستشاريها والذين أغلبهم من عائلتها.

ولكن لامرأة حيث عائلتها دائماً كانت في وسط الحياة العامة، فهذه المشاكل ليست جديدة فهي تقول: «لو لم يقتل زوجي بيدرو، فالساندينيون كانوا ما يزالون حتى الآن في الجبال ثواراً يقاتلون من أجل الديموقراطية».

فما باستطاعة الدونا فيوليتا المحافظة على هذه الديموقراطية الجديدة؟.

كيف؟ وإلى متى؟

هذا هو السؤال الآن؟.



مارغريت الثانية
ملكة الدانمرك
(١٩٧٢ ـ وما زالت)

بعد أن وضع دستور عام ١٩٥٣ للدانمرك موضوع التنفيذ وهو الذي ينص على أحـادية التمثيـل وعلى إمكـانيـة اعتـلاء المرأة للعـرش ثم اعتـلاء مـارغـريت الثـانية (١٩٧٢م) عـرش الدانمـرك بعـد وفـاة فـريـدريـك التـاسـع في ١٥ كـانـون الثاني ١٩٧٢ وما زالت. .

فهي كما كل الملكيات الدستورية الأوروبية تملك ولا تحكم بل تُعتبر رمزاً لتاريخ ملكي كان من أقدم الملكيات الأوروبية رسوخاً.

***



بياتريس
ملكة هولندا
(١٩٨١ ـ وما زالت)

اعتلت عـرش هولنـدا العام ١٩٨١، زوجـة الأمـير كـلاوس. تملك ولا تحكم ككل الملكيات الدستورية الأوروبية.

وتعتبر الملكة ثاني أغنى شخصية في العـالم، إذ تقدر ثـروتها بـ ٣٢ مليـار فرنـك فرنسي، كما أن مدخولها السنوي يقارب ٢٠ مليوناً، وذلك بفضـل الأسهم التي تملكها في شركتي شل للبترول وفيليبس للاليكترونيات.

الملكة متزوِّجة الأمير الألماني كلاوس فـون أرمسبرغ ولـديها ثـلاثة أولاد: غيـوم اليكسنـدر (٢٣ سنة) وفـريزو (٢٢ سنـة) وقسطنـطين (٢٠ سنة)، وهي محبـوبة عـلى الصعيـد الشعبي لكونها متـواضعة وبعيـدة عن المظاهـر، وبارعـة في ممارسـة الدستورية.

أسرار الملكات

* كانت «إليزابيت الأولى» ملكة انكلترا مُغرمة بالثياب، وقد وجد في خزانتها بعد موتها - أكثر من ألفي ثوب...
* وكانت (آن پولين) زوجة الملك هنري الثامن تلبس القفازات بصفة مستمرة.. وذلك لتخفي إصبعاً سادساً في إحدى يديها...
* وكانت (كاترين العُظمى) قيصرة روسيا، إذا أرادت أن تدخل البهجة على نفسها.. أمرت بأن تزغزغ في أقدامها.. وكانت تشرب في إفطارها خمسة أكواب من القهوة...
* وكانت (كليوباترا) ملكة مصر تفتح شهيتها بقطعة من الشمام متبّلة بالثوم..
* وكانت (ڤيكتوريا) ملكة انكلترا تخشى أن يستطلع أحدهم أسرارها من بقع الحبر التي تتخلف على ورقة (النشاف) بعد تجفيف خطابها به.. فأمرت بأن يصنع لها (نشاف) أسود اللون.. ثم أضافت إلى ذلك أنها كانت تحرق ذلك النشاف بعد استعماله مباشرة.. وكذلك ظلت تحكم انكلترا ٦٤ عاماً من (١٨٣٧ - ١٩٠١)..
* وكانت (أوجيني) زوجة نابليون الثالث.. لا تلبس حذاء مهما غلا ثمنه.. أكثر من مرة واحدة..
* أما (إليزابيت) ملكة النمسا.. فكانت لا تنام حتى تلف وسطها بمنديل مبلل بالماء لاعتقادها أن فعلها يحفظ لخصرها رقته ورشاقته..
* وحكمت (آما) قيصرة روسيا على أحد الأمراء بأن يصير دجاجة.. وأحضرت له في البلاط قفصاً وفي داخله مجموعة من البيض، وجعلت ترغمه على دخول القفص.. والجلوس فوق البيض، وأن يقوق كما يقوق الدجاج.
* تزوجت (مارغريت) ابنة الإمبراطور مكميلان وهي في سن الثالثة وأصبحت ملكة فرنسا بعد ثلاثة شهور، عندما توج زوجها شارل الثامن ملكاً وكان سنه ١٣ عاماً..
* ظلت (كريستيان إيرهاردن) ملكة على بولندا ثلاثين عاماً من (١٦٩٧ - ١٧٢٧) مع أن قدمها لم تطأ بولندا قط..

* لعب الرقم ١٣ دوراً هاماً في حياة ملكة يوغوسلافيا السابقة (ماري). . فقد كانت تربطها صلة القرابة كإبنة، وشقيقة، وأرملة، وأم، وعمة، وابنة عم، وابنة أخ، وابنة أخت ١٣ ملكاً في أوروبا. .
* (ديزيه كلاري) كانت ابنة تاجر من مرسيليا، وخطبت لثلاثة جنود صار كل منهم فيما بعد ملكاً. . وقد فقد إثنان من الملوك عرشيهما بعد أن فسخت خطوبتهما منها. . وهما نابليون بونابرت، وجوزيف برنادوت. . وأخيراً تزوجت من برنادوت الذي تولى عرش السويد. .
* امرأة تلد أمبراطورين و٣ ملكات. . فقد كانت (ماري تريزا) أمبراطورة النمسا من الأمهات السعيدات. . إذ كانت أماً لستة عشر ولداً وبنتاً. . وكان من بينهم عدد ٢ أمبراطور. . و٣ ملكات. . .
* كانت (لوليا بولينا) زوجة قيصر (كاليجولا) ترتدي أثواباً لا يقل ثمن الثوب الواحد عن ٢٠٠٠٠٠٠٠ دولار، وعقداً من اللؤلؤ ثمنه ٠٠٠ ٥٠٠ ٣ دولار.
* حينما دخلت (مارجريت) ملكة النمسا وزوجة فيليب الثالث إسبانيا عام ١٥٩٩. . أراد أصحاب مخازن بيع الجوارب الحريرية أن يقدموا لها بضائعهم الغالية. . فتقدم بعض التجار يحملون الجوارب للملكة. . ولكن الهدية رفضت بشدة وغضب، وقيل لهؤلاء المهدين: إن ملكة إسبانيا ليس لها ساقان. . .
* أصبحت (أنينزدي كاسترو) زوجة (بيدر الأول) ملكة البرتغال المحبوبة. . أصبحت ملكة على البرتغال بعد موتها. . فقد كانوا اغتالوها. . فلما ارتقى (دون بيدر) العرش أخرج جثتها من القبر ووضعها على العرش. . وهو يقول: إنها ملكة البرتغال وكان كل من حولها يتصورون في تلك اللحظة أن الجثة التي أمامهم هي الملكة حقيقة وهكذا تكون أول امرأة تحكم شعبها بعد موتها. .
* كانت زوجة (لويس الرابع عشر) تطلب من أحد الجراحين أن يصفي قليلاً من دمها حتى لا تكسو الحمرة وجهها حينما تسمع القصص الجنسية المثيرة للميول الشهوانية التي كانت تُقص عليها في البلاط لتسليتها وإدخال السرور إلى قلبها.

نساء جاسوسيات

من الملفات السرية لدوائر المخابرات في العالم

السيدة الجاسوسة/ II

النساء في عالم الجاسوسية

مقدمة :

أيهما أخطر في عمليات التجسس الرجل أم المرأة؟

مانشيتات الصحف تتحدث عادة عن رجال يحاكمون بتهمة التجسس فالرجال هم في العادة «زبائن» المحاكم والصرعات الإعلامية، أما النساء فإنهن يعملن بصمت أكبر وبقدر أكبر من الخطورة!.

والنساء لسن مجرد عميلات صغيرات كما يظهرن في أفلام الجاسوسية بل هن أحياناً أكثر خطورة من أشهر الجواسيس في العالم..

وإذا كانت قصة ماتا هاري أصبحت معروفة جداً، بسبب ظهورها في السينما فضلاً عن عشرات الكتب التي ألفت عنها، فإن القصص الأخرى مأخوذة من الملفات السرية لدوائر المخابرات.

وحتى بالنسبة إلى ماتا هاري، هل كانت بالفعل جاسوسة أم مجرد امرأة مولعة بالمغامرات مع الرجال المشاهير وخصوصاً الضباط؟.

فالضابط الألماني الذي أحبها والذي حوكمت على أساس علاقتها به، لم يكن راتبه يكفيه للإنفاق عليها، ولذلك سجلها كجاسوسة لكي ينفق عليها من مخصصات الجاسوسية.

أما قصص النساء الأخريات ومن الملفات السرية للمخابرات العالمية وفق كتاب برنارد هوتون «نساء جاسوسيات» فإننا نترك للمؤلف أن يستعرض قصصهم.

ايما روكين

عميلة الروس في الخارجية الكندية

في عرين السياسة الخارجية الكندية وجدت الـ K.G.B موطىء قدم لها عبر إيما روكين الموظفة في وزارة الخارجية.

استمرت إيما في عملها بإعطاء السوفيات الأسرار التي تحصل عليها وكذلك المعلومات التي كانت بتناول يدها بحكم عملها حتى تم القبض عليها بعد أن كشف أحد المرتدين السوفيات طبيعة عملها في وزارة الخارجية.

بعد محاكمتها صدر الحكم بسجنها ثلاثة سنوات. أما عن طريقة تسليمها للمعلومات والأسرار للـ K.G.B فكانت بواسطة مرحاض طبيب أسنانها الذي تزوره بشكل دوري وكلما دعت الحاجة (حسب أهمية المعلومات والأسرار التي بحوذتها) ومع مرور أحد عملاء الـ K.G.B على المرحاض تكون كل المعلومات قد أصبحت في يد مدير محطة الـ K.G.B نيكولاي زايوتنا.

***



غريتا غاربو

السينما والجاسوسية

غريتا غاربو ملكة الشاشة السويدية الأصل دخلت حلبة صراع المخابرات بدورها واستطاعت بحكم جنسيتها وموطنها السويد أن تكون عيون الحلفاء على تحرك الجواسيس الألمان في موطنها وبحكم قدرتها وموقعها السينمائي من الدخول إلى كل صالونات المجتمع السويدي تلتقط خباياه وتترجمه إلى معلومات قيمة ومفيدة حول الخطط الألمانية النازية لأوروبا.

استطاعت غريتا وشبكتها المخابراتية أن توصل الكثير من المواد الحربية الحساسة للحلفاء من الدول التي أعلنت حيادها في الحرب وكذلك تهريب العديد من المقاومين والمتعاونين إلى الخطوط الآمنة.

***

آمي ثورب
جاسوسة الإغراء الأعظم

تعتبر آمي ثورب بحق جاسوسة الإغراء الأعظم في العصر الحديث فلقد استفادت لأقصى مدى من جمالها الخارق وكذلك من قدرتها الإغرائية الجذابة على إيقاع العديد من الشخصيات الدبلوماسية في حبائل مكائدها.

آمي ثورب أميركية المولد، تزوجت في مطلع حياتها في الثلاثينات من أحد الدبلوماسيين الإنكليز وكان يدعى أرثر باك عرف زوجها بالجفاء والخشونة وعدم اللياقة الشخصية فضلاً أنه كان يكبرها بعشرات السنين. وباختصار لم يكن وضعه يليق بأنوثة آمي الخارقة الجمال قبول آمي لهذا الزواج فرض عليها التجوال والسياحة في أميركا الجنوبية وأوروبا بطبيعة مهام عمل زوجها.

في العام ١٩٣٨ استطاعت المخابرات البريطانية الوصول لآمي لتجنيدها فوافقت فوراً على العمل معهم.

مهام عملها الجديد تطلب منها أن تنخرط ضمن الحلقات الاجتماعية للمجتمع الأميركي الراقي وهناك من خلال إقامتها للعديد من حفلات الكوكتيل تعرفت على أحد الدبلوماسيين البولونيين الذي سرعان ما احتضنته عشيقاً واستطاعت أن تحصل على آلة الشيفرة الألمانية السرية وتسليمها للإنكليز.

في العام ١٩٤٢ كانت مهمتها الثانية كشف أسرار السفارة الإيطالية وسفارة فيتشي الفرنسية في العاصمة الأميركية.

لم تجد صعوبة في إغراء الملحق العسكري لموسوليني في أميركا الذي لم يتردد إرضاءً لها في إعطائها مفاتيح الشيفرة الإيطالية.

ساعدت كشف هذه المفاتيح على ضرب الأسطول الإيطالي في المتوسط ومهدت لحملة الحلفاء على شمال إفريقيا.

أما المهمة الثالثة فهي الولوج لداخل السفارة الفرنسية لكشف أسرارها.

استطاعت آمي الوصول إلى قلب المسؤول الإعلامي في السفارة شارل برس وارتبطا مع بعض بعلاقات عاطفية مكنت لها من الحصول على معلومات حول وجود كميات من الذهب الفرنسي المخبأ في إحدى جزر الكاريبي مهدت للإنكليز بالاستيلاء عليه، وكذلك تم كشف شبكات الجاسوسية الألمانية في أميركا الشمالية والجنوبية. أما المهمة الأصعب فكانت تكليفها بالمساعدة على الحصول على الشيفرة البحرية الفرنسية من سفارتهم في واشنطن وذلك لعجز العشيق برس على الحصول عليها.

في إحدى ليالي واشنطن الباردة توجهت آمي ومعها عميل آخر ادعت أنه عشيقها إلى حارس السفارة الفرنسية وطلبت منه السماح لهما بقضاء ليلة حمراء في إحدى الغرف الجانبية للسفارة لأن عشيقها متزوج ويخشى الفضيحة ومع بقشيش مُغري وزجاجة شمبانيا للحارس سمح لهما بقضاء تلك الليلة.

تسلل الحارس للغرفة لمراقبتهما فإذا به يعود سريعاً بعد أن رأى العاشقين في إحدى جلساتهما الحميمة جداً.

ومع إلهاء الحارس بهذه المراقبة كانت فرقة إنكليزية متخصصة، قد دخلت مبنى السفارة من الباب الجانبي الذي سهل دخولهم إليه برس قد تمت فتح الأقفال للخزنة السرية ونسخت الشيفرة بالكامل وعادت والحارس الليلي غارقاً في نومه من تناول الشمبانيا المخدرة.

هذه العملية غيرت مسار الحرب وعجلت في تحرير فرنسا وإلى دحر النازية عن أوروبا.

في العام ١٩٤٥ وجد زوج آمي باك مقتولاً بالرصاص في الأرجنتين، وهذا ما سهل على آمي بالزواج من برس بعد أن طلق زوجته الأخيرة.

في العام ١٩٦٤ توفيت آمي الأعظم في تاريخ جاسوسية الإغراء في العالم ليلحقها برس بعد عشرة سنوات.

***

ماتا هاري

الجنس في خدمة التجسس

القصة الأشهر في عالم الجاسوسية كانت مادة دسمة للعديد من الأفلام والأقلام التي صورت وكتبت عن حياة وعالم هذه الجاسوسة وكذلك الخدمات المتعددة التي قدمتها.

أصبحت جيرترود مارغريت الهولندية الأصل واسمها الفني ماتا هاري التي تعني «عين الصباح» رمزاً من رموز استخدام الجنس كوسيلة فاعلة للحصول على كل الخطط والمعلومات لدى القوى المتصارعة في هذا العالم.

جمالها ورشاقتها وإجادتها الجذابة لرقص الإثارة الجنسية أدى كل ذلك إلى وقوع العديد من الشخصيات السياسية والعسكرية في حبائل فراشها والاستفادة من دفء أحضانها.

مارست الرقص الشهواني في كل العواصم المتحاربة خلال الحرب العالمية الأولى من لندن إلى برلين فمدريد فباريس في كل هذه العواصم تركت وحملت الكثير من الأسرار كانت في ملفات الذي يدفع أكثر.

في باريس حيث منها انطلقت لعواصم العالم المتحاربة تعرض مفاتنها جمعت الكم الكثير من الخبايا والأسرار من كل أطراف الصراع. وفي ألمانيا ارتبطت بعلاقات عاطفية حميمة مع أحد الضباط الألمان الذي استطاع تجنيد ماتا هاري للعمل ضمن المخابرات الألمانية والإنفاق عليها من مخصصات الجاسوسية الألمانية.

استطاع الإنكليز كشف علاقتها مع الألمان فبادروا أولاً إلى التحقيق معها وعندما أنكرت تجنيدها من قبلهم نصحوها بوقف التعامل معهم.

استمرت علاقة ماتا هاري وثيقة وحميمة مع الضابط الألماني الذي أحبته حتى ٢٥ تشرين الأول١٩١٧ حيث تم إعدامها في فرنسا بعد القبض عليها.

***

مارجريت داندريان

عميلة لورنس العرب

استطاع القائد الانجليزي لورنس ضابط المخابرات البريطاني المعروف-أثناء الحرب العالمية الأولى - والذي سمي لاحقاً بلورنس العرب في إحدى زياراته المتعددة إلى مصر الواقعة حينها تحت الانتداب الإنجليزي أن يتعرف على إحدى السيدات الإنجليزيات وتدعى مرجريت داندريان في إحدى حفلات فندق شبرد بوسط القاهرة. امتازت مرجريت بجمال أخاذ وجذاب وبحضور اجتماعي مرموق في الوسط الثقافي والسياسي المصري.

بعد سلسلة لقاءات صاخبة وحميمة بين لورنس ومرجريت استطاع لورنس تجنيدها للعمل للمخابرات البريطانية وحدد مهامها بالتغلغل داخل المجتمع السياسي المصري عبر إقامة علاقات مع بعض الزعماء المصريين المعارضين للانتداب البريطاني لنقل آرائهم ومعلوماتهم وكذلك تحركات المعارضة علماً أن تلك الفترة كانت المعارضة المصرية فيها في أوج قمتها وقدرتها على التأثير على الشارع المصري الرافض للانتداب بزعامة سعد زغلول.

أدت العلاقات الحميمة لمرجريت مع الكثير من الزعماء المصريين إلى أحداث جسيمة ابتدأت في عام ١٩١٩ حيث سربت هذه العميلة معلومات مهمة عن منظمات سرية مصرية وخططها في تجميع كميات ضخمة من الأسلحة للقيام بعمليات عسكرية ضد الوجود الإنجليزي بمصر وكذلك إغلاق قناة السويس في عدة نقاط استراتيجية لمنع الإنجليز من الاستفادة من هذا المرفق المائي الهام.

مع استلام الإنجليز لكل هذه المعلومات والخطط للمعارضة داهمت قوات

الانتداب مراكز تجميع هذه الأسلحة وكذلك تم كشف واعتقال العديد من المعارضين

وهذا ما شكل لطمة قوية لآمال كل المصريين في ذلك الوقت.

ومع تطور الأمور باتت كل تنظيمات المعارضة السرية مكشوفة وتم على أثر ذلك نفي سعد زغلول زعيم البلاد وعدد من اتباعه إلى جزيرة مالطة.

***

ريتا ايليوت

زرعها السوفيات في أوستراليا فحصلت على أسرار المحطة الذرية بالتنويم المغناطيسي

في نيسان عام ١٩٥٤ انحاز محلل الشيفرة لدى السفارة السوفياتية في سيدني ويدعى فلاديمير بتروف وزوجته بفدوكيا إلى الغرب. وقام باختطافهما ضباط أمن أوستراليون من أيدي المرافقين السوفيات بينما كانوا يقومون بإعادتهما إلى روسيا.

وعقب ذلك فضح بتروف شبكة التجسس السوفياتية في أوستراليا ومزق نشاطها هناك.

ولكن عدداً من عملاء الشبكة المقيمين الذين لم يكونوا على أي اتصال بالسفارة السوفياتية أو بأي من منظمات التجسس التي افتضح أمرها تابعوا إرسال التقارير إلى موسكو. إلا أن المعلومات الضئيلة التي كانت ترد مقر قيادة دائرة الاستخبارات في موسكو لم تكن كافية.

ولتعويض الخسارة التي تسبب فيها فلاديمير وبفدوكيا بتروف شرعت موسكو في بناء شبكة تجسس جديدة. فقد كانت «وومبرا» محطة أبحاث سريعة النمو للصواريخ الموجهة وللنمو النووي والروس يريدون أسرارها، وليس ثمة وقت للإضاعة. وكان عملاء «غازينا» - وهي مدرسة تدريب الجواسيس السوفيات - السريون المدربون قد أرسلوا إلى أوستراليا. ولكن مكافحة الجاسوسية الأوسترالية كانت ساهرة على مراقبة

الجاسوسية بدقة متناهية لدرجة أن أي وجه جديد يظهر في المنطقة كان محط شبهة أوتوماتيكياً، فبعث العملاء السوفيات بتقارير تفيد بأن أية محاولة لبناء شبكة تجسس أخرى سوف تكون في غاية الخطورة. وهكذا قرر رؤساء دائرة الاستخبارات السوفياتية الانتظار ريثما يهدأ التوتر. وقد كشفت تقارير الاستخبارات في موسكو بأن بعض أولئك الجواسيس المستخدمين حديثاً في أوستراليا لم يحركوا ساكناً مدة تسعة أشهر قبل أن يتجرأوا على بدء العمليات وخلال تلك الفترة أوجدوا لأنفسهم أعمالاً لأن من ينفق مالاً دون عمل يلفت إليه انتباهاً غير مستحب.

وكانت ريتا إيليوت أحد الجواسيس الجدد الذين عينوا في أوستراليا وقد أوجدت لنفسها تغطية رائعة بعدما أمضت فترة تأقلم لمدة ثلاثة أشهر. وكان اسمها الحقيقي اسفير غريغوريفنا يورينا من مواليد موسكو عام ١٩٢٣، وهي ابنة فنان في السيرك يدعى غريغوري ايفانوفيتش يورين وقد التحق بسيرك موسكو الحكومي في الثلاثينات. أما أمها فكانت فنانة تشكيلية معروفة. وقد أوصى بها منظم حزبها على أنها «صالحة للأعمال الخارجية» فأرسلت عام ١٩٤٣ إلى دراسة خاصة. وأدخلت عام ١٩٤٥ معهد غازينا للتجسس تحت رقم «ألف ٤٥٠١١٠/٢١٥ جيم» واعتباراً من ذلك اليوم عرفت باسم «ريتا إيليوت». وكان رأي «زارعيها» أن امتلاكها لمنوعات فنية سيكون أفضل تغطية لعملها المستقبل في الخارج. وهكذا أتقنت في «غازينا» عملاً من أعمال السيرك وهو المشي على الحبال.

وبرغم ساعات التمرين اليومية درست ريتا بقوة وحصلت على علامات قياسية في جميع المواضيع. فقد نص أحد تقارير نجاحها الذي أرسل إلى مقر قيادة دائرة الاستخبارات في موسكو على الآتي:

«لدى هذه الطالبة مقدرات غير اعتيادية ليس بالنسبة إلى ما يتعلق باللغة فحسب ولكن في حقول أخرى من الدراسة المتفهمة أيضاً. فقد خلقت لتكون عميلة وسوف تتعدى أعلى تقديراتنا في نطاق مهنتها في المستقبل. . .».

ولم يكن لتقدمها في اللغة والتأقلم العام سابق مثيل. فبعد أربعة عشر شهراً فقط أصبحت تتكلم وتتصرف وكأنها ولدت في وطنها «بالتبني» ـ أي أوستراليا، وكان جميع معلميها متفقون على أن لهجتها رائعة.

أجرت ريتا فحصها النهائي في غازينا بتفوق وبعد عدة أيام دبرت دائرة السفر أمر إقامتها في أوستراليا. وهربت إلى أوستراليا في نهاية تشرين الأول عام ١٩٥٥. ثم انتقلت إلى آدلايد حيث بقيت تتأقلم ثمانية أيام.

التجسس بالتنويم المغناطيسي :

وكانت محطتها التالية ملبورن، وقد جاءتها بحجة البحث عن عمل، حيث فرص العمل متاحة ومتوافرة أكثر. ونزلت في بيت ضيوف محترم يؤمه الفنانون. فأمضت أسبوعاً في التعرف على ملبورن كما سجلت اسمها لدى وسيط عمل. وأرسلت إلى موسكو ما يأتي:

«سجلت نفسي لدى صاحب عمل. أجرى لي تجربة وتأثر بمقدراتي، ووقع لي عقداً. إنه متأكد تماماً بأنه سوف يوظفني قريباً».

أما رسالة ريتا التالية فقد نصت على أنها عملت في ملبوزن حيث لقيت ترحيباً. ومن البديهي أن موهبتها الفنية حملتها إلى سيدني وكانبيرا وغيرهما من المدن الرئيسية في أوستراليا.

وما إن استقرت حتى رفعت مستوى نشاطاتها التجسسية. وخلال وقت قصير نسبياً ضربت طوقاً تجسسياً واسع الانتشار. وبسرعة بدأت تبعث برسائل عالية السرعة وبميكرو أفلام عن وثائق سرية إلى مقر قيادة دائرة الاستخبارات السوفياتية. كما ركزت على تحصيل معلومات نووية وغيرها غاية في السرية وقد قابلت بمساعدة الوسطاء رسميين وأصحاب نفوذ عديدين ممن لديهم الأولوية في معرفة تطورات العمل في «ووميرا» وفي مراكز الأبحاث. أما طريقتها في استخلاص المعلومات من أشخاص شفاههم محكمة الإغلاق فقد كانت واسعة الحيلة وأكثر من خيالية. ولكن دعونا نورد النص الحرفي لتقرير للاستخبارات السوفياتية عن ريتا إيليوت:

«بمساعدة نظرتها الحكيمة للأمور وجدت أمر مهاجمة الرجال سهل نسبياً، فبعد أن يشاركوها الشراب في النوادي يتقبلون دعوتها للذهاب إلى شقتها. وهناك تغرقهم بمشروبات تكون مزجتها بمخدر يضعف إرادتهم بصورة مؤقتة حيث تستطيع بعد ذلك تنويمهم مغناطيسياً موحية إليهم بأنهم إنما يقومون بأداء تقارير إلى رؤسائهم، فتستجوبهم بخبرة بحيث يتكلمون بحرية كما أثبتت التسجيلات البالغة الأهمية.

«أما الميزة الرئيسية لهذه الطريقة فهي حمل الضحية على نسيان كل ما تفوه به والإيحاء إليه أثناء إيقاظه وقبل إعادته إلى حالة الوعي الطبيعي بأنه كان يشرب معها فقط».

ويذكر التقرير نفسه طريقة أخرى مرادفة للأولى:

«إذا كان الشخص قد خدر بمقدار مناسب وأصبح مستعداً للاستجواب فمن الممكن حقنه بمخدر الحقيقة حيث تعطي هذه الطريقة في حالات كثيرة نتائج مرضية».

ولكن التقرير لا يحدد ما إذا كانت ريتا إيليوت اتبعت هذه الطريقة وكانت مقدرتها على تنويم ضحاياها مغناطيسياً وسحب المعلومات البالغة السرية منهم هي الطريقة الوحيدة التي جمعت بواسطتها المعلومات لمدة خمس سنوات تقريباً مرضية رؤساءها كل الرضى دون إثارة الشبهات.

ولكن برغم مهارتها وبعد نظرها لم تستطع التهرب من انتباه مكافحة الجاسوسية الأوسترالية إلى الأبد. فقد لوحظ بأن مداخلاتها غالباً ما كانت مع شخصيات بالغة الأهمية وعلى ارتباط بطريقة أو بأخرى ببحث ذري أو بعمل سري. وبعد تحقيق خاص مع تلك الشخصيات أكد كل منهم بأن علاقته بريتا كانت اجتماعية ومحض شخصية. وقد أيد كل منهم أقوال الآخرين بأن ريتا لم تذكر إطلاقاً أية أمور سياسية أو أبحاث عامية.

العودة إلى الفن:

وتلقى عميل الاستخبارات السوفياتي المولج بمراقبة أمن عملاء التجسس العاملين في أوستراليا تحذيراً بأن ريتا إيليوت وضعت تحت المراقبة. وأخطرت ريتا موسكو في الحال ولكن بدلاً من أن يرسل في طلبها فتعطي السلطات الأوسترالية بذلك تأكيداً ملموساً بأن شكوكها في محلها فقد أخطرت ريتا بترك كل نشاط تجسسي فوراً وبإبلاغ مساعديها بعدم القيام بأي نشاط حتى إشعار آخر كما أمرت بنقل الراديو ومعدات التصوير إلى مكان أمين. وأبلغت بضرورة الاستمرار في عملها كفنانة منوعات كما لو أن شيئاً لم يحدث.

وبـرغم الرقـابة المشـددة التي فرضت عليهـا فقد دبـرت أمر اتصـالها بعمـلائها ومخبريها والتخلص من كل معدات التجسس. واكتشفت ريتا الميكروفونات الملصقة في شقتهـا والتي دست من قبل ضبـاط مكافحـة التجسس الأوسترالـيـين. ولكنها تصرفت وكأنها غير عالمة بهذه التدابير، فلم تستطع مكـافحة التجسس إثبـات أية تهمـة عليها، ولكنها أبقت طوق المراقبة شديد الأحكام حولها.

ونظراً لتلك الظروف رأت مـوسكو أن لا جـدوى من إبقاء ريتـا في أوستراليـا، فاستدعتها لمهمات أخرى.

ففي كانون الثاني عام ١٩٦١ تلقت ريتا إيليوت عـروضاً «حقيقيـة» من الهنـد وبـاكستان ودول أخـرى للعمـل في منـوعـات من الـدرجـة الأولى وفي استعـراضـات سيركات، وقبلت ريتا وتركت أوستراليا في شهر شباط من عام ١٩٦١.

طافت ريتا إيليوت الهند ولكنها لم تقم بأيـة نشاطـات تجسسية، وسـافرت بعـد ذلك إلى باكستان حيث اختفت عن الأنظار.

***

لويز كوربالـلي

عميلة الفـرنسيين وعشيقـة الإنجليز

كان شارل الثاني ملك انجلترا غارقـاً في ديونـه إلى حد الإفـلاس وذلك نتيجـة تكـاليف الحروب المتعـددة التي خاضهـا الملك الإنجليزي ضـد أعدائـه ووصل الأمـر بالملك شارل بالتفكير بأن يرهن عرشه لأي جهة تدفع لتغطية رواتب جنده وموظفيه.

خلال هذه الفترة ولعلمه بالوضـع المادي المـأساوي للعـرض الإنكليزي أرسـل لويس الرابـع عشر ملك فرنسـا زوجته هنـريت والتي هي بنفس الوقت شقيقـة الملك شارل بصحبة إحدى الفاتنات الفرنسيات وتدعى لويز كـوربالـلي إلى انجلترا في زيارة استطلاع للوضع عرضت هنريت على شقيقها ملك انجلترا وباسم زوجها ملك فرنسا مبلغاً باهظاً من المال وقدره أربعة مـلايين من الفـرنكات كـدعم له لإنقـاذه من حالـة

الإفلاس في خزينته مقابل انسحابه من الحلف الثلاثي الذي شكل في حينه لمجابهة فرنسا. تردد الملك الإنجليزي في قبول هذا الدعم لقاء انسحابه من الحلف لكن لويز كوربالي حسمت موضوع قبوله للدعم الفرنسي بأن أقنعته بعد قضاء ليلة حمراء معه وعلى فراشه بالانسحاب من الحلف والانضمام إلى لويس الرابع عشر في حملة الأراضي المنخفضة والموافقة على كل شروطه.

***

ايلين جنكينز

هجروها إلى كندا فنظمت أكبر شبكة للتجسس والخطف والقتل

أما إيلين جنكينز فقد كانت إحدى أكثر الجاسوسات إثارة. فقد هاجرت من انكلترا إلى كندا حيث فتحت متجراً صغيراً في أوتاوا.

وكان لإيلين طابع إنكليزي أصيل إلى درجة أن أصدقاءها الكنديين وزبائنها كانوا غالباً ما يتندرون حول سلوكها ذي الطابع الأوكسفوردي. ولكنها كانت محبوبة وكان يؤم متجرها الصغير زبائن كثيرون لما يتمتع به من جو إنكليزي أصيل. والحقيقة أن إيلين لم تكن إنكليزية. وكان اسمها الحقيقي تانيا ماركوفنا راديونسكا. ولدت عام ١٩٢٤ في مورمانسك وهي ابنة ماجور في الشرطة السرية في روسيا. وكان لها حق مكتسب في العمل في دائرة الاستخبارات وهكذا قرر منظم الحزب صلاحيتها لذلك العمل. وكانت في الحادية والعشرين حينما اجتازت جميع الامتحانات التخصصية. وعندما دخلت معهد غازينا أصبح اسمها إيلين جنكينز وكان رقم تسجيها ب - ٣٩/٤٨٠٨٢٢. جـ.

وفي أيام ١٩٥٨ أدخلت إلى انكلترة حيث أخذت تتأقلم على الظروف المعيشية في المملكة المتحدة لمدة تسعة أيام، وأمضت أكثر الوقت في كارليل. ثم قدمت إلى لندن حيث وجدت فندقاً متواضعاً في منطقة «الملك» وزعمت بأنها تبحث عن عمل كمساعدة في متجر.

ولكن على الرغم من محاولاتها الجاهدة في الحصول على وظيفة ملائمة فقد كانت تقفل عائدة إلى فندقها دون نتيجة. تلك كانت كل تحضيراتها لمخططاتها في المستقبل.

لقد كانت لديها أوامر من موسكو بالبقاء في لندن دون القيام بأي عمل، وذلك لخلق الحجة المعقولة بغية الهجرة إلى كندا.

وخلال مناسبات عدة أخبرت صاحبة الفندق وغيرها من النزلاء بأنها ضاقت ذرعاً بعدم العثور على عمل بينما أخذ ما ادخرته من مال يتضاءل شيئاً فشيئاً. ولما لمحت إلى أنها تفكر في الهجرة إلى كندا، شجعها بعضهم بينما تمسكت صاحبة الفندق بأن العيش في انكلترا أفضل.

ولم تضع إيلين تلك الأشهر سدى بل تعلمت كيف تكون إنكليزية أكثر من أي إنكليزي. فقد اتخذت لها أصدقاء من أصحاب المكاتب وفتيات المتاجر. وكانت ضحوكة بالفطرة، إلا أن نوع عملها حرمها لذة تنمية صداقات حميمة.

وفي النهاية هجرت إيلين جنكينز «مسقط رأسها» وأبحرت إلى كندا حيث وصلت في آذار من عام ١٩٥٩.

ولم تكن في حاجة للتأقلم في ذلك الوطن الجديد. فقد كانت مغتربة، ومن المفروض أن تكون غير معتادة على طريقة العيش الكندية، ومع ذلك فقد أمرتها موسكو بانتظار أوامر لاحقة قبل أن تشرع بتعاطي التجسس. وهكذا بقيت ستة أسابيع في مونتريال حيث عملت كبائعة في مخبز. وعندما أمرت بالتوجه إلى أوتاوا عمل مديرها على إقناع بائعته النشيطة بالبقاء. ولكن إيلين احترعت أن لها عمة في أوتاوا فاجأها المرض وهي في حاجة إليها لتبقى بالقرب منها.

أول شاب: صندوق بريد:

استأجرت إيلين شقة باهظة الأجرة في أوتاوا حيث زعمت أن عمة لها توفيت منذ عهد قريب وتركت لها ما ادخرته من مال

وخلال أسبوعها الأول في أوتاوا جندت أول مساعد لها منذ التقته صدفة في سناك بار وسرعان ما اكتشفت أنه كان يهتم بلقاء شخص ما من انكلترا. تصممت على استخدامه وهكذا علمت موسكو في رسالتها الميكرودوت ما يلي:

«وجدت شاباً في التاسعة عشرة من عمره يعمل ككاتب في مؤسسة معروفة

وقد أخبرته بأنه من غير المستحسن بالنسبة إليّ أن أستلم رسائل شخصية من أوروبا في بيتي. فوافق على إرسالها إلى عنوانه».

ولم يساور الفتى أي شك. ومنذ ذلك الحين أخذت رسائل الميكرودوت تردها من موسكو عبر «صندوق بريدها» الجديد.

وكانت إيلين صديقة بالفعل لذلك الفتى وكانت كثيراً ما تقدم له الهدايا. ولكنها لم تستخدمه إطلاقاً في مهمات تجسسية. فليس لديه أي مجال في عمله للحصول على أية معلومات سرية كما كان غاية في السذاجة للقيام بمهمات مخبر. ففضلت إيلين استخدامه «كصندوق بريد» دون أن يعلم أنه كان خيطاً هاماً في شبكة تجسس.

عصابة الاغتيال:

وفي غضون أشهر أربعة على وصولها إلى أوتاوا نجحت إيلين في توطيد نفسها كرئيسة تجسس وكان مصدر قوتها الأكبر دورها كامرأة إنكليزية أصيلة في الخامسة والثلاثين من عمرها.

وخصصت نفسها لعمل الإحسان وكانت دائماً السباقة إلى مساعدة أي محتاج. ومن وراء الكواليس لم تكن تدير عملية تجسس فحسب بل كانت ترعى زمرة تقوم بأعمال الخطف والاغتيال.

فقد أمرت باغتيال مهندس إلكتروني ولد في ألمانيا ويعمل في إحدى قطاعات التسليح الكندية. وكانت قد صارحته باستخدامه كمخبر رئيسي، وهددته بأنه ما لم يزودها بمعلومات فإن أقرباءه الذين يعيشون في ألمانيا الشرقة سوف «يحقق معهم». ولكن الألماني رد بجنون بأنه سوف يبلغ السلطات عن تهديداتها، وهكذا دبرت إيلين أمر تخديره وإعدامه بواسطة عصابتها الإرهابية. ودبر موته كي يبدو وكأنه انتحار.

كما دبرت أمر اختطاف مغترب سلافي إلى روسيا. وكان يعمل كواضع تصاميم في مكتب تصميم لشركة طيران. فقد عارض تهديداتها وحاول إعلام السلطات. لكنه لم يستطع أن يفعل ذلك إذ دهمته سيارة أثناء أجتيازه الشارع واختطفته إلى بيت ريفي

منعزل. وعندما أصبح أمر نقله جاهزاً حقن بمادة مخدرة وأثناء غيابه عن الـوعي هُرّب على ظهر سفينة مبحرة إلى روسيا.

وحتى شهر آب سنة ١٩٥٩ كانت إيلين قد دبرت عمليات قتل واختطاف كثيرة فشكلت بذلك خطراً على جماعتها وأقلقت مـوسكو. فـأرسل عميـل لمراقبـة نشاطـاتها وللإبلاغ عنها.

أطاعت إيلين أوامر موسكو ولكنها تابعت عمليات الابتزاز بالتهديـد والعنف في سبيل تجنيد المخبرين. ولم تتدخل موسكو بالأمر فقد كانت المعلومات التي تتلقاها منهـا بالغة الأهمية.

وظلت إيلين تعمل كبائعة في متجر للبياضات حتى شهر تموز عـام ١٩٥٩. وقد جعل توسع أعمالها وقتها ضيقاً. ففضلت العمل لحسابها وهكذا اشترت متجراً مماثـلاً. وحرصت على عـدم استعمالـه كمركـز للقاءاتهـا مع المخـبرين والعملاء. وعنـد حلول الميلاد أخذت حياتها وجهاً غريباً. فقد دخـل محلها شـاب وسيم. يطلب شراء هـدية لأمه، فأحب إيلين وواعـدها. وللمـرة الأولى في حياتهـا المهنية سمحت إيلين لنفسهـا بالتورط عاطفياً مع أي إنسان. ولكن في شهر كانـون الثاني ١٩٦٠ اكتشفت إيلين أن حبيبها شرطي رسمي فأبلغت موسكو بذلك وتلقت تعليمات بمتابعة صداقتهـا ومحاولـة معرفة مدى اطلاع السلطات الكنـدية عـلى التجسس السوفيـاتي. وأبلغتها قيـادة دائرة الاستخبارات السوفيات بوجوب قبولها لطلب الموظف الرسمي بالزواج منها.

السوفياتي الهارب:

واستقت إيلين إخبـارية مفيـدة من حبيبها تتعلق بـايغـور غـوزينكـو وهـو محلل الشيفرة في السفارة السوفياتية، شارع شارلوت في أوتـاوا، الذي كـان قد قـرر اللجوء إلى الكنديين، وحينما قرر ايغور غوزينكـو طلب اللجوء السيـاسي إلى كندا، كـان على أتم استعداد للقطيعة مع السوفيات. فقد حرر قائمة بعدد كبير من الـوثائق التي تـورد دزينة من الديبلوماسيين السـوفيات الـذين يستخدمـون في حقول أبعـد ما تكـون عن الديبلوماسية. ومهما يكن من أمـر فقد كـان من المهم ألا تخونـه ملفات السفـارة ذات السرية القصوى والتي كانت في حاجة إليها، إذا ما قام أي عميل سري بإجراء تدقيق

سريع عليها. ولذا فقد ترك المستندات في ملفاتها وجعل حرفها مقلوباً إلى أسفل بحيث يسهل عليها حصرها عند حاجته إليها.

وخلال الساعات المبكرة من مساء الخامس من أيلول قرر غوزينكو أن ساعة الصفر بالنسبة إليه قد أزفت فترك السفارة وقصد مباشرة مكتب رئيس تحرير إحدى الصحف حاملاً في جيوبه مستندات كافية لزج دزينة من الجواسيس وراء القضبان. ولكن رئيس التحرير اعتقد أن تلك المستندات مزورة. فرؤساء التحرير غالباً ما يتلقون قصصاً جديدة مختلفة يطمع أصحابها بقبض مبالغ خيالية حيالها. وهكذا خرج غوزينكو مطروداً.

تهدمت آمال غوزينكو، فالعملاء السوفيات في أوتاوا ربما يبحثون عنه. وتحت وطأة الهلع قصد مكاتب رسمية كندية مختلفة وأبلغ العديد من الرسميين عن رغبته في اللجوء إلى الغرب ولكن لم يصدقه أحد. فقد اعتبر مخبولاً، وأيدت تصرفاته المتزايدة العصبية واضطرابه هذا الاعتقاد. ولكن السفارة السوفياتية ساعدته دون قصد منها. فقد كان غيابه غير المبرر بمثابة إنذار لرئيس ضباط الأمن في السفارة لاتخاذ الاحتياطات الطارئة. فخلع مجهولون باب شقة غوزينكو وبعثروا محتوياتها. وهكذا طلب البوليس الكندي إلى مسرح الحادث، فأجرى تحقيقاً مع غوزينكو ووضعه تحت الحجز الوقائي.

ورفضت السلطات الكندية بعد ذلك طلبات السفارة السوفياتية بتسليم غوزينكو وأعطته حق اللجوء السياسي. وتبين بعد ذلك أن مكافحة الجاسوسية الغربية أرادت إبقاء حقيقة إدارة السفارة السوفياتية لشبكة التجسس في طي الكتمان، كما لو أن غوزينكو لم يفه بحرف.

أين اختفت؟:

وسخرت إيلين من حبيبها عندما أخبرها بهذه القصة. وأتقنت التمثيل عندما رفضت التصديق بأنه كان على مكافحة الجاسوسية الكندية أن تعتمد على وشاية «مرتد» سوفياتي لكي تستطيع كشف جواسيس روس. ولكن على إيلين أن تبلغ موسكو بأن خطيبها «ليس على علم بشيء أو أنه شديد الحذر» بالنسبة إلى كشف الطرق التي تعتمدها مكافحة الجاسوسية في الغرب.

وتابعت إيلين نشاطاتها التجسسية، إلى أن قرر مقر قيادة دائرة الاستخبارات في

موسكو تغيير مسرح عملياتها. فتلقت أوامر بمغـادرة كندا. وأسعفتهـا «الشعبة الثـالثة» برسائل «حقيقية» من انكلترا تفيد بأن عمهـا مريض وبحـالة خـطرة. فكانت قصتهـا معقولة بشكل جعل خطيبها نفسه يلحّ عليها بالسفر دون إبطاء.

ففي أي من البلدان النـاطقة بـالإنكليزيـة تسلمت تانيـا ماركـوفنا راديـونسكـا جنسيتها الجديدة؟

إنه أمر ما زال مجهولاً حتى الآن.

***

إيلكا فالك

جاسوسة المستشارية

كانت إيلكا فالك الألمانية الجنسية عزباء وقد تخطت الثلاثـين من عمرهـا عاملة في المستشارية الألمانية الغربية كسكرتيرة تحوي في درجها الكثير من المعلومات التي تمس أمن ألمانيا. وكانت بالتالي هدفاً مهماً لمخابرات ألمانيا الشرقية.

تقرَّب جيرهارد تيبا عميل المخابرات الألمانية الشرقية من قلب إيلكـا حتى هامت به ولم تستطع الامتناع عن تنفيذ أي أمر له.

قامت بالتجسس لحساب عشيقها على المستشار الألماني السابق هيلموت شميدت ثم على المستشار الحالي هيلموت كول ثم تناوبت بالانتقال إلى كـل مكاتب المستشـارية بناءً لأوامر العشيق حتى باتت في الفترة من ١٩٧٨ ـ ١٩٨٧ قـد عملت في كل هـذه المكاتب بأقسامها المختلفة وفي كل قسم كانت تعمل بـه كانت كـل المعلومات السريـة والدقيقة والحساسة سواءاً الأمنية أو السيـاسية أو الاقتصـادية وحتى محـاضر اجتماعـات مجلس الوزراء في أيدي الألمان الشرقيين.

والغريب في كل ذلك أن أحداً لم يشك إطلاقاً بإخلاصها لعملها ولبلدها.

أمـا كيفية كشفهـا فتعود إلى أن عشيقهـا جيرهـارد وُضِعَ تحت المـراقبة ومتـابعة أنشطته اليـومية أوصـل المخابـرات الألمانيـة الغربيـة إلى إيلكا الـذي كان يـتردد عليها بفترات متقطعة.

أُلقي القبض عليها للاستجـواب فانهارت واعـترفت بكل المهـام التي كلَّفها بهـا عشيقهـا أما العشيق فلقـد اختفى من كل ألمـانيا الغـربية ليـظهر بعـد فـترة في ألمـانيـا الشرقية.

ليونور هانيز
ضحية الغربان

صيف ١٩٦٠ دق هـابر سـوترلـين باب شقـة ليونـور هاينـز المرأة الحـائرة والتي وضعت عنوانها في إعلانات الصحف للاتصال بها لسأمها من وحدتها.

استقبلت المضيفـة الضيف الجذَّاب واللّبق وبعـد المجامـلات المعتادة دعـاها إلى حفلة راقصة صاخبة وعشاء وبعد ستة أشهر اتفقا على الزواج.

هانز سوترلـين في حقيقته لم يكن سـوى عضو في مجمـوعة الغـربان النُخبـة ذوو الوجوه الوسيمة والقامات الرياضيـة والألسنة الـزلقة والتي مهمتهـا داخل الـ K.G.B التـوغل في عـواصم أوروبا الغـربية لإغـراء الموظفـات الشابـات اللواتي يعملن داخل الوزارات الغربية والمراكز الحساسة.

وبدورها ليونور هاينز كانت موظفة في وزارة الخارجيـة الألمانيـة الغربيـة من هنا كان الهدف الثمين.

بعـد فترة من الـزواج وتعلّق العشيقة بعشيقهـا الذي أجـاد لغة الحب كـما أجاد واجباته الزوجية طلب منها جلب الوثائق السرية لدى وزارة الخارجيـة الألمانيـة والتي لم تتردد في إحضارهما حفاظاً منها على عدم فقدان الرجل الذي أحبت.

أكثر من أربعة آلاف وثيقة فائقة السرية منهـا خطط حلف الأطلسي في مـواجهة محتملة مع المعسكر الاشتراكي ومحاضر اجتماعات الحلف وكذلك كل الخطط العسكرية الخاصة بألمانيا الغربية وكل أرشيف المعلومات السرية للعمـلاء وشيفرة الاتصـال بينهم وكذلك مواضع الصواريخ السرية للحلفاء نوعها وأماكن انتشارها.

كـل هذا الإنجـاز الهام كـان يصل لمـوسكو لحـظة بلحظة أما عن أهميـة هـذه المعلومات فلم تكن تُقدَّر بثمن.

لم يوقف هذا الكم الهام من المعلومات سوى إلتجاء أحد رؤساء هانز إلى الغـرب ليكشف حقيقة مهمة الزوجين هانز وليـونور ثم إلقـاء القبض عليهما. رفضت ليـونور إدانة زوجها أو جرح كرامته من عشقها له لكن اطلاعها على حقيقـة علاقتـه بها وأنـه كان ينفذ أوامر مخابراتية ليس أكثر جعلها تنتحر في إحدى زنزاناتها أما هانز فقـد حُكم عليه بالسجن ثماني سنوات.

ليديا كوزازوفا
فخ اللذة

في أوائل الخمسينات أنشأت ليديا كوزازوفا مركزاً فاخراً ظاهره التدليك في فرانكفورت وحقيقته تجنيد عملاء جدد للـ K.G.B.

ما أن اشتهر مركزها حتى باتت مقصد كل رجال الدولة والدبلوماسيين وضبّاط الجيش والأمن ولقد سخّرت ليديا عشرات الفاتنات اللواتي يقمن بمهمة التدليك هذه مع الاستعداد لتقديم خدمات أخرى خلف كواليس مركزها.

وقع في مصيدة فاتناتها العديد من الشخصيات الهامة التي كانت تُسجل وتُصور كل همساتهم وأوضاعهم المختلفة وأصبح لدى المخابرات الروسية أرشيفاً ضخماً لابتزاز كل هؤلاء الزبائن. من أهم هؤلاء الزبائن على الإطلاق الرقيب غلين روهرر الذي كان يعمل على جهاز كشف الكذب لدى وكالة المخابرات الأميركية حيث ووجه بشريط كامل عن المهام التي أداها في ماخور ليديا وتحت التهديد بإرسال الشريط لرؤسائه وافق على التعاون. وبقي خمسة سنوات متعاوناً كاشفاً للـ K.G.B كل الأسماء المتعاونة والعملاء الغربيين وكانت تلك الفترة بحق «مجزرة» حقيقية بحق عملاء الـ C.I.A حيث كشفت كل شبكاتهم في أوروبا الشرقية والغربية.

التجأ روهرر أخيراً بعد كشف المخابرات الأميركية له لتشيكوسلوفاكيا وبدورها هرّبت ليديا للاتحاد السوفياتي.

***

مدام مارتا

الماخور الفاخر

جنّدت المخابرات الروسية مدام مارتا أثناء قضائها لعطلتها السنوية في موسكو وتبنّت تمويل مؤسسة فخمة في بون تديرها مدام مارتا وذلك لقاء تغاضيها عن التصنت والتصوير السري الذين سيقومون به الـ K.G.B داخل جدران هذه المؤسسة.

بقيت مؤسسة مدام مارتا للتدليك تقوم بمهامها خير قيام طوال ثلاث سنوات

(١٩٦٩ ـ ١٩٧٢) وكان مقرها ملاصقاً لمركز شرطة المدينة في إحدى ضواحي بون الرائعة وفي مدينة بادغوسبرغ تحديداً.

استقطبت مارتا وفاتناتها العديد من الشخصيات الذين لم يبخلوا عليهم تحت وهج اللذة بكل ما طلبوه من معلومات وأسرار هامة التي كانت تُنقل لموسكو مباشرة.

اعتقلت مارتا أخيراً وكشفت مهام مؤسستها الفخمة، صُعق الأميركيون لضخامة المعلومات التي سُرِّبت وللأسرار الدقيقة التي لاقت طريقها للـ K.G.B.

***

كيمي شميدت

بيوت الدعارة

ركز أدولف هتلر مع بداية الحرب العالمية الثانية على العنصر النسائي المميز في عمليات التجسس وجلب المعلومات وقال في هذا الصدد:

«إن المرأة الألمانية أنفع بكثير من الرجل في عالم التجسس وأنني شديد الإعجاب بذكائهن وخططهن النسائية نظراً لتفوقهن بسلاح الإغراء وقدرتهن الهائلة على وضع الطعم القاتل لفريستهما في جو هادىء.. حقيقة أن النساء لأعظم قوة كامنة في حزبنا السياسي».

كلف هتلر رئيس مخابراته رينهارد هيدرينبج بإنشاء شبكة جاسوسية من الفاتنات الألمانيات. واستطاع رينهارد مع بداية العام ١٩٣٩ تشكيل هذه الشبكة النادرة بعد أن سبق تدريبهن جميعاً على أعمال الجاسوسية وتوزيع هذه الشبكة على عدد من بيوت الدعارة الألمانية.

تزعمت عمل هذه المجموعات امرأة ألمانية تدعى كيمي شميدت استطاعت بمساعدة رئيس مخابرات هتلر أن تزرع كل غرف المتعة في بيوت الدعارة التي تديرها بأحدث ميكرفونات التسجيل.

ما أنجزته هذه الشبكة كان مذهلاً كل ذلك تم فوق سرائر غرف النوم المريحة ووسط دفء أحضان العاهرات. إذ استطاعت كشف العديد من عمليات تهريب الأموال لليهود من ألمانيا للخارج وكذلك كشف الكثير من القوى المعارضة لسياسات هتلر مدنيين وعسكريين وأكثرهم من الرتب العليا بالجيش الألماني.

أنجلا ماريا رينالدي
«القيصرة الحمراء»
تزوجت مظلي إيطالي
صور لها قواعد الحلف الأطلسي

أما قضية أنجلا ماريا رينالدي أو القيصرة الحمراء فقد هزت العالم الغربي.

ففي آذار عام ١٩٦٧ كشف النقاب عن شبكة تجسس ضخمة تعمل في إيطاليا ناشرة خيوطها على معظم بلدان البحر المتوسط والقارة الأوروبية، تمد قيادة الاستخبارات في موسكو بالأسرار الثمينة عن الحلف الأطلسي.

ولقد دهش كثير من الناس عند معرفتهم أن رئيسة تلك الشبكة لم تكن إلا فنانة الهبوط بالمظلات الإيطالية الرائعة الجمال أنجلا ماريا رينالدي.

ففي عام ١٩٥٤ قررت قيادة الاستخبارات في موسكو أن أنجلا ذات الثمانية والثلاثين عاماً يجب أن تكون رئيسة شبكة التجسس في إيطاليا. فقد كانت ذكية، نشيطة وجميلة وكانت تبدو أصغر من عمرها الحقيقي بخمسة عشر عاماً.

ولم تأخذ أنجلا وقتاً طويلاً للعمل. فقد كانت مجهزة من قبل قيادة الاستخبارات في موسكو بلائحة لأسماء الأشخاص الصالحين للتجنيد وبالأموال اللازمة لدفعها للعملاء والمخبرين. وفي ربيع ١٩٥٤ كانت أول شبكة تجسس لها تعمل بجد. وكان رؤساء الاستخبارات في موسكو مسرورين من الدفق المنتظم للإخباريات السرية التي كانت ترسلها.

وكان أحد عملائها زوجها جيورجيو رينالدي وهو مظلي إيطالي لامع. ولم يكن يعلم بأن زوجته الجميلة كانت تكبره بخمس عشرة سنة بل كان يعتقد بأنها تصغره بسنة كما أن بطاقة انتسابها إلى نادي المظليين كانت تؤكد صغر سنها.

وكان جيورجيو رينالدي يستعمل آلات تصوير حديثة وأفلاماً تقنية في تصويره للقواعد السرية التي كان يطير فوقها لتحضير قفزاته الاستعراضية حيث كان مسموحاً

لـه الدخـول إلى مطارات الأطلسي وغـيرها بصفتـه مدربـاً. كما كـانت لديـه الفـرص للتحدث إلى «الشخصيات الحسنـة الإطلاع» فكـان يسجل كـل كلمة لهم عـلى آلات تسجيل دقيقة وصغيرة جداً. كما كان يصور النسخ الكاربونيـة والمستندات والتصـاميم كلما سنحت له الفرصة.

أمـا أنجلا التي كـان يلقبها عمـلاؤها بـالقيصرة فقد أرسلت إلى مـوسكـو كـل الإخباريات والأفـلام الميكرو والتسجيـلات التي كانت تستلمهـا من زوجها ومن غـيره من العمـلاء العاملين في إيـطاليا، اليـونان، قـبرص، الصومـال، المغرب، إسبـانيـا، البرتغال، سويسرا، اسكندنافيا، انكلترا، تركيا وإفريقيا. بعض تلك المعلومـات كان يرسل بالشيفرة بواسطة إذاعات الراديو العالية السرعة والبعض الآخـر كان يصـل إلى موسكو بطرق ملتوية كثيرة ضمن رسائل مكتوبة بالحبر غير المنظور، كـما كانت تـرسـل رسائل الميكرو دوت تحت الطوابع البريدية الملصقة على البطاقات الـبريديـة أو رسائـل الأعمال. أما الأفلام الميكرو والتسجيلات فكانت تخفى داخل أشياء بريئة المظهر.

جيورجيو في موسكو:

وبعد سنتين من بدئها العمل، استدعت قيادة الاستخبارات في موسكو زوجهـا جيورجيو إلى الاتحاد السوفياتي لتلقي التدريبات في شتى قواعـد الجيش فكان عليـه ألا يثير شبهات مكافحة الجاسوسية بسفره إلى الاتحاد السوفياتي. فسافـر إلى باريس ومنهـا إلى الاتحاد السوفياتي فأمضى فـترة التدريب القصـيرة ثم عاد بـالطريقـة نفسها دون أن يلحظ على جواز سفره أنه دخل الاتحاد السوفياتي أو خرج منه.

وبعد ذلك بقليل بدأت دوائر الأمن الإيطالية تراقب تحركاته وذلك لصداقته مع أحد الضباط السوفيات. وأنذر أحد عمـلاء أنجلا رئيسـه بالخـطر. فأوقف جيـورجيو لقـاءاته بـالضباط. واقتنعت دوائـر مكافحـة التجسس بعد عـدة شهـور بـأن لقـاءات جيورجيو بالضباط كـانت بريئـة وغير مؤذيـة فأوقفت مـراقبتها لـه. وخلال السنـوات السبع التالية أخذت المعلومات والأسرار الاستراتيجية تتدفق عـلى قيادة الاستخبـارات في موسكو دون أن يثار أي شك حول أنجلا أو زوجها أو أي من عملائها.

وفي عـام ١٩٦٣ عادت الشكـوك تحوم حـول جيـورجيـو. فقـد كـان يعيش في بحبوحة بينما كانت أحوال متجر العاديات الذي كانت تتخـذه أنجلا كتغـطية لأعـمالها

التجسسية، في ضائقة اقتصادية فأحكم نطاق المراقبة حول جيورجيو ولكن بسرية تامة بحيث لم يتنبه عميل أنجلا المراقب لذلك. ولم تظهر تحركات جيورجيو أي شيء يدعو إلى الريب ولكن مكافحة التجسس تابعت المراقبة بدافع الإحساس بأن ثمة نجاحاً سوف يحقق.

وكان أول اكتشاف لرجال الأمن هو سفر جيورجيو السري من باريس إلى موسكو وكان من المستطاع توقيف جيورجيو بتهمة السفر غير المشروع ولكنها لم تفعل ذلك لكي تصل إلى الشبكة التجسسية. ولم يتنبه جيورجيو إلى ذلك، بل قام برحلات أخرى غير مشروعة إلى الاتحاد السوفياتي وكان ذلك يحكم الطوق حول عنقه.

محاولة خطف سفيتلانا ستالين:

وفي منتصف شهر آذار ١٩٦٧ حينما وصلت سفيتلانا ستالين إلى روما. استلمت أنجلا رينالدي رسالة شيفرة بالراديو العالي السرعة من موسكو تطلب منها خطف ابنة ستالين. وجند جميع العملاء والمخبرين وحتى أنجلا وزوجها وسائقهما أرماندو جيرار لاقتفاء آثار سفيتلانا بينما كانت مختبئة في روما بانتظار طيرانها إلى سويسرا. وعندما عرف أن ابنة ستالين طارت إلى بيرن، قررت أنجلا أن عملية خطفها يجب أن تتم هناك.

وفي تلك الأثناء لم يكن جيورجيو فحسب بل أنجلا وأرماندو أيضاً كانا تحت المراقبة الثابتة. وبغفلة عن كل خطر أوقف أرماندو جيرار على الحدود الإيطالية السويسرية بينما كان يجتازها في طريقه إلى سويسرا. وعثر بحوذته على أفلام ميكرو عن قواعد طيران أميركية في أسبانيا.

وقبضت مكافحة التجسس على أنجلا ماريا وجيورجيو رينالدي في مدينة تورين. وضبط جهاز راديو مرسل - لاقط للموجات القصيرة ذو قوة كبيرة. كما ضبطت كتب شيفرة وأفلام ميكرو عن قواعد الأطلسي في إيطاليا وقواعد أميركية في أماكن أخرى من أوروبا وكمية كبيرة من معدات التجسس.

وكان لعملية القبض على أنجلا نتائج أخرى في عدة بلدان. فقد قبض على عميلين في قبرص كما أبعد ملحق وموظف طيران سوفياتيان. وفي اليونان قبض على عميل سوفياتي في أثينا، كما قبض على عدد من العملاء في اسكاندينافيا، فرنسا، إسبانيا، المغرب وغيرها.

جرمين

دوّخت باريس وبروكسل ووقعت في الفخ بسبب سندويش

إن قضية مدموازيل جرمين كما سجلت في الملفات الرسمية تبدو وكأنها من إبداع مخيلة واسعة.

لم تكن مدموازيل جرمين ذات الطابع الفرنسي الأصيل فرنسية. كانت ابنة أب روماني وأم جيورجية. جاء الأب سولتان كورنسكو إلى أوديسا في سن الشباب عام ١٩١٣ آملاً منه بأن ميناء البحر الأسود الزاخر بالنشاط والحركة سوف يؤمن له فرص عمل أفضل من بلده الأصلي. وحظي بوظيفة في شحن السفن وتزوج بعد سنة من ماريا كاليتزي، ابنة مدير المؤسسة الجيورجي.

وفي تشرين الأول عام ١٩١٦ ولدت ابنتهما إيرينا سولتانوفنا. وبعد واحد وعشرين عاماً دخلت إيرينا مدرسة ستيبينايا التجسسية التابعة للمخابرات السوفياتية تحت اسم مدموازيل جرمين.

وكانت الفرنسية هي المادة المفضلة لدى إيرينا، فدبر أمر دخولها كطالبة في جامعة موسكو حيث تخرجت عام ١٩٣٧ حاملة دبلوماً بالفرنسية.

وكانت وظيفتها الأولى هي الترجمة إلى الفرنسية في دار نشر اللغات الأجنبية في موسكو، وسرعان ما نقلت إلى العمل في القسم الفرنسي في إذاعة موسكو. ونقلت بعد ذلك إلى القسم الفرنسي في الكومنترن. وعندما شنت ألمانيا النازية الهجوم على الاتحاد السوفياتي في حزيران ١٩٤١ عينت إيرينا في وزارة الخارجية السوفياتية. وانتهت مهمتها الديبلوماسية عام ١٩٤٥. وبعد انتهاء الحرب، قرر ستالين إعادة بناء شبكة التجسس في العالم، وكان من نصيب إيرينا سولتانوفنا العمل في فرنسا.

معهد ماركس انغلس:

وكانت إيرينا قد وضعت قيد التدريب على أعمال التجسس في معهد ماركس انغلس وفي معهد لينين التقني. وكان عليها أن تمر في مرحلة تدريبية خاصة لدى قيادة الاستخبارات السوفياتية ومن ثم تولت شؤون قسم تكلم الفرنسية التابع لمعهد

التجسس في ستيبينايا. وعندما أصبحت جاهزة للعمل توجهت الجاسوسة اللامعة ذات الحادية والأربعين من العمر (كانت تبدو أصغر من ذلك) إلى فرنسا باسم مدموازيل جرمين.

وبعد فترة تأقلم، أمضتها في باريس عملت مربية أطفال فرنسية. ولم تستطع مؤسسة فرنسية إعطاءها أكثر من عمل لدى صاحب بنك كمدبرة منزل حيث لا تستطيع الحصول على أية معلومات، ولدى تاجر منسوجات حيث رفضت العمل للسبب نفسه، ولدى رجل أعمال في تولوز حيث كانت شديدة البعد عن حقل عملها الحقيقي، ولدى بلجيكي يعمل في صناعة الفولاذ وهو عمل غير مناسب كذلك. ولكنها ارتضت به كي تتمكن من بناء الغطاء الكافي لعملها الحقيقي.

ولكن العيش مع تلك العائلة كانت له مساوئه. فقد كان من المستحيل على إيرينا إبقاء معدات التجسس في غرفتها خوفاً من إمكان اكتشافها. وكانت تملك كمية كافية من المال كما كانت لديها لائحة بأسماء الأشخاص الملائمين للتجنيد كعملاء ومخبرين.

وهكذا أصبحت قادرة على إيجاد مخبأ للمعدات التقنية. كما جندت عملاء وأقامت أول شبكة تجسس لها.

ولحسن حظها وجدت العائلة البلجيكية من خيرة أرباب العمل. فقد عوملت كواحدة من الأسرة. كما أقامت حفلات كثيرة وكان ضيوفها من الفرنسيين المدنيين والضباط وحتى أفراد من الهيئات الديبلوماسية. وهكذا وبمحض الصدفة، أصبحت إيرينا جرمين قادرة على التقاط مقتطفات هامة من الإخباريات السرية عن الأوضاع الصناعية والسياسية الحيوية.

السفر إلى بروكسل:

وبعد انقضاء أربعة أشهر، في خدمة العائلة قرر مستخدمو جرمين العودة إلى بروكسيل والسكن هناك. وأوعزوا إليها بوجوب مرافقتها لهم. ولكن مقر قيادة الاستخبارات في موسكو كان يريدها في فرنسا ولم يكن باستطاعتها تغيير مركزها دون اتفاق. ولذا بعثت برسالة شيفرة عالية السرعة إلى مقر القيادة في موسكو وتلقت الإذن بمرافقة مستخدميها وتركيز نفسها هناك كعميلة مقيمة لشبكة تجسس. وفي بروكسل

أكمل مستخدموها سيرتهم الأولى فاستطاعت جرمين الحصول على معلومات غاية في الأهمية بواسطة ميكروفونات لاصقة وشرائط تسجيل ومن ثم إرسالها إلى مقر قيادة الاستخبارات في موسكو.

ولكن ذلك المورد كان ضئيل الفوائد. فقد كانت مهمتها الأولى إقامة شبكة تجسس تتسلل إلى داخل محطات الأبحاث والمراكز العسكرية البلجيكية، وقد فعلت ذلك. فبعد ستة أسابيع من وصولها إلى بروكسيل كان لها شبكتا تجسس عاملتان والعديد من العملاء والمخبرين يزودونها بالنسخ والتصاميم والتقارير العسكرية وغيرها من الوثائق الحيوية.

وكان يليها في القيادة بلجيكي يدعى بول فيكن وهو ظاهرياً رجل دين متعصب. ويبدو أن جرمين كانت تستطيع لقاءه بكل اطمئنان عندما تدعو الحاجة. ولكن بالرغم من المهنة التي تسترت بها والاحتياطات التي اتخذتها والتي جعلتها في مأمن لسنوات عديدة، فإن علاقتها مع بول فيكن أدت إلى افتضاح أمرها. فقد ارتضت بلقاءاتها في البارك حيث كانت تصطحب أولاد مخدوميها كل يوم فتلاعبها بالكرة وتتحدث إلى فيكن الذي تمادى إلى حد مجالستها على البنك. وكانت القضية تبدو وكأنها قصة حب خادمة. ولكنهما ارتكبا غلطة لوحظت في النهاية ذلك أن فيكن لم يكن يواعد صديقته الخادمة في أيام عطلتها. وكانت بادرة ذكاء منها أن تأتيه بسندويشات. ولكن لم يكن ذكاء منه أن يأكل واحدة منها وأن يضع البقية (المحتوية على الميكرو أفلام) في جيبه. كما كان من غير المعقول ألاّ تأكل جرمين والأولاد كل الفطائر اللذيذة التي كان يأتيهم بها فيكن بالمقابل. حيث كانت مدموازيل جرمين تضع بعضها في حقيبتها. أما عملاء مكافحة الجاسوسية الذين كانت شكوكهم قد استيقظت فقد وضعوا جرمين تحت المراقبة ولاحظوا تلك الأخطاء البسيطة. وألقوا القبض عليها. كما ألقي القبض على معظم عملاء ومخبري شبكتها التجسسية وصودرت أحدث وأكمل معدات التجسس السرية.

ماريا كنوت

«الصدمة المريعة»:

أما ماريا كنوت فقد كانت جاسوسة سوفياتية مدربة اتخذت لنفسها شخصية ممثلة ألمانية حيث كانت تستدرج الضباط الأميركيين والإنكليز إلى شقتها الفخمة في ضاحية من ضواحي كولوني. ولكنها لم تستطع الإفلات على الرغم من كونها جاسوسة سوفياتية رئيسية. فقد ألقي القبض على العديد من صغار الجواسيس في ألمانيا الغربية ولكن نادراً ما استطاعت مكافحة التجسس الألمانية بمساعدة مكافحة التجسس التابعة للحلفاء إلقاء القبض على جاسوس سوفياتي رئيسي من مرتبة ماريا كنوت. فخلال سنوات عديدة أمدت شبكة التجسس التابعة لها موسكو بالتقارير الرسمية، وبالتفاصيل الاستراتيجية العسكرية وبإنشاءات مهابط الطائرات وبتشكيلات البوليس الألماني الغربية وحرس الحدود وبتصاميم الجيش الألماني الغربي العسكرية.

وكان أحد أهم عملائها المفتش كرمان وستبولد من شرطة فرانكفورت. وكان ضابطاً وثق الحلفاء بولائه. واعترف وستبولد لدى اعتقاله في النهاية بأنه كان عميلاً سوفياتياً سنوات عدة وأنه كان يقبض شهرياً زهاء ٤٥ جنيهاً أسترلينياً على الأقل ثمناً لخدماته.

وألقي القبض على ماريا كنوت داخل مكتب البريد المركزي في كولوني. وقيل بأن المستندات التي عثر عليها بحوزتها قد أصابت قادة الحلفاء «بصدمة مريعة». كما ألقي القبض على أربعة من أعضاء شبكة ماريا التجسسية، كما صودر مرسل ولاقط موجات راديو قصيرة بالإضافة إلى معدات تجسس أخرى هامة.

ولكن أفراد الشبكة الآخرين أخطروا بالأمر ولاذوا بالفرار وكان من بينهم رئيس ماريا الذي لم تعرف هويته بعد ذلك على الإطلاق.

ماريان

أبرع الجواسيس الروس في ألمانيا الغربية

أما قضية ماريان فإنها تعطي صورة مثالية عن نشاط عملاء البوليس السري السوفياتي في ألمانيا الغربية كما أن قيادة الاستخبارات في موسكو كانت تعتبر ماريان من أبرع جواسيسها في ألمانيا الغربية.

وصلت ماريان إلى فرانكفورت في شهر أيار من عام ١٩٥٨. وكان اسمها الحقيقي ناديزدا ميكايلوفنا مكاريفا من مواليد كاركوف عام ١٩٢٥ وهي ابنة منظم وحدة تجارية روسية. وعندما بلغت الحادية والعشرين وبينما كانت تدرس الاقتصاد في جامعة موسكو أوصى بها منظم فرعها في الحزب على أساس أنها «صالحة لتدريب خاص». وككل عملاء الاستخبارات السوفيات تابعت التدريب الروتيني العادي ونقلت في النهاية إلى معهد براكهوفكا حيث ألحقت بالوحدة الخاصة بألمانية تحت اسم ماريان كوخ - جـ ٤٧٢٩٠٣ - ١٨. - ي.

وبعد عشر سنوات في براكهوفكا أنهت امتحاناتها النهائية بتفوق كبير وأرسلت إلى برلين الشرقية. وفي نيسان ١٩٥٨ تسللت إلى القطاع الغربي من العاصمة الألمانية السابقة. وكانت أوراق هويتها تظهر بأنها قدمت من القطاع الأميركي من ألمانيا الغربية إلى برلين الغربية تحت ستار قيامها بزيارة.

وانتقت قيادة الاستخبارات في موسكو برلين الغربية لكي تكون مسرحاً لأول شبكة تجسس لها في القطاع الأميركي من المدينة وأثناء تمضيتها عدة أسابيع لتتأقلم على الحياة في برلين الغربية حفظت عن ظهر قلب جميع قطاعات الحلفاء في المدينة على الرغم من تعليمات موسكو إليها بعدم القيام بأي نشاط في تلك الفترة. وبعثت تقول بأنها «تركت البيت».

وسرعان ما انتقت الأماكن الكثيرة والنوادي الليلية الصالحة للقاءاتها بأعوانها.

الشقراء تختار عشاقها

كانت شقراء جذابة جرب كثير من الرجال مواعدتها ولكنها احتفظت بأنوثتها للرجال البارزين الذين كانوا يهمونها.

فسافرت إلى فرانكفورت واتخذت لنفسها شقة حديثة. وأسست مكتب خدمات سكرتاريا حيث كانت علاوة على كونه تغطية فإنه ساعد كصندوق بريد وكمكان اجتماع. كما أنها أقامت قسماً للتصوير فبررت بذلك احتفاظها بمعدات التصوير.

وهكذا نزلت ماريان إلى ساحة العمل متخفية وراء ذلك الستار المحترم. فدرست جميع المعلومات الخاصة بالأشخاص الألمان المدرجين على قائمتها بصفتهم صالحين للتجنيد وانتقت بالدرجة الأولى أولئك الذين كانوا على صلة بالحركة النازية من أصحاب السوابق والذين كانوا يتمتعون بجميع الخصائص التي تخولهم أن يصبحوا مخبرين وعملاء ارتباط.

وبعد عدة أسابيع من وصولها إلى فرانكفورت جندت أول مخبر لها. وكان صاحب مركز رفيع في محطة تجارب للأسلحة السرية. فاتصلت به تليفونياً وأبلغته بأنها ترغب في مقابلته في مكتبها. وعند حضوره أبلغته بأنها ترغب في الحصول على صور فوتوغرافية ومستندات لكل ملف سري يرد إلى قسمه، كما لمحت إلى أنها تدفع ثمناً محترماً لذلك. ورفض الرجل وأنذرها بأنه سوف يبلغ البوليس. ولكن ماريان أمسكت بالتلفون وهددته بأنها هي أيضاً لديها ما تقوله للبوليس الألماني الغربي وللسلطات الأميركية عن انتحاله هوية رجل ميت وأنه يشغل عمله الحالي في فرانكفورت منتحلاً تلك الهوية المزورة، فهو نازي سابق ومطلوب لجرائم بحق الإنسانية، كما أكدت له بأنها تمتلك الأدلة الثبوتية على صحة ما تقول ثم أضافت بكل برود «تفضل واتصل بالبوليس». حاول ضحيتها المقاومة، ولكنها أسكتته نهائياً بعرضها عليه الأدلة الثبوتية على سوابقه النازية خلال الحرب، فاستسلم.

وهكذا درست عملية الدفع مرة أخرى وفي اليوم التالي تسلمت ماريان منه الدفعة الأولى من الصور الفوتوغرافية والوثائق. وأثبت الزمن أن ذلك المجند الأول كان من أكثر مجندي ماريان نفعاً.

الساعة السويسرية

وبعد ستة أشهر من وصولها إلى فرانكفورت كانت ماريان تدير شبكة واسعة من المجندين وعملاء الارتباط. وكان المرسل ـ اللاقط لموجات الراديو دائب العمل كما أن

محل عملها كان ينتج الصور الفوتوغرافية صناعياً ويوزعها بالإضافة إلى الوثائق المسجلة على الأفلام الميكرو ورسائل الميكرودوت. كما ركزت على حصولها على معلومات عن الإنشاءات الألمانية. ونشرت شبكتها على القطاع الأميركي في ألمانيا الغربية حتى أن قيادة الاستخبارات في موسكو أكدت فيها بعد أن المعلومات التي تختص بالموارد الأميركية كانت ذات فائدة كبيرة بصفتها مكملة للمعلومات عن الموارد الألمانية.

وكان نشاط ماريان لا ينفد، فقد وسعت نشاطاتها التجسسية إلى برلين الغربية حيث عادت فأسست مكتباً آخر لخدمات السكرتاريا. فالتجسس في برلين الغربية كان أكثر جدوى منه في فرانكفورت ذلك أنه كان من السهل جداً تسلل العديد من العملاء المحنكين من القطاع الشيوعي للمدينة.

ولقد دام نجاح شبكة ماريان التجسسية سنوات عديدة حيث كانت تعمل بدقة الساعة، وبسلاسة دفعت موسكو أن تقرر في النهاية بأن من الممكن أن تدار بواسطة عميل رئيسي أقل أهمية من ماريان. فأرسل في طلبها إلى الاتحاد السوفياتي حيث أوكلت إليها مهمات جديدة.

والتقارير الأخيرة لشعبة الاستخبارات في موسكو لا تشير إلى ماريان مما يدعو إلى التكهن بأنها أعطيت هوية جديدة وهي ما زالت تعمل في مكان ما في ألمانيا.

ليلي بيتال
الأسطورة والقوة والفاعلية
في شبكة التجسس الصينية

قصة ليلي بيتال تظهر بجلاء مدى قوة وفاعلية أفتى شبكة تجسس في العالم.

بعد ظهر يوم حار من شهر حزيران، تلقى بوليس نيويورك مكالمة عن جريمة. وأسرع إلى مطعم صيني متواضع يقع على الرصيف، ويدعى تشوب - سوي. فجابهه منظر مرعب. فبين قطع الأثاث المبعثر، والمطلخ بالدم تمدد جسد امرأة صينية جميلة ويقربها جثة رجل كهل، وقد طعنا حتى الموت. وبعد تحقيق دقيق تبين أن الصينية القتيل كانت لي يان سونغ مديرة مطعم تشوب - سوي الجميلة، والتي أكسبها جمالها الزبائن الكثر، كما حازت ثقة زبائنها بفضل أطباقها الممتازة. وكانت تعرف باسم ليلي - بيتال وهو اسم كان يجسد بدقة مدى جمالها الفتان.

أما الرجل القتيل فكان يدعى وانغ ان - بينغ، وهو عم لها كان يساعدها في إدارة أعمالها. وكان محبوباً للطفه ودماثة خلقه من قبل الكثيرين من زبائنه حيث كان يبيعهم مأكولات صينية معلبة.

وكان تأثر الجيران بالغاً لتلك الفاجعة.

وكان من الواضح أن صاحبي المطعم فاجآ لصوصاً يسرقون المطعم. وفي سياق التحقيق قام قسم الجرائم باستشارة فرقة المخدرات، حسبما يقتضيه عرف التجريات. فقد كان من المعتقد أن ملفاتهم قد تدل على شخصيات مشبوهة كانت تتعامل مع التشوب - سوي بطريقة ما. وكانت فرقة مكافحة المخدرات تقوم بين الحين والحين بغارات على مطعم التشوب - سوي لملاحقة المخدرات الممنوعة. ولكن ذلك لم يكن غير اعتيادي. كانت جميع الأماكن على الرصيف موضوعة تحت مراقبة مكافحة المخدرات. وأثبتت جميع تلك الغارات أن المطعم كان يحترم القانون بدقة. وصنف ضباط الأمن ذوو الخبرة، التشوب - سوي بأنه «نظيف تماماً وفوق كل شبهة».

ولم يكن لليلي بيتال أو عمها أي أعداء واعتمد البوليس خطة ملاحظة الأغراض المسروقة لكي يكتشف اللصوص. ومضت أسابيع وأصبح التحقيق روتينياً. ومرت أشهر، وصارت جريمة التشوب ـ سوي مجرد واحدة من الجرائم التي لم تحل.

وكاد ضباط التحقيق يتوصلون إلى كشف جريمة أكبر بكثير من مجرد جريمة قتل لو لم تعوزهم معرفة حقيقتين: الأولى أن المرأة القتيل لم تكن ليلي بيتال الحقيقية وأن الرجل القتيل لم يكن عمها. ولاكتشاف ذلك كان على الضباط أن يعودوا بالزمن إلى الوراء ستة عشر عاماً.

فمن المعروف الآن أن التشوب ـ سوي كان مقر قيادة شبكة التجسس الصينية العاملة في الولايات المتحدة لأكثر من خمسة عشر عاماً.

جائزة للابنة الجميلة:

وذات ليلة باردة من ليالي تشرين الأول لأربعين سنة خلت وداخل الحي السكني الصيني في شيكاغو، كانت زوجة هويانغ ـ سونغ المراهقة تعاني من آلام الوضع. وعندما هدأت آلامها، انحنت بابتسامة سعيدة نحو وجه مولودها الأنثى التي سميت فيما بعد لي يان ـ سونغ. ولكن الأم الشابة لم تعش طويلاً لتكحل عينيها بمرأى ليلي بيتال. فبعد بضعة أيام توفيت بتأثير حمى الوضع.

ولم تكن حياة الترمل سهلة بالنسبة إلى هو يان ـ سونغ، فلم يكن باستطاعته الحصول على إجازة من عمله للاعتناء بطفلته فقبل شاكراً عرض جيران كرماء للاعتناء بصغيرته لي. فقد أحب زوجته بشغف وقصر نفسه على تأمين بيت جيد لابنته ومستقبل أمن مطمئن. وكان يعمل الساعات الطوال في غسل الثياب.

ومضى الزمن، وكانت لي تكبر وجمالها يتفتح وكان يرى هو يان ـ سونغ فيها ظل زوجته الحبيبة ومكنه عمله وحظه من تحسين مستوى معيشته، فأضحى الحي الشعبي البائس مجرد ذكرى غير مستحبة.

وأرهق نفسه في العمل فجمع المال بجد واشترى متجراً وبنى مصنعاً زاهراً. وكبرت ثروته. فأصبحت حياته مع ليلي على ما يرام. وكان سعيداً بولائه لزوجته

المحبوبة التي طال زمن وفاتها. وبقي لديه أمل وحيد يراوده : أن يعود وابنته إلى أرض أجداده وأن يفتش عمن تبقى من عائلته.

وعندما بلغت لي الحادية والعشرين كانت هديته لها خبر سفرهما القريب إلى الشرق الأقصى. وكان مخططه أن يقضي ثلاثة أشهر في تلك السفرة وترك أعماله في عهدة صديق له وفي.

وسافرا سعيدين إلى هونغ كونغ مخاطرين بإمكان عدم قدرتهما على العودة إلى مسقط رأسهما.

القتل الغامض :

وبعدما قضيا أسبوعاً في هونغ كونغ أبحرا إلى الأرض الصينية، بعدما أعلما قريباً لهما بالسفر.

لكنهما ماتا قبل الوصول. ولم يعرف كيف قضيا. والشيء الوحيد الذي عرف هو أن جثتيهما التقطتا من قبل قارب صيني شيوعي مسلح، بعد غرق القارب الذي كان يقلهما.

ولم تبلغ الصين عن الحادث إلى السلطات في هونغ كونغ. مع أن جوازي السفر اللذين وجدا مع الجثتين كانا يدلان على أنهما مواطنان أمركيان.

وقررت قيادة الاستخبارات في بكين الاحتفاظ بالجوازين نظراً لإمكان الاستفادة منهما.

وهكذا أعطيت هوية ليلي بيتال مع أوراق شخصية أخرى إلى رئيسة تجسس رائعة التدريب ومعدة للعمل في الولايات المتحدة وتدعى مين شيو ـ سين. ولكن ما أقلق مدير مراقبة التجسس في أميركا، الفروق الفيزيولوجية بين الامرأتين. فقد كانت مين تكبر ليلي بخمس سنوات كما أنها أطول منها بسنتيمترين ولكن ما طمأنه هو أن ليلي كانت لا تزال فتية وكان من المعقول أن يزيد طولها قليلاً كما أن مين كانت تبدو أصغر من عمرها الحقيقي. وهكذا فباستطاعتها أن تمر.

ودخلت ليلي بيتال إلى الولايات المتحدة دون أية مشكلة ولكنها لم تجرؤ على الرجوع إلى شيكاغو، إذ أن مقر قيادة الاستخبارات في بكين لم يستطع الحصول على

ية معلومات عن بيئة الميت يان ـ سونغ في شيكاغو. فإذا ما عادت ليلي بيتال إلى متجر والدها ربما تمكن أحد الأصدقاء المقربين أو أحد الأقارب من اكتشاف تقمصها شخصية ليلي بيتال. فذهبت عوضاً عن ذلك إلى نيويورك حيث استأجرت شقة متواضعة واستشارت بناء على أوامر بكين محامياً لاسترجاع ثروة والدها. وأشار المحامي عليها القيام بسفرة إلى شيكاغو لتعمل على نقل ملكية التركة إليها ولكن ليلي بيتال عارضت الاقتراح. فادعت أنها لا تستطيع تحمل الرجوع إلى بيتها الذي كانت تملؤه السعادة والذي يثير فيها ذكريات جارحة عن تلك المأساة القاسية.

وبينما كان المحامي مهتماً بنقل ملكية كل مجموع تركة هو يان ـ سونغ من مدخرات وأملاك إلى ابنته، رتبت بكين لليلي بيتال عملية التأقلم المعتادة. وأثناء تلك الفترة لم يكن مسموحاً لها القيام بأية نشاطات تجسسية، وبدلاً من ذلك فقد أخذت تعود نفسها على الحياة في نيويورك. وظلت كذلك إلى أن أنهى المحامي بيع أعمال والدها إلى وكيله تشو هسين ـ فو. وعندما تسلمت ليلي بيتال تركتها أمنت لنفسها أموالاً شرعية تستطيع استثمارها في مطعم صيني هو تشوب ـ سوي.

الأخبار مع الطعام:

وكانت بكين قد زودت ليلي بيتال بلائحة الأشخاص المرغوب في تجنيدهم عقائديين، أو جشعين للمال، أو ضحايا ابتزاز. وركبت في التشوب ـ سوي سراً جميع المعدات التقنية اللازمة لإقامة شبكة تجسس فعالة كما وضعت مبالغ طائلة من النقد النادر تحت تصرف ليلي بيتال. كما عين كمساعد لها رئيس التجسس المجرب وانغ ان ـ تونغ متمتعاً بستار لا زيف فيه، فقد كان «عمها».

وسرعان ما جندت ليلي بيتال عدداً كبيراً من العملاء والمخبرين ولم يكن بينهم آسيوي واحد. فقد كانت ليلي ـ بيتال من الدهاء بحيث لا تزرع شكوك السلطات بعلاقتها مع الأسيويين.

وكان قسم الغذاء في مؤخر المطعم صندوق بريد مثالياً. فكان العملاء والمخبرون يدسون نسخ الكربون القيمة والتقارير السرية داخل الفناجين والطاسات الفارغة عندما كانت ليلي بيتال تقوم بأخذ الصحون الفارغة. وكان الكونتوار الموجود في الممر حيث كان وانغ يبيع المأكولات الصينية الجاهزة ضمن علب مختومة، يؤمن

الدفع للعملاء فبعد تسليمهم الأفلام الميكرو لليلي بيتال كانوا يتوقفون عند الكونتوار لشراء المأكولات الصينية وأخذها إلى بيوتهم. وداخل العلب المختومة كانت تدس مكافآت الجواسيس أقلها ألف دولار أوراق بنكنوت من الفئات الصغيرة. واكتشف العميل السري السوفياتي الداهية في نيويورك سر مطعم التشوب ـ سوي. وبحكم واجبه بلغ رؤساءه في موسكو.

وأمر بتجنيد ليلي ـ بيتال لصالح الاستخبارات السوفياتية وكلف بالمهمة الكولونيل رودولف ايفانوفيتش آبل ـ أهم عميل شبكة تجسس روسية في الولايات المتحدة، وهو واحد من أقدر الجواسيس في تاريخ التجسس العالمي.

تعاون روسي صيني:

ولم يجد الكولونيل آبل أية صعوبة في إيجاد التعابير التي استعملها مع ليلي ـ بيتال التي لم تجد أي حرج في خداع قومها أنفسهم. وهكذا سمح للكولونيل آبل الإطلاع على كافة الميكرو أفلام والنسخ الكربونية والمستندات الحيوية الأخرى قبل أن تبعث ليلي ـ بيتال بها عبر طرقها السرية الخاصة إلى مقر قيادة الاستخبارات في بكين الخاص بـ «الشعبة الأميركية». كما حافظ الكولونيل آبل على حصته من الاتفاق، وذلك بمد ليلي ـ بيتال بالأسرار الحيوية التي كان يستلمها من عملائه.

وكانت بكين شديدة الرضى من المجالات الواسعة لشبكة ليلي ـ بيتال فكانت غالباً ما تمتدحها لعملها الممتاز غير شاكة على الإطلاق في أنها كانت عميلة روسية ـ صينية مزدوجة. كما أن الكولونيل آبل كان سعيداً بالتقدير الروسي لنشاطه التجسسي.

وكان لشراكة ليلي بيتال السرية مميزات أخرى. فقد ساعد الكولونيل إبل ليلي ـ بيتال في اتباع وسيلة آمنة في اتصالاتها مع عملائها فتبعد شكوك رجال أف بي أي عنها فيما لو اعتقلت أو أوقفت أحد جواسيسها. وقد شدد على حماقة احتفاظها بالمعدات التجسسية التقنية، التي تدينها داخل المطعم فنقلتها ليلي ـ بيتال من التشوب ـ سوي إلى مخبأ أمين. ولقد حمتها نصيحة الكولونيل آبل فيما بعد عندما وشى به الكولونيل رينوهايهمن وقبض عليه من قبل أف بي أي. فلم يكتشف أو يشك بأي خيط يصل بين مطعم التشوب ـ سوي وبين شبكة الكولونيل إبل التجسسية على الإطلاق.

وهكذا كان باستطاعة ليلي ـ بيتال الاستمرار في نشاطاتها التجسسية ذات الفعالية العالية لمصلحة قيادة الاستخبارات في بكين لمدة عشر سنوات أخرى.

ولم تخفف ليلي ـ بيتال من تدابير الأمان بل كانت في الواقع تزيدها باستمرار. فلم تتملك دوائر أمن الولايات المتحدة أو الـ أف بي أي أية شكوك في أي وقت من الأوقات بأن ليلي ـ بيتال كانت رئيسة تجسس. وقد كان من الممكن لتجسسها الناجح أن يستمر لمدة ستة عشر عاماً أخرى لو لم تتعرض لنزوة رجل عجوز.

الماضي الذي لم يقتل:

فذات يوم مشمس من أيار لسنتين خلتا، دخل رجل صيني عجوز مطعم الشوب ـ سوي وقبل جلوسه، أخذ يجيل أنظاره حوله كمن يأمل في أن يرى شخصاً يعرفه. فأسرعت ليلي ـ بيتال نحوه لتقوم بخدمته.

وبادرها العجوز بقوله: «أنا أفتش عن لي يان ـ سونغ التي تمتلك هذا المطعم».

وحذرتها حاستها السادسة، فسألته بحذر: «ألديك أعمال معها»؟.

«أنا أدعى تشر هسين ـ فو. ولقد اشتريت أعمال والدها في شيكاغو. إنها تعرفني جيداً. فنحن أصدقاء قدامى».

كانت لحظة حرجة بالنسبة إلى ليلي ـ بيتال، فهذا الرجل الصيني العجوز عرف هو يان ـ سونغ وابنته معرفة جيدة، فلم تجرؤ على مخادعته. فاتخذت قراراً سريعاً آخر وقالت بنعومة: «أنا آسفة جداً. لو سبقت عدة أيام لكنت محظوظاً، ولكن لي يان ـ سونغ سافرت في فرصة طويلة».

وسألها تشو هسين ـ فو قلقاً: «متى سترجع»؟.

«بعد شهر تقريباً ـ وربما ثلاثة حتى، ستعلمنا بذلك».

وبدت على وجه العجوز خيبة أمل «لا أستطيع البقاء في نيويورك كل هذا الوقت».

وتنبهت ليلي ـ بيتال إلى أن زبوناً يجلس إلى طاولة قريبة كان يستمع إلى حديثهما. فالجواسيس هم دائماً حذرون ضد أي رجل من أف بي أي. كما أن ذلك

الزبون كان قد بدأ يثير شكوكها، وبسرعة ألحت على تشو هسين ـ فو في الدخول إلى مكتبها الخاص في مؤخر حجرة الطعام.

فقالت للصيني العجوز: «يجب أن تكون ضيفي» سوف أطلب تحضير صحن خصوصي لنا.

ولم يكن تشو معتاداً على أن تستضيفه سيدة، فقبع محرجاً.

وأكد له ليلي ـ بيتال «أنها أقرب صديقة لليلي».

أعصاب الجواسيس:

وكان باستطاعة ليلي ـ بيتال محو أية شكوك راودت العجوز. وعندما ذهب كانت قد استعادت كامل ثقتها بنفسها. ولكن ليس لأجل طويل. فقد أخبرها وانغ بان زبوناً دائم التردد على المحل ترك لها رسالة بأنه سوف يتصل بها ثانية في تلك الأمسية ذلك لمناقشة أمر خاص. وكان الرجل نفسه الذي كان يستمع إلى محادثتها مع تشو هسين ـ فو.

إن حياة الجواسيس ليست بالهينة. فكل حركة يقومون بها محفوفة بالخطر، ولمدة ستة عشر عاماً عاشت ليلي ـ بيتال في حالة مستديمة من توتر الأعصاب. وكان خوفها من أن تعتقل يحول حتى الأعمال البريئة إلى أخطار تهدد حياتها وحريتها. وقد اعتقدت أنه بعد تلك المدة الطويلة عثر عليها رجال أف بي أي وارتعبت من أنها سوف تساق إلى مقر البوليس وسوف يحقق معها بدقة.

وذعرت ليلي ـ بيتال وقررت أن تلجأ إلى الاختباء وبعد ذلك تجد طريقها إلى هونغ كونغ حيث تستطيع بعد ذلك الرجوع إلى مقر قيادة الاستخبارات في بكين. وكانت تحتفظ بجواز سفر معد خصيصاً للاستعمال في الحالات الطارئة وكل المال اللازم الذي سوف تحتاج إليه. ولكنها ارتكبت غلطة مميتة. فقد تنكرت للمبادىء الواجب اتباعها والموضوعة من قبل قيادة الاستخبارات في بكين، وتجاهلت أمر الحصول على إذن رسمي بترك مركزها، وأخفقت حتى في تحذير وانغ من الخطر الداهم. وفرت بكل بساطة.

وأمرت شعبة العمليات بمطاردة شاملة لرئيسة التجسس الفارة.

أما حقيقة مصير مين شيو ـ سين فلا يمكن التأكد منها ذلك لأن التفاصيل الدقيقة عن نهايتها محجوزة داخل ملفات شعبة العمليات في بكين. ولكن من المعروف أنه بعد ثلاثة أسابيع من اختفاء ليلي ـ بيتال عثر عليها مع وانغ وقد طعنا حتى الموت داخل مطعم الشوب ـ سوي.

وبين الاستنتاجات أن عملاء شعبة العمليات التابعة لبكين عثروا على مخبأ ليلي ـ بيتال، فنقلوها ثانية إلى التشوب ـ سوي وقتلوها وعمدوا إلى جعل الجريمة تبدو وكأنها اقترفت على أيدي لصوص. كما أن وانغ ان ـ بينغ كان متآمراً مع ليلي ـ بيتال فشاركها مصيرها.

***

أورسل لورنتس

بطلة أكبر فضائح التجسس في الحلف الأطلسي

شهدت الثمانينات موجة نزوح الكثير من الشرقيين باتجاه الغرب. فلقد اتسمت هذه المرحلة بانتقال العديد من الجواسيس السوفيات أو من اللاعبين الرياضيين والفنّانين إلى الغرب طلباً للجوء السياسي.

أما الردة الكُبرى في هذا النزاع فاتسم بلجوء سكرتيرة القائد العام للحلف الأطلسي إلى ألمانيا الشرقية حاملة معها حقيبة مملوءة بالأسرار القيّمة التي اطّلعت عليها ونسخت عنها نسخاً إضافية بحُكم عملها كسكرتيرة وأمينة سر مقر قيادة حلف شمالي الأطلسي والقائد العام للحلف من هذه الأسرار الغاية في الأهمية: التقارير الخاصة بالعمليات العسكرية المُرتقبة للحلف في حال وقوع حرب عالمية ثالثة أو هجوم مُفاجىء من حلف وارسو. ونتيجة لكشف هذه التقارير والخطط من قِبَل أورسل أعد حلف وارسو ترتيبات مُضادة حتى علم وقتها وِفْق حجم المعلومات التي نقلت أن جميع المواقع العسكرية للحلف الأطلسي وخططه العملاتية في حال وقوع حرب كانت تحت رحمة القِوى العسكرية لقوات حلف وارسو.

اعتبرت عملية هروب أورسل الضربة الساحقة للحلف الأطلسي وأضحت أكبر فضائح التجسُّس في الحلف الأطلسي ولم يستبعد خبراء المخابرات وجود قصة حب هادىء بين أورسل وأحد ضباط المخابرات الشرقية الذي قام بتجنيدها فأنهت علاقتهما بعد هروبها بالزواج.



فيكتورين نينو:
اليهودية المصرية

١٩٧٢ في منتصف شهر تشرين الثاني (نوفمبر) صرحت غولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل لأحد المراسلين، بأنها دعيت إلى حضور حفل زواج يهودية من أصل مصري، كانت قد قضت ١٤ عاماً في سجون القاهرة بتهمة التجسس لحساب إسرائيل. سرى النبأ كالبرق أثارت ملاحظة مائير ضجة كبيرة، خاصة عندما ظهر أن العروس ليست سوى فيكتورين نينيو، إحدى أهم أعضاء شبكة تجسس خطيرة، أدارها ونظمها جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية في مصر. وعندما رفعت الرقابة الصحافية عن الموضوع بشكل مؤقت، علم الإسرائيليون للمرة الأولى أن أربعة من أعضاء هذه الشبكة التجسسية الذين زاولوا نشاطاتهم في مصر، تم استبدالهم في العام ١٩٦٨ باسرى مصريين. وإن هؤلاء الأشخاص الأربعة يعيشون الآن في إسرائيل. إن قصة شبكة التجسس الإسرائيلية في مصر قديمة جداً، وتعود إلى ما قبل عام ١٩٤٨، ولكن اكتشاف السلطات المصرية أمرها في العام ١٩٥٤، وبالتالي نسف العملية التجسسية الإسرائيلية في مصر، أثار ضجة سياسية عظمى في إسرائيل كانت تزلزل الدولة اليهودية. اشتهرت القصة باسم «قضية لافون» أو «فضيحة لافون» الذي كان وزيراً للدفاع في ذلك الحين وظلت المضاعفات والآثار المترتبة عن اكتشاف الشبكة تتفاعل في إسرائيل بشكل خطير.

ولكن لم يكشف النقاب البتة عن هذه المضاعفات وما أدت إليه.

حتى أن الرقابة الصحافية لم ترفع عن قضية لافون سوى عشرة أيام فقط، عادت من بعدها الرقابة الجديدة مرة أخرى، فتم زواج فيكتورين نينيو دون التقاط الصور التقليدية، ومنعت الصحافة عن ذكر أسماء الزعماء السياسيين والعسكريين

الذين حضروا حفل الزفاف، كما منعت الصحافة من ذكر قصة حب فيكتورين التي انتهت بالزواج.

فقبل سبعة عشر عاماً، وفي تموز (يوليو) ١٩٥٤، أمر رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، الكولونيل بنيامين غيبلي أحد أعوانه الميجور أفري العاد واسمه المستعار بول فرانك بتكوين شبكة تجسس يكون نواتها الصهاينة المصريون، وهدفها عرقلة ومنع حدوث أي تقارب بين الولايات المتحدة ومصر.

وهكذا، ولمدة ثلاثة أسابيع، هزت انفجارات القنابل مدن القاهرة والاسكندرية.

ولكن، بعدما انفجرت إحدى القنابل في يد أحد الإرهابيين، تمكنت الاستخبارات المصرية، من رصد الشبكة التجسسية، واعتقال ١١ شخصاً من أعضائها، أحد هؤلاء انتحر والآخر مات في السجن.

أثنان آخران أعدما بعد محاكمتهما، واثنان برئا من التهمة، أما الستة الباقون، ومن بينهم فيكتورين، فقد حكم عليهم بالسجن. وحكم على فكتورين بالسجن أيضاً لمدة ١٤ عاماً.

بعض هؤلاء أكمل مدة محكومته، والبعض الآخر لم يكملها إذ جرت مبادلته مع أسرى الحرب المصريين، أما الشخص الإسرائيلي الذي نظم الشبكة، وخطط عملياتها، فقد تمكن من الهرب.

***

حايا زايد نبرغ:
الحب أقوى

وفي يافا تمكن داوود ياسميني، الذي كان ضابط مخابرات «منظمة النجادة العربية» في السنوات ٤٧ ـ ١٩٤٨، من تجنيد اليهودية حايا زايد نبرغ التي كانت تعمل ممرضة في المستشفى الحكومي في يافا، وتقيم في «حولون» إلى الجنوب من تل أبيب.

ويقول يشعيا هو لقيط مؤلف كتاب «قصة التجسس العربي في إسرائيل» في

كتابه، أن حايا كانت مغرمة إلى أبعد الحدود ومنذ سنة ١٩٤٢ بداوود ياسميني، الشاب الجميل المظهر والأنيق.

وعندما أقام ياسميني في فندق كونتيننتال في يافا، حيث قيادة النجادة، ازدادت علاقته بحايا، ولم تتردد هذه في قبول طلبه إليها التجسس على الهاغانا.

وعندما تحولت الحدود بين تل أبيب ويافا إلى خط جبهة لا يمكن عبوره بسهولة، أصبحت معلومات حايا الدقيقة عن جميع مواقع الهاغانا في تل أبيب قطعاً نادراً، بالنسبة إلى القوات العربية.

وظلت حايا تعبر الحدود بشكل متواصل، مستفيدة من كونها يهودية وممرضة دون أي اعتراض، إلى أن كشف أمرها، ونفذت فيها عصابة «ليحي» حكم الإعدام رمياً بالرصاص في اليوم الأول من شهر شباط (فبراير) ١٩٤٨.

لكن حقيقة أسلوب كشفها، ما زالت ضائعة حتى الآن بين روايتين:

تقول الرواية الأولى أن شابة عربية موظفة في دائرة بريد يافا، كانت تحب داوود ياسميني وتغار عليه، وفي إحدى مكالماته التليفونية تمكنت تلك الموظفة من معرفة الاسم الأول للممرضة اليهودية حايا، فأبلغت صحافياً أجنبياً بما لديها من معلومات ليوصلها إلى الهاغانا.

ولم يخب ظن موظفة البريد، حيث أخبر الصحافي الهاغانا بقصة الجاسوسة اليهودية حايا، لكن هؤلاء تأخروا في التوصل إلى هويتها الكاملة وعندما عرفوها، وحاولوا القبض عليها، عثروا عليها جثة هامدة في مؤسسة دفن الموتى اليهودية. وقرأوا خبر إعدامها في بيان الصقة أعضاء عصابة ليحي على جدران تل أبيب.

أما الرواية الثانية فتقول أن جهاز الاستماع التابع لعصابة ليحي، تمكن يوم ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ من التقاط مكالمة بين حايا وياسمين، الذي طلب من الجاسوسة إدخال سيارة متفجرات إلى قلب تل أبيب، فوعدت هذه بالتنفيذ خلال يومين.

وهنا أيضاً لم يعرف إلا الاسم الأول للجاسوسة، فأجرت عصابة ليحي سباقاً مع الزمن، وتوصلت إلى هوية حايا الكاملة وعنوانها، فذهبوا إلى بيتها، وطلبوا إليها مرافقتهم بعد أن قدموا أنفسهم كأعضاء في الهاغانا وليس في ليحي، وذلك في مطلع شهر شباط (فبراير).

«. . . وأحضرت حايا إلى بيت منفرد قرب هـدار ـ رماتـايم (شمال تـل أبيب) حيث حقق معها، فاعترفت، وأعدمت بطلق ناري».

وإذا كانت حايا، كشفت فقتلت، فإن عشرات غيرها من اليهود الذين تجسسـوا لصـالح العـرب قبلها وبعـدها لم يكشفـوا ولم يقتلوا، ولم تنشر قصص تجسسهم، ولن تنشر في المستقبل أيضاً

جميع الفلسطينيين، والأجانب الذين مروا ويمرون في مدينـة القدس، يتـذكرون الحرب العالمية الأولى، والجيش البريطاني، وقائده في تلك الفترة اللورد اللنبي، عندما يمرون أمام «مقهى اللنبي».

لكن قليلين من بين هؤلاء، يعرفون أنه بين كراسي ذلك المقهى وطاولاته ظلَّت تخـطو بـدلال خـلال أشهـر متـواصلة من سنتي ١٩٤٧ و١٩٤٨، واحـدة من أوائـل الجاسوسات التي قدمت للقوات العربية خدمات لا تنسى.

أمور عديـدة جعلت من مقهى اللنبي في القدس، أحـد أماكن اللقـاء والراحـة المفضلة بالنسبة إلى عدد كبير من ضباط وأفراد العصـابات الصهيـونية، مثـل الهاغـانا وإيتسل وليحي، ومن بين تلك الأمـور موقـع المقهى في وسط المدينـة الجديـدة خارج السور، واستمرار العمل فيه حتى ساعة متقدمة من الليل.

***

ڤيرا دوكس
حديث المقاهي

ان أكثر ما جعل ضباط وأفـراد العصابـات الصهيونيـة يفضلون مقهى اللنبي في القدس بفلسطين عـلى سواه، كـان دون شك عمـل تلك المضيفة الجميلة فيـه، وهي السيدة «اليهوديـة» فيرا دوكس التي كـانت تعاملهم بـود ظاهـر، وتفوقهم اتقـاناً للغـة العبرية، إضافة إلى الإنكليزية والألمانية.

وكان جميع رواد المقهى «يعرفون» أن السيـدة الجميلة دوكس، مطلقـة يهوديـة، هاجرت من تشيكوسلوفاكيا مع طفلها، ضمن موجات المهاجرين اليهود، واستـوطنت القـدس حيث بدأت عملهـا كمضيفـة في المقهى. . ممـا رشحهـا لأن تكـون مـوضـع «تنافس» بين رواد المقهى، لا موضع شك.

استفادت ڤيرا دوكس من مؤهلاتها هذه أشهراً عدة، كانت تسجل خلالها على أوراق المقهى الخاصة طلبات الزبائن، وتسجل في ذاكرتها ما يصل إلى سمعها من أحاديث الزبائن عن مواقع ومعسكرات العصابات الصهيونية وتحركاتها، وتنقل في نهاية كل يوم عمل، ما حفظته على أوراق تتحول إلى تقارير تجد طريقها بسهولة إلى قيادة القوات العربية في المدينة.

وبطريق الصدفة فقط، ألقى أفراد عصابة «ليحي» القبض على فيرا دوكس، حيث اعترفت هذه بأنها مسيحية لا يهودية، وبأنها كانت ترفع يومياً إلى القوات العربية، تقريراً مفصلاً عن مواقع وحواجز العصابات الصهيونية في الطالبية ورحافيا.

***



كريستين كيلر:
عاهرة تحت الطلب
انهت حكم المحافظين ببريطانيا

فضيحة برفيومو وكريستين كيلر قصة في ذاتها سردت عشرات المرات وكانت أحاديث الناس بمن فيها من نساء وجواسيس ومسؤولين، لكنها تستحق السرد بالمختصر لما فيها من تشابكات غريبة.

وزير الدولة في وزارة الحربية جون برفيومو المتزوج من الممثلة فاليري هوبسون اجتمع بالفتاة كريستين كيلر، التي تشتغل عاهرة تحت الطلب الهاتفي، ذات يوم من أيام الصيف وهي تستحم عارية في مسبح راق تابع لقصر كلايفدن الذي يملكه اللورد أستور الذي كان من تقاليده «حسن الضيافة».

برفيومو استحلى المنظر لأن كريستين «كان لها جمال جسدي أخاذ». بالنتيجة أتم برفيومو واجباته تجاه رجولته مع البنت بحسب التسهيلات التي قدمها صاحب القصر.

ذلك اليوم، وقد كان ٨ تموز ١٩٦١، كان بين الضيوف مساعد الملحق البحري السوفياتي وعميل الاستخبارات العسكرية السوفياتية الكابتن يوحين أيفانوف. هذا بدوره استحلى البنت وشرب معها زجاجتين ويسكي وأنهى معاملته معها، كما قال التقرير الرسمي في ما بعد «ربما بنوع من أنواع العلاقة الجنسية».

كريستين نفسها، الأقل تحفظاً من التقرير الرسمي البريطاني، قالت في ما بعد أن إيفانوف كان يعجبها كثيراً «لأنه مثل الفحل».

كريستين كيلر والكابتن إيفانونف كانا في القصر بدعوة من شخص في الخمسين من عمره يدعى ستيفان وارد، وهو فنان وله بعض الأطباع الفريدة كاستعمال المرايا التي تمكنه مراقبة الأحداث من خلفها، وكمعاشرة الفتيات المراهقات.

وارد تعرَّف إلى إيفانوف في نادي غاريك (وهو أحد مراكز لقاءات رجال الاستخبارات البريطانية) وتصادق معه. وارد كان في الوقت ذاته صديقاً لبرفيومو.

على مسرح هذه العملية كانت فتاة لعوب أخرى تُدعى ماندي رايس ديفيس وفتاتان أخريان من جزر الهند الغربية، إحداهما أطلقت الرصاص ذات يوم على كريستين فأخطأتها.

بعد انقضاء ثلاثة أيام على الحفلة الجنسية في قصر كلايفدن، كان جهاز الأمن قد علم بجميع التفاصيل من وارد نفسه: فلقد تبرع بالعمل على استخلاص المعلومات التي طلبها ايفانوف منه وهي «معرفة موعد استعداد الاميركيين لتزويد الألمان الغربيين بالأسلحة الذرية».

ورجل جهاز الأمن الذي اجتمع بوارد، تعرف إلى كريستين في سبيل تقوية علاقته بها.

أواخر شهر تموز ذهب رئيس جهاز الأمن شخصياً لمقابلة برفيومو واقترح عليه تجنب التعامل مع وارد لأن هذا الأخير على علاقة وطيدة بعميل معروف للاستخبارات السوفياتية. وفي الوقت ذاته سأل رئيس جهاز الأمن برفيومو عن مدى قدرته في تحويل ايفانوف إلى عميل مزدوج.

برفيومو تقبل التحذير لكنـه من جهة أخـرى لم يتمكن من تحويـل ايفانـوف إلى عميل مزدوج. لذلك طلب إليه بأن يوقف هذا المسعى. لكن ما أزعج برفيومو في كل هذه الاتصالات هو اعتقاده بأن جهـاز الأمن كان يحاول إبعاده عن كريستين.

والواقع، كما ثبت في ما بعد، أن جهاز الأمن لم يكن حتى ذلك الحين على علم بعمق العلاقة بين وزير الدولة والبنت، مع أن العلاقـة كانت آنـذاك تزداد تـطرفاً وفي شقة وسرير وارد بالذات.

أوائل كانون الثاني ١٩٦٣ كانت كريستين تحاول أن تنقل قصتها إلى الصحف. فلما شعر برفيومو بعبء ذلك اتصل برئيس جهاز الأمن محـاولاً حثه عـلى مساعـدته في منع ذلك عن طريق طلب رسمي من الدولة إلى الصحف بمنع نشر مـذكرات البنت. هذه عادة بريطانية مطبقة بين الدولة والصحف عنـدما تشعـر الحكومـة بأن نشر الخـبر يؤثر على سلامة الدولة وأمنها.

لكن المحـاولة فشلت وتمكنت كـريستين من نشر قصصهـا في إحدى الصحف. والواقع أن الصّحيفة شطبت مقاطع كثيرة من القصة في سبيل تليينها.

قبيل نشر المذكرات كان جهاز الأمن قد علم بشكل جازم بـأن كريستـين كانت عشيقـة برفيـومو وايفـانـوف في وقت واحـد، وبـأن مكتب رئيس الحكـومـة هـارولـد مـاكميـلان كـان قـد تلقى العلم والخـبر مسبقـاً من رئيس تحـريـر الصحيفـة عن نشر المذكرات.

بعد انقضاء بضعة أيام على نشر القصة، علم جهاز الأمن من سكوتلنـديارد أن كريستين اعترفت للشرطة بجميع مغامراتها وبأن وارد طلب إليها ذات مرة أن تستنطق برفيومو عن موعد إقدام الولايات المتحدة على تزويد المانيا الغربية بـالأسلحة الـذرية. ومع ذلك فضل جهاز الأمن البقاء بمنأى عن المسألة.

وازداد تعقد المسألة واضطر بـرفيومـو إلى الوقـوف في مجلس العموم في ٢٢ آذار ١٩٦٣ محاولاً تبرئة نفسه، فيـما انصرفت الشرطة إلى استجـواب وارد بتهمة القـوادة. لكن وارد عـظم المسألـة من زاوية أخـرى وكتب رسالتـين إلى رئيس الحكومـة ورئيس المعارضة قال فيهما أن برفيومو كذب في مجلس العموم.

ولما كان الوضع قد أصبح أقوى ما يمكن احتماله، فقد اعترف برفيومـو بأخـطائه

في ٤ حزيران ١٩٦٣ واستقال من منصبه الوزاري. بعد ذلك وقف رئيس الحكومة في مجلس العموم ليقول أن الحقيقة لم تصل إليه كاملة لأن «رئيس جهاز الأمن» لم يخبره بها.

آنذاك تساءلت الأندية العليمة عما إذا كانت الفضيحة هي فضيحة برفيومو وحده أم أنها يجب أن تشمل جهاز الأمن كذلك.

لقد ثبت في الواقع أن جهاز الأمن انتظر أربعة أشهر كاملة حتى يخبر رئيس الحكومة بالوقائع الصحيحة، وعلى الأقل تلك التي كان يعرفها منذ سنتين ومنذ أن تعرف رجل جهاز الأمن إلى كريستين كيلر.

والتساؤل الأبعد الذي اعتبرته الأندية العليمة محقاً أكثر، كان: ما دام برفيومو قد كذب أمام مجلس العموم، فلماذا لم يذهب رئيس جهاز الأمن إلى رئيس الحكومة ليقول له أن وزيره يكذب؟.

في هذه الأثناء كان إيفانوف قد غادر لندن نهائياً، خاصة بعدما نبهه وارد أوائل ١٩٧٣ بأن فضيحة كبيرة قد بدأت تتفاعل.

أما رئيس جهاز الأمن، فما أن هدأت العاصفة حتى استقال من منصبه على مهل.

تقيداً بالعرف والتقليد، لم يكن بإمكان الرجل المستقيل من هكذا منصب ان يكتب مذكراته وينشرها، مع أنه كمدير كان يتقاضى سنوياً ٥٨٠٠ استرلينية فقط.

الراهن أن برفيومو كان ضحية ايفانوف بسبب الأسلحة الذرية وان كريستين مثلت الدور الدي طلب منها وهو فضح أمره من باب الضغط عليه لاهلاكه سياسياً واجتماعياً ومعنوياً.

باندا ماكلويد

ابنة ماتا هاري: زهرة الشمس

إنها الابنة الوحيدة لماتا هاري الجاسوسة الأعظم في هذا الحقل والتي أنهت حياتها فرقة ضرب النار في العام ١٩١٧ لاتهامها من قبل الفرنسيين بالتجسس لمصلحة الألمان.

عاشت باندا حياتها مع والدها الأندونيسي وزوجته في جاوة بأندونيسيا وكانت بذلك تجمع بين نضارة الأوروبيين (والدتها كانت هولندية) وملامح الآسيويين التي أخذتها من موطن والدها

بقي خبر إعدام والدتها وسببه مجهولاً لديها حتى بلغت العشرين من عمرها حيث فاتحها به والدها وزوجته.

تزوجت باندا بداية من موظف كبير في الحكومة الهولندية الذي توفي لاحقاً؛ بفعل الحمى الاستوائية وسرعان ما انغمست في الحياة الاجتماعية والأدبية للمجتمع الأندونيسي بعد احتلال اليابانيون لهذه الجزيرة وطرد الهولنديين منها.

طلب مندوب «الكمبتاي» ـ المخابرات اليابانية ـ منها التعامل والتعاون معهم. حاولت باندا إظهار هذا التعاون من قبلها بالإدلاء ببعض المعلومات على سبيل المراوغة عن بعض أصدقائها وروّاد صالونها الأدبي والثقافي لكن مصير كل ما بلغت عنهم هذه المعلومات كان الاختفاء أو القتل.

من هنا ولدت عند باندا ردة فعل قوية وبرزت فكرة الانتقام ضد اليابانيين ووجدت في صديقها وحبيبها عبد الله الكولونيل الشاب في الحرب الوطني الأندونيسي شريكاً لها في هذا الحقد الأسود ضد اليابانيين وكان الكولونيل عبد الله عضواً بارزاً في منظمة سرية لمقاومة الاحتلال الياباني.

استطاع الكولونيل تجنيد باندا للعمل معه بتزويده بكل المعلومات من قبل زوار باندا الضباط اليابانيين الكبار عن تحركات وعمليات الجيش الياباني على أرض الجزيرة والتي كانت تنقل بدورها للبريطانيين عبر حركة المقاومة الأندونيسية

استطاعت باندا بفضل ما حصلت عليه من معلومات وأسرار عسكرية أن تجنب الثوار العديد من الضربات والملاحقات أيضاً، فضلاً عن كشف كل مواقع القوات اليابانية على الجزيرة عددها ونوعية أسلحتها وخطط مواجهتها لأي غزو بريطاني محتمل مما مهد بالتالي لهبوط الجنود البريطانيين في أندونيسيا (١٩٤٥).

مع رحيل اليابانيين عن أندونيسيا عاد الاستعمار الهولندي ليهيمن على الجزيرة وبذلك وضعت باندا من قبل حبيبها الكولونيل عبد الله في الموقف الصعب إذ طلب منها استمرار التعاون في ظل الاحتلال الهولندي مع المقاومة الأندونيسية التي قررت الاستمرار في القتال لدحر الهولنديين عن الجزيرة فهي تحمل نصف الجنسية الهولندية (نسبة لوالدتها) ونصف الجنسية الأندونيسية (نسبة لوالدها).

وكان قرارها سريعاً إذ واجهت الكولونيل عبد الله بالجواب: وهل نسيت أنني أندونيسية؟

تحولت باندا وعبد الله في الصحف البريطانية بالتحديد إلى بطلين نادرين، تدفق الصحافيون من كل أنحاء العالم على بيتها يسألون ويستفسرون ويصورون ويسجلون وعرفت باندا كواحدة من أبطال المقاومة ضد الاحتلال الياباني. . وتوافد المسؤولون الهولنديون على صالونها ويخطبون ودها ويبغون صداقتها. وكان أعظم ما أعجبهم فيها هو ذلك الاشمئزاز الذي تظاهرت به نحو الأندونيسيين أنفسهم كما اتفقت مع حبيبها الكولونيل عبدالله. استطاعت باندا خلال هذه الفترة تجنيد أحد الموظفين في مكتب الحاكم العام الهولندي الذي أخذ بدوره يمدها بكل المعلومات عن نوايا الهولنديين وخططهم العسكرية والتي كانت بدورها تنقل مباشرة إلى عبد الله الذي قتل أثناء إحدى المعارك مع الهولنديين.

اتصلت المخابرات الأميركية بباندا لتجنيدها ولم تتردد خضعت باندا لدورة مخابراتية طوال ثلاثة أشهر لتختفي من كل أندونيسيا ولتظهر مجدداً في الصين وهي ترتدي زي ممرضة ثم في شنغهاي كساقية في البار الدولي ثم في مقر ماوتسي تونغ كاندونيسية متعصبة لآسيويتها كل ذلك باسماء مختلفة.

خلال كل هذه المهام أرسلت باندا للاميركيين تقارير وافية عن الحركات الشيوعية السرية في بورماوسيام والهند والصين عرفت خلال كل اتصالاتها بالمخابرات الأميركية باسم زهرة الشمس والقلة من الرؤوس الكبرى كانوا يعرفون حقيقة اسمها وجنسيتها.

يوم ٢٤ مايو ١٩٥١ وفوق ثلوج كـوريا نفـذت كتيبة الاعـدام حكمها في بـاندا ماكلويد - زهرة الشمس بعد أن كُشفت على أيدي الكوريين الشماليين الـذين حاولـوا تجنيدها لمصلحتهم مقابل إيقاف حكم الإعدام بحقها لكنها رفضت عرض مستجوبيها قائلة: «لم أعد أستطيع . . لم أعد قادرة».

***

كارمن ماري موري

سـويسرية الجنسيـة، عملت كجاسـوسة لمصلحـة الألمان فـاعـطتهم الكثـير من المعلومات، ثم جندت لمصلحـة البريـطانيين التي قـامت باداء المهـام الموكـولة لهـا على أكمل وجه.

بـداية في العـام ١٩٣٨ - مع صعـود هتلر كمعبود للجـاهير وبـاني مجد المـانيـا جندت كارمن لمصلحة المخابرات الألمانيـة وحددت مهمتهـا بتوفـير المعلومات عن خط ماجينو الفرنسي والذي كان أثناءها يفصل الحدود السويسريـة - البلجيكية عن فـرنسا وهذا الخط كان فريداً من نوعه إذ كان مكهرباً بكل حدوده مع وجود ترسانات ضخمة من الأسلحة ودشم اسمنتية من الصعب أن لم يكن من المستحيل اختراقها.

سـافـرت كـارمن في العـام ١٩٣٨ إلى بـاريس بسهـولـة كـونها تحمـل الجنسيـة السويسرية وما هي إلا أسابيع حتى كانت مركز استقطاب للنخبة الاجتماعية البـاريسية إذ أن جمالها كان كافٍ لتسابق مشاهير هذا المجتمع لاكتساب ودها والتقرب منها.

قامت بعدة زيارات إلى الريف الفرنسي نتيجة لتقربها من ضبـاط فرنسيـين كبار ثم استكملت هـذه الزيـارات بتفقد خط مـاجينـو حيث استـطاعت بفضـل ذاكـرتهـا الحديدية أن تحفظ كل مراكزه وأنظمة العمل به ومواقع الألغام ونقاط الضعف فيه.

كل هذه المعلومات كانت في طـريقها لـلألمان أولاً بـأول حتى باتت حجم هـذه الأسرار كنز حقيقي لا يقدر بثمن.

لكن كارمن وقعت أخيراً في أيدي الفرنسيين نتيجة لمناقشة خاصتها مع ساهرين معها وكانت قد شربت كثيراً في تلك الليلة، ألقت للسانها العنان فإذ بها تكشف عن ميولها وتعصبها للألمان.

اعتقلت كـارمن وصدر الحكم بـاعدامهـا لكن الرئيس الفـرنسي استبـدل حكم

الاعدام بالمؤبد. بعد شهر من هذا الحكم كانت فرنسا كلها قد سقطت تحت أقدام جنود هتلر التي أعلنت استسلامها بعد اجتياز الألمان لخط ماجينو بنجاح مذهل.

أطلق سراح كارمن من قبل الالمان لتمثل أمام المخابرات الالمانية لمحاسبتها على خطأ كشفها لنفسها. واجهت كارمن الهرهيدريش الذي كان يعرف وقتها بلقب «جزار بوهيمي» الذي طلب منها العمل مجدداً مع الالمان تكفيراً لذنوبها فأطاعت خشية إعدامها من قبلهم.

وحددت مهامها بالسفر إلى هولندا وبلجيكا والانخراط ضمن صفوف المقاومة هناك والابلاغ عنهم.

رحلت كارمن إلى هولندا وبلجيكا كمواطنة فرنسية هاربة من الاحتلال النازي واستطاعت خلال فترة قصيرة من انخراطها ضمن صفوف المقاومة أن تكشف العديد من عناصر هذه المقاومة أنها كانت تتلذذ بالايقاع بفريستها وتتلذذ لسماع أنين المعذبين ومناظر الرعب على وجوه من اقتنصتهم بعد نجاحها الباهر هذا طلب منها الدخول إلى معسكر ريفنسبروك الذي كان وقتها معسكراً للنساء المعتقلات لتتحرى عن أخبارهن وكشف محاولات الهرب للمعتقلات فيه. لأربع سنوات ظلت كارمن في هذا المعتقل ترتكب من الفظائع ما لا يمكن أن يتصور حتى قيل أن أكثر منماية ألف امرأة من دول أوروبا المختلفة كانوا معتقلين ضمن هذا المعسكر اختفت أخبارهم بالكامل.

بعد هزيمة هتلر، حرر الروس كل المعتقلات في هذا المعسكر الرهيب لكن السجانات كن قد اختفين تماماً ومن ضمنهم كارمن ماري موري.

أخيراً وقعت كارمن بأيدي القوات البريطانية إذ إدعت هروبها من السوفيات لتعود لفرنسا كونها تحمل جواز سفر فرنسي ساردة للمحققين أنها كانت سجينة سياسية في معسكر ريفنسبروك للنساء عارضة بدورها المساعدة والمساندة للقبض على الجلادين الالمان ومن تعاون معهم.

استطاع البريطانيون الاستفادة منها في إرشادهم لرجال الجستابو. وأوقعت في قبضتهم العديد من رجالات النازيين حتى كشفت حقيقتها إحدى حارسات المعسكر مع كل تفاصيل ما فعلت من مجازر بشعة وتجسس لمصلحة الألمان.

وهكذا عندما تجمعت كل الأدلة ضد كـارمن، صدر الحكم بـإعدامهـا في ربيع ١٩٤٥ لكنهـا لم تستسلم لقرار المحكمـة فاثـرت الانتحار بقـطع شراييـنهـا عـلى تنفيـذ الحكم باعدامها.

***

سيبيل ديلكور

نصف المـانية، نـازية الإيمـان والمعتقد، اعتـبرت من أعظم جـاسوسـات القرن العشرين. أهم عملياتها الجاسوسية وآخرها تلك التي بدأت يـوم الثالث عشر من آذار ١٩٤٥.

كانت مهمتها تختصر بالعبور لمواقع القوات الأميركيـة على الضفـة الأخرى لنهـر الـراين وتجميع أكـبر قـدر من المعلومـات عن جيـوش الحلفـاء ومـواقـع التحصينـات والقيـادات ونسف مقر قيـادة الحلفاء ليتسنى بعـد ذلك للقـوات الألمانيـة بشن الهجـوم المعاكس ودحر قوات الحلفاء.

اعترفت سيبيل قبل قيامها بهذه المهام بكل ما جاءت من أجله، وذلك أثر تحقيق روتيني مع محققي الحلفاء أثر اجتيازهـا لنهر الـراين على أثـر مواجهتهـا بملفها الحقيقي لدى المخابرات الحليفة وكذلك بعرض الخيانات العاطفية لعشيقها فـيرنر كـرامر رئيس مخابرات فرق العاصفة الألمانية.

استسلمت سيبيل بالكامل وعـرضت التعاون مـع القوات الحليفـة ووشت بكل شبكة المخابرات الألمانية في أوروبا.

حصيلة المـطاردات والملاحقـات لهذه الشبكـة كان مـذهلاً. آلاف من العمـلاء والجـواسيس الألمان القيٍ القبض عليهم وحجم مهـامهم والمعلومات التي جمعـوها عن قوات الحلفاء كان مذهلاً: ومن ضمن المعتقلين كان فـيرنر كـرامر عشيقهـا الذي رغم اعترافه بشخصيته بقيت سيبيل تنفي أنه كرامر.

عنـد انتهاء الحـرب قـدمت سيبيـل ديكلور إلى المحـاكمـة بعـد أن أعيـدت إلى بلجيكا وصدر الحكم بإعدامها لكن تدخّل المخابـرات الأميركيـة وكشفها عن تعـاونها الهام معها ومساعداتها الجمَّة في تقدم جيوش الحلفاء جعلت المحكمة تُطلق سراحها.

نيلي كلب:

ألمانية الجنسية، ابنة القنصل الألماني في بومباي بالهند عملت لحساب المخابرات البريطانية واهم انجازاتها كشف حقيقة العميل الألباني للألمان شيشرون. الذي كان يصور وبشكل منتظم كل ملفات السفارة البريطانية في تركيا حيث كان يعمل هناك ويسلمها إلى المخابرات الألمانية.

***

كروثر هلكر:

أميركية الجنسية، عملت لمصلحة المخابرات الأميركية لتجنيد الملازم حامد ضاحي الضابط العراقي الذي كان ملتحقاً بدورة لتدريب القادة في مدينة تكساس في أميركا.

رفض ضاحي البقاء في أميركا بناء لالحاح عشيقته الأميركية كروثر فاثر العودة لبغداد.

طلبت المخابرات الأميركية من كروثر اللحاق به لبغداد لتجنيده أو للحصول على بعض الأسرار العسكرية، واجهته بطلب رؤسائها، هددها بالإبلاغ عنها إن لم تغادر العراق. عندما ايقنت باستحالة خيانته لبلده اغتالته في شقتها في منطقة الكرارة الشرقية ببغداد وفرت بمساعدة عملاء للمخابرات في أول طائر متوجهة إلى لندن.

***

جوتردبل:

بريطانية الجنسية مواليد ١٨٦٨.

عملت لمصلحة المخابرات البريطانية وقامت بعدة مهام متنوعة ومختلفة. جالت في القاهرة والاسكندرية وانخرطت ضمن الوسط الاجتماعي الراقي المصري وكذلك ضمن السلك الدبلوماسي الأجنبي في العاصمة المصرية وانتقلت إلى الصحراء المصرية حيث عاشت مع بدو الصحراء تتعلم عاداتهم وتقاليدهم وحتى طريقة تناولهم للطعام (باليد) وتحملت المشاق والصعاب وتقاريرها عن كل ما بلغت نظرها ويخدم مهمتها أكثر من ان تعد حتى منحت وسام الامبراطورية البريطانية تقديراً لخدماتها الجليلة للمخابرات البريطانية. صدرت الأوامر لها بالتوجه للسودان ثم للهند واعيدت مجدداً إلى مصر ثم إلى الأردن والحجاز والعراق. بقيت تمارس نشاطها في البلاد العربية حتى عام ١٩٢٦ حيث استقرت أخيراً في الهند لتدفن فيها.

بريطانية الجنسية، عملت لمصلحة المخابرات البريطانية وكانت تكلف غالباً بالمهام الصعبة، جميلة وجذابة وجريئة.

كلفت بكشف حقيقة أحد كبار الجواسيس الألمان المقيم في سويسرا والمساعدة على اعتقاله.

استطاعت الدخول إلى عرين الجاسوس الألماني في أحد الفنادق السويسرية بعد ان اغرته بجمالها الصارخ فدعاها إلى مشاركته في الشراب في شقته حيث اسكرته وعبثت بكل الأوراق التي كانت في خزانته واستطاعت تصوير لوائح أسماء العملاء الألمان في سويسرا وكذلك كشفت الشيفرة الخاصة المُخصصة للاتصالات، كذلك كلفت بمهمة أخرى هي إقامة علاقة عاطفية مع أحد ضباط البحرية الألمان في برلين للحصول على الشيفرة التي تتخابرها المُدمّرات الألمانية في البحر وبنجاحها في كشف هذه الشيفرة ساعدت على سحق الأسطول الألماني في معركة جوتلند البحرية الشهيرة.



اسمهان

سورية الجنسية، أشيع الكثير عن علاقتها بالمخابرات البريطانية حتى قيل أنها ذهبت ضحية هذه المخابرات لكثرة ما جمعت من أخبار عن التحركات الألمانية في المنطقة لكي لا تقع أسيرة بيد القوات الألمانية التي كانت زاحفة بوقتها إلى مصر.

جندت من قبل قائد سلاح الطيران البريطاني في الشرق الأوسط للعمل معهم. وقد برعت وأجادت مهنتها هذه كما أجادت قبلها مهنة الغناء والطرب.

نقلت للعمل في مصر وفلسطين وبيروت حيث دبر لها أخيراً حادث سير أودى بحياتها.

***

تانيار أديونسكا:

روسية الجنسية، ابنة عقيد في المباحث السوفياتية.
مواليد ١٩٢٤، خريجة معهد التدريب على الجاسوسية العالمية السوفياتة.

زرعت بداية في بريطانيا فاقامت هناك تحت اسم: ايلين وندسور وبجواز سفر بريطاني كان الهدف من هذه الإقامة تنفيذ المهمة الأساسية لها وهي إنشاء شبكة بكندا.

لم تقم في بريطانيا بأية مهمة تجسسية بناءً لطلب مرؤوسيها. وتحت حجة عدم إيجاد

عمل بالعاصمة البريطانية قررت التوجه لكندا هكذا اقنعت صديقاتها وصاحبة الشقة التي أقامت بها.

زودت المخابرات السوفياتية تانيار بأسماء أقارب وهميين وأصدقاء في العاصمة الكندية للاتصال والتعاون.

حطت بداية في مونتريال ثم توجهت إلى أوتاوا حيث تعرفت على شاب أبدى استعداده لاستعمال صندوقه البريدي لاستلام رسائلها من الخارج وكانت التعليمات والأوامر تصل إلى صندوق البريد هذا بشكل منتظم.

تعرفت لاحقاً على مهندس الكتروني يعمل في مصنع لتجميع الطائرات في كندا حاولت تجنيده قتلته وبان الحادث كأنه عملية انتحار بعد ان هددها بفضح أمرها للسلطات الكندية.

ثم تعرفت على مهاجر سلافي يعمل في نفس مصنع الطائرات اختطف لاحقاً من قبل المخابرات السوفياتية بعد ان رفض التعاون وهددها بكشف حقيقتها.

العام الأول من إقامتها في أوتاوا زاد ضحاياها عن العشرة بين قتل واختطاف ومصير مجهول.

وأخيراً وقعت الجاسوسة الروسية في غرام أحد ضباط الشرطة الكندية الذي عقد خطوبته عليها واستطاعت الحصول منه على كم هائل من المعلومات المفيدة عن الأوضاع العامة واجابة لكل استفساراتها التي أخذت طريقها إلى دوائر المخابرات السوفياتية بناء لطلب رؤسائها غادرت تانيار أوتاوا ثم كندا إلى موسكو لتزرع مجدداً في بلد آخر وباسم جديد.

***

باميلا

أميركية الجنسية، اجبرت على التعاون مع المخابرات السوفياتية بفعل تعلقها بعشيقها عازف الجاز والمطرب والراقص وليام بعد ان هددها بفضيحة الاجهاض وبنشر صور جنسية لها معه فضلت باميلا وهي الموظفة بوزارة الخارجية الاميركية استمرار العلاقة مع عشيقها ثم خطيبها وكانت وثائق الخارجية الأميركية يومياً تصور لتصل إلى دوائر المخابرات السوفياتية.

ساعدت باميلا خطيبها في مده بشتى أنواع الوثائق والمعلومات وأمنت له تغطية مناسبة في تحركاته وإخفاء أجهزة اتصالاته مع موسكو.

عاشت باميلا حياة مضطربة فضميرها يؤنبها على عملها التجسسي واستحالة إفشاء سر حبيبها الذي تعلّقت به لدرجة كبيرة ولم يعد باستطاعتها التراجع فلقد بقيت حتى آخر لحظة من حياتها تزوده بالوثائق السرية ليصورها ثم تعيدها إلى وزارة الخارجية.

حلت باميلا أخيراً مشكلتها بوضع حد لحياتها إذ تناولت كمية من الحبوب المنومة كانت كافية لانتحارها.

***

انشراح موسى

(كل شيء هين بعد الخيانة)

مصرية الجنسية، جندت مع زوجها إبراهيم سعيد شاهين وولداها للعمل ضمن المخابرات الإسرائيلية.

عقب الاحتلال الإسرائيلي لسيناء الذي كان يقيم فيها إبراهيم شاهين وزوجته وولداه ثم تجنيده لمد الموساد بكل المعلومات المتعلقة، بالحرب بين مصر وإسرائيل سافرت انشراح في عدة دورات تدريبية للخارج مع زوجها من روما إلى تل أبيب إلى بئر سبع ثم عودة إلى القاهرة بعد أن زودا بكل الأجهزة اللازمة لاستمرار الاتصالات ولبث كل المعلومات المطلوبة.

استطاعت انشراح جر ولديها نبيل ومحمد إلى الانضمام لهذه الشبكة الذين أوكلت إليهما مهمة جمع والتقاط المعلومات من الشارع المصري بعد هزيمة الـ ١٩٦٧.

أما مهامها مع زوجها فانحصرت في الاعلام عن التحركات العسكرية وتحديد مواقع المنشآت العسكرية وتحديد توجهات الشارع المصري ومشاغله ومشاكله الاقتصادية بنوع خاص فضلاً عن تتبع الروح المعنوية لدى الشارع المصري بعد حرب الـ ١٩٦٧.

في الأول من اكتوبر ٧٣ سافرت انشراح إلى روما لتقديم الصور والمعلومات

التي جمعتهم خلال مهمتها وفي السابع من اكتوبر بكت حزناً وواست ضباط المخابرات الإسرائيلية عندما علمت بنجاح اجتياز القوات المصرية لخط بارليف.

امنت المخابرات الإسرائيلية «للعائلة الجاسوسة» جهازاً حساساً للالتقاط وللإرسال قدر ثمنه بنحو مایة ألف دولار ومع أول إرسال لهذا الجهاز كانت المخابرات المصرية قد التقطته ووضعت منزل العائلة بالكامل تحت مراقبتها.

القي القبض على العائلة بكاملها وأثناء التحقيق اعترفوا جميعاً بالتجسس وقضت المحكمة بتاريخ ٧٤/١١/٢٥ باعدام الزوجة والزوج وبالسجن للولد الكبير نبيل خمسة سنوات وبتحويل الآخر لمحكمة الأحداث.

تم إعدام الزوج عام ١٩٧٧، أما الزوجة فتم تأجيل تنفيذ الحكم بأمر شخصي من الرئيس أنور السادات ليعفو عنها عفواً رئاسياً خاصاً بعد ذلك.

توجهت العائلة الجاسوسة سراً إلى إسرائيل حيث اعتنقوا جميعاً الديانة اليهودية وبدّلوا اسم العائلة من شاهين إلى بن ديفيد أما انشراح التي أصبح اسمها دينا بن ديفيد فقد ذكرت في إحدى المقابلات الإذاعية للعدو أنها غير نادمة على ما فعلت خدمة لإسرائيل ولشعبها وخيانة لوطنها وأن عملية تهريب الخرائط والوثائق والصور التي كانت تستحصل عليهم كانت تهرب للعدو ضمن لعب الأطفال.

أما ابنها ديفي (نبيل سابقاً) فصرّح لإذاعة الجيش الإسرائيلي يوم ٨٩/١١/٢٦: بأنه فخور جدّاً بما فعله والده من أجل إسرائيل.

***

جودي كوبلن

اميركية ـ مواليد ١٩٢١

فتاة جميلة جذابة ذات شعر أشقر عشقت الفنون والموسيقى عملت وجندت للعمل ضمن المخابرات السوفياتية مدفوعة بشغفها الجنسي.

يوم الميلاد عن عام ١٩٤٨، انفجرت قنبلة في قلب مبنى المباحث السياسية في واشنطن سرقت على أثر هذه الحادثة وثائق وملفات للمباحث السياسية كانت وثائق هامة لوزارة العدل على قدر كبير من السرية لتكون بعد فترة على طاولة السفير السوفياتي في العاصمة الاميركية.

جندت المخابرات الاميركية كل عناصرها وطاقاتها للبحث عن شبكة التجسس

السوفياتية التي افتعلت حادثة الانفجار وسرقت الملفات والوثائق السرية من مبنى المباحث السياسية في واشنطن.

ركزت شبهة المخابرات الاميركية بداية على العاملين في وزارة العدل الاميركية وبعرض أسماء المشبوهين ثم اختيار ثلاثة موظفات بالوزارة موضع الشبهة بناءاً للميول والمعتقدات السياسية والفكرية لهم وكان من بين الثلاثة موظفة عملت في فرع نيويورك بالوزارة وأسمها جودي كويلن تم وضع الثلاثة تحت المراقبة والتحري الدائم عن جودي كويلن أفاد التقرير أنها فتاة جميلة قصيرة ذات شعر أشقر تحب الفنون والموسيقى إلى درجة العبادة ومن الزوار الدائمين للمتاحف الفنية.

تم بداية رصد الأماكن التي ترتادها جودي وعنوان سكنها ونوعية وأسماء أصدقائها.

وضعت شقتها تحت الرقابة اليومية ورصدت الاماكن والبيوت والشقق التي تقصدها وفوجيء المراقبين بترددها الدائم على أكثر من شقة حيث تقيم مع أصحابها علاقات جنسية دون أن تصحب أي منهم إلى مكان سكناها.

قضت جودي مع السيد شيرو وهو أحد المحامين اللامعين ومن محامي قضايا الدولة ليلة حمراء في إحدى فنادق بلتيمور تحت سمع وبصر المخابرات الأميركية التي صورت وسجلت تفاصيل هذه الليلة بواسطة التجهيزات اللازمة من ميكرفونات حساسة لاقطة للصوت إلى أجهزة تصوير تعمل باشعة أكس القادرة على التقاط الصور حتى من خلف الجدران والتي ركزت في غرفة مجاورة لغرفة العشيقين.

في تلك الليلة لم يدر بين شيرو وجودي أي حديث له علاقة بالسياسة أو الجاسوسية مما جعل المراقبين يخرجون بدون أية نتيجة.

طلبت جودي من رئيسها بالوزارة اطلاعها كالعادة على تقارير العملاء السوفيات في أميركا. طلبت المخابرات الأميركية من رئيسها اطلاعها على تقارير وضعت مسبقاً بمعرفة المخابرات الأميركية.

أخذت جودي هذه التقارير مع تتبع كامل ودقيق من قبل رجال المخابرات الأميركية لحركاتها اليومية وتنقلاتها ليحددوا بالنهاية إلى أية يد ستسلم هذه التقارير.

خرجت من مقر عملها متوجهة إلى محطة القطارات حيث استقلت إحداها إلى نيويورك وصعد معها في نفس القطار أربعة من رجال المراقبة في المخابرات الأميركية.

نزلت جودي في محطة بنسلفانيا في نيويورك حيث كانت تحت مراقبة العشرات من المراقبين. تجولت قليلاً في أحياء وشوارع المدينة حتى انتهت في أحد المطاعم الصغيرة حيث جلس بجانبها رجل ذو شعر أسود تبادلت وإياه أحاديث مختلفة دون أن يتمكن رجال الملاحقة من التقاط أي كلمة من حديثهما لضجة الموسيقى وأصوات مكبرات الصوت في المطعم. عند مغادرتهم المطعم اختفى الرجل ذو الشعر الأسود وسط الزحام رغم الملاحقة له.

ظنت المخابرات الأميركية أن الرجل هذا ما هو إلا أحد المواطنين السوفيات ولتأكيد ظنونهم بادروا في اليوم التالي إلى إحاطة السفارة السوفياتية بالعشرات من المخبرين لترقب دخول هذا الرجل لمبنى السفارة لتأكيد ظنونهم هذه.

كان ظنهم في محله إذ حضر هذا الرجل لمبنى السفارة في الساعة العاشرة صباحاً ومكث داخلها زهاء الساعة.

بعد مراجعة الصور التي التقطت له وهو يدخل إلى السفارة تأكد للمخابرات الأميركية أن هذا الرجل ما هو إلا المهندس الروسي بالتان غوبيتشوف الملحق في قسم التصنيف في الأمم المتحدة مع الالحاح المتزايد لجودي بالاطلاع على التقارير السرية لوزارة العدل واستجابة رئيسها الذي بطلب من المخابرات الأميركية بعد فبركة وثائق هذه التقارير لابقاء شعورها بأنها غير مراقبة وعدم تغيير أي شيء في طبيعة عملها.

كانت كل هذه الوثائق تسلم لبالتان الذي بدوره ينقلها إلى مبنى السفارة بنيويورك.

زودت المخابرات الأميركية أخيراً جودي عبر رئيسها في وزارة العدل بعدة وثائق هامة وحسّاسة لا تحتمل تبليغها للمخابرات السوفياتية أي تأجيل.

طلبت جودي من رئيسها المباشر إجازة قصيرة بحجة زيارة والدتها.

تحرك في أثرها العديد من رجال المخابرات. مرة جديدة أيضاً التقت بغوبيتشوف في إحدى المناطق المكشوفة بعد تبادل بعض الكلمات لاحظا محاصرة رجال المخابرات لهما استطاعت جودي الهروب أثناء إنهاك رجال المخابرات بملاحقة بغوبيتشوف والقبض عليه.

تم أخيراً القبض على جودي وبتفتيش شنطة اليد التي كانت تحملها عثر على أربعة وثلاثين نسخة ورق وملخص عن وثائق حكومية سرية للغاية.

ووجهت جودي أخيراً بشرائط التسجيل التي سجلت لياليها الحمراء مع المحامي شبيرو والسوفياتي بغوبتيشوف.

إنهارت أخيراً واعترفت بعلاقتها الغرامية والجنسية مع هذا الأخير لأنه كان فحل روسي اشبع نهمها الجنسي ولم تستطع بالتالي رفض طلباته مهما كانت حتى لو كانت خيانة بلدها. صدر الحكم عليها بالسجن لخمسة سنوات ولم تكمل مدة عقوبتها بسبب مرض عضال أصيبت به في السجن ليطلق سراحها ولتتزوج أخيراً محاميها الذي دافع عنها خلال المحاكمة.

***

كلير جوردن

بريطانية - رئيسة جهاز المخابرات البريطانية في قناة السويس

في الخمسينات حيث كانت القوات البريطانية تحتل منطقة القنال وكانت المقاومة الشعبية المصرية على أشدها لطرد قوات الاحتلال عن تراب مصر وقنالها فوجيء اللواء متولي قائد المقاومة المصرية في القنال بأحد الضباط المصريين يفاجأه بأن سيدة بريطانية جميلة جداً وجذابة دخلت إلى شقته ذات مساء وطلبت منه أن تكون صديقة له باعتباره عازباً وإنها زوجة لاحدى مديري شركة القنال الأجانب. وازاء ترددي والكلام للضابط المصري في قبول صداقتها الحت عليّ في قبولها وأنها زيادة في الثقة بها اعلمتني أنها تعمل في فرع مخابرات القنال البريطاني وأن زوجها مشغول عنها وقد اختارتني بعد دراسة مكثفة من قبلها لتحركاتي وجمع المعلومات عني. وطلبت مني فضلاً عن إقامة علاقات جنسية معها تبادل المعلومات المخابراتية حيث يستفيد الطرفان من هذا التبادل. وقد وافقت على طلبها الأول واعتبرتها صيداً ثميناً حيث كانت تحضر لمنزلي كل يومين مرة حيث نقضي معاً الليل بطوله واليوم فاجئتني بطلب نسخة من التقارير المرفوعة لوزارة الداخلية عن أعمال المقاومة الشعبية وما سيقومون به مستقبلاً وتزويدها بكل هذه التقارير أولاً بأول.

وقد تركت لي مبلغ خمسة آلاف جنيه مصري. رأيت من واجبي الوطنيْ أن أطلعك على حقيقة هذه السيدة لاتخاذ اللازم والمشورة.

استمع اللواء متولي إلى رواية الضابط فطلب منه أخيراً الاحتفاظ بالمبلغ واخذ إجازة مفتوحة وعدم العودة إلى القنال إلا عندما يطلب منه ذلك.

مرت ثلاثة أيام على إجازة الضابط المصري حتى فوجيء اللواء متولي بسيدة انجليزية تدخل صالون شقته ترجوه وبإلحاح أن يعيد لها الضابط وهي مستعدة للقيام بأي عمل تكلفها به المقاومة الشعبية المصرية خصوصاً أنها رُقيت إلى منصب رئيسة فرع مخابرات القنال. استغل اللواء متولي أنوثتها وحبها للجنس الذي تغلّب على اخلاصها للوظيفة الهامة التي تتمتع بها في المخابرات البريطانية وطلب منها لإعادة الضابط المصري اطلاعه يومياً على التقرير اليومي لإعمال المخابرات البريطانية في القنال قبل أن يرسل إلى الرئاسة لتصويره ودراسته وإعادته أليها فوافقت دون تردد.

أعيد الضابط المصري إلى عمله وإلى علاقاته معها وكانت التقارير اليومية ترسل يومياً حسب الاتفاق إلى قيادة المقاومة الشعبية وبنفس الوقت كانت المخابرات المصرية تزودها عبر الضابط بتقارير وعمليات المقاومة الوهمية المنوي القيام بها على قوات الاحتلال البريطاني.

أخيراً تم نقل كلير جوردن إلى لندن للتحقيق معها بتهمة الافتعال والكذب في تقاريرها المرفوعة فضلاً عن تسرب الكثير من المعلومات والخطط للمقاومة الشعبية المصرية التي استفادت منها بتوجيه ضربات قاسية للوجود البريطاني على أرض القنال

ماري ليبك

جاسوسة جوّالة

هنغارية الأصل ـ مقيمة في السويد كلاجئة سياسية.

سخَّرت الموساد المخابرات السويدية للعمل معها وعندما تمكّنت من سيطرتها هذه أعطتها مهام تجسسية متعددة لا تستطيع الموساد مباشرة القيام بها.

فرزت المخابرات السويدية إحدى عميلاتها وتُدعى ماري ليبك وكانت قادمةَ لتوها بمهمات تجسس متعددة على الدول الاشتراكية للعمل ضمن توجيه الموساد التي قررت الاستفادة منها بالعمل في مصر.

وصلت ماري للقاهرة واستطاعت خلال فترة وجيزة وكسيدة سويدية من الانخراط ضمن مجتمع النخبة وتجنيد بعض المصريين من ضعاف النفوس للعمل معها. خلال فترة قصيرة من عملها هذه تم تجميع العديد من المعلومات الهامة عن المطارات العسكرية المصرية ومناطق تخزين البترول وطرق إمداد الجيش وهذه المواقع جميعها ضربت بالفعل وبشكل مباشر لدرجة أن الطائرات الإسرائيلية المغيرة كانت تضرب خزان البنزين وتترك خزان المازوت المجاور له.

ألحقت شبكة ماري ليبك ضرراً كبيراً بالقوات المصرية وكانت كل تقاريرها العسكرية تُكتب بالحبر السري إلى المخابرات السويدية التي تحوّلها بدورها للموساد.

كشف الكابتن جيلبرت إيركسون قائد إحدى البواخر التجارية والذي كلفته المخابرات السويدية في مرحلة سابقة تصوير ميناء الإسكندرية والاطلاع على نقاط الضعف فيه كل هذه المعلومات أثناء ظهوره في أحد البرامج التلفزيونية الخاصة حيث ذكر أنه فعلاً قام بعدة مهام وعلم بالكثير منها لكنه كان يعتقد أنه يخدم بلاده وكان غافلاً أن كل مهامه ومهام الآخرين الذين كُلفوا بها كانت تأخذ طريقها للمخابرات الإسرائيلية.

أمينة المفتي

علم النفس والجاسوسية

مواليد: عمّان ـ الأردن ١٩٣٦.

درست حتى تخرَّجت من إحدى جامعات النمسا حاملة شهادة دكتوراة في علم النفس. ومن النمسا توجَّهت إلى عمّان حيث عملت هناك في إحدى المستشفيات وطردت لاتهامها بالاختلاس.

حقدت على العرب بعد أن اعتُبرت الشهادة التي تحملها مشكوك بصحتها وعادت إلى النمسا حيث تعرّفت هناك على طيار نمساوي يهودي فتزوجته.

مع اندلاع حرب الـ ٧٣ شجعت زوجها على الإلتحاق كمتطوع ومتقاعد مع الإسرائيليين الذين سلموه بدورهم طائرة قتال من نوع سكاي هوك التي أُسقطت فوق الأراضي السورية واعتبر طيارها مفقوداً.

جدّدت جواز سفرها الأردني من السفارة بقبرص وتوجَّهت إلى بيروت كأردنية للبحث عن زوجها وتتبُّع أخبار المعتقلين الصهاينة بسوريا.

لم تحصل بداية على أية نتيجة فعادت أدراجها إلى النمسا حيث عَرَّفها ذوو زوجها إلى ضباط الموساد الذين رحّبت بحماس للتعاون معهم.

خضعت لدورة تدريبية قاسية في تعلم أساليب التجسس وطرق الاتصال واستعمال الشيفرة والكتابة بالحبر السري.

أعيد مجدداً تسفيرها لبيروت.

تعرَّفت في بيروت على عامل بالهاتف الذي ارتبط معها بعلاقة غرامية والذي عرَّفها بالتالي على صديق آخر يعمل بنفس المصلحة.

حددت مهمة أمينة المفتي وسُميت بالعبري بعد زواجها من اليهودي آني داوود، كما رسمتها لها الموساد بتقصي أخبار قادة المقاومة الفلسطينية المقيمين في لبنان وهم زهير محسن وأبو الزعيم وغيرهم.

توجهت كسائحة تضع الكاميرا على كتفها لمنزل أبو الزعيم بداية ولما عجزت

عن تصوير منـزله مبـاشرة ادعت إجراء بعض الفحـوصات الـطبية لتـدخل المستشفى المقابل لمنزله لتتمكن من تصوير المنـزل لكن غرفتهـا، بالمستشفى لم تكن مـلاءمة لهـذا العمل، غادرت المستشفى وتوجَّهت إلى مبنى مقابل له تسأل عن شقة لـلإيجار فيـه وا!ا لم يكن هناك شقق للإيجار في المبنى المذكور عرضت عـلى ناطـور المبنى مبلغاً محـترماً من المال طالبة منه أخذ صورة تذكارية مع عائلته على سطح المبنى. .

رحَّب الناطور بهذه المُحسنة فاستطاعت بذلك تصـوير المبنى الـذي يقيم به أبـو الزعيم بالكامل.

أخبر الناطـور أحد حـرَّاس منزل أبـو الزعيم بفضـائل وحسنـات هذه المحسنـة الكريمة الذي أبلغ رؤسائه بالأمـر فتم إلقاء القبض عليهـا من قِبل السلطات اللبنـانية والتي لم تجد خلال التحقيق معها من سلوكياتها ما يستوجب الشك بها.

عـادت أجهزة أمن الثـورة الفلسـطينيـة وألقت القبض عليهـا في أيلول ١٩٧٥ حيث اعترفت بكل تفاصيل مهامها التجسسية.

حن جنون الموساد عندما علموا بإلقاء القبض عـلى جاسـوستهم وبدأوا بـإجراء اتصالات مع الصليب الأحمـر الدولي من أجـل استعادتهـا ونجح الصليب الأحمـر في إحراء عملية التبادل مع مقابل إطلاق أسيرين فلسطينيين هما:

وليم نصَّار، مواليـد القدس ١٩٤٢ محكـوم بالسجن المؤبـد منذ العـام ١٩٦٨ على أثر صدامات مع الصهاينة في القدس.

محمد مهدي بسيسو، مواليد غزة ١٩٤١ محكوم بالسجن المؤبد على أثر القبض عليه في زورق لتنفيذ عملية فدائية عام ١٩٧١.

اختـيرت قبرص كمـركز لتبـادل الجاسـوسة والمنـاضلين الفلسطينيـين وتم ذلـك يوم ١٣ شباط ١٩٨٠.

غريتا نلسون

دوخت الدانمارك بجسدها
وعرفت كل شيء وهربت

أصبحت غريتا نلسون فتاة غلاف بفضل جمالها الهادىء وشعرها الناعم وعينيها البنفسجيتين الباسمتين وذكائها. وكان بإمكان منتجي الأفلام السينمائية أن يجعلوا منها نجمة، لما تتمتع به من سحر ومواهب تمثيلية وذكاء.

ولكنها لم تكن تطمح إلى أضواء الشهرة ولا إلى تهليل الجمهور. فقد وجهت مواهبها بدلاً من ذلك إلى التجارة. فتحت متجراً في قلب كوبنهاغن لبيع الهدايا حيث اشتهر في غضون أسابيع قليلة. ويرجع نجاحه إلى سحر غريتا نلسون وشخصيتها الفذة التي أمنت لها اقتناع الزبائن ورضى مساعديها. وكانت غريتا تتكلم الدانماركية كإحدى بنات البلاد ولكن كان من المستطاع في بعض الأحيان الانتباه إلى لكنة أجنبية تشوب صوتها. غير أن ذلك كان متوقعاً. فقد كانت سويدية بالولادة وعاشت حياتها في غوتبرغ إلى أن جاء بها زوجها وهو روائي دانماركي إلى كوبنهاغن. غير أنها اعتادت بسرعة طريقة العيش الدانماركية ولكنها قررت بعد ذلك «الحدث المؤلم» في حياتها أن تتابع العيش في كوبنهاغن. وكان الحدث هو هجر زوجها لها. فقد كانت هناك امرأة أخرى.. وطفل على الطريق. ذلك ما أشيع. لكن أصدقاء غريتا لم يكونوا ليلحوا عليها في السؤال عن التفاصيل حرصاً منهم على مشاعرها إذ كان يؤلمها التحدث عن ذلك.

وهكذا تمتعت غريتا ومتجرها بضيافة الشعب الدانماركي، الذي لم تكن لديه أدنى شبهة بأن غريتا جاسوسة.

ومن المحتمل أن تكون غريتا إحدى ألمع النساء الجاسوسيات في تلك الحقبة. فهي لم تتابع التجسس بنجاح لمدة اثنتي عشرة سنة دون إثارة أية شبهة فحسب، بل استطاعت عندما افتضحت نشاطاتها التجسسية، الهرب في ظروف زرعت الشكوك حول إثبات جرمها.

جمال من لينتغراد :

لم تكن غريتا نلسون داغاركية حتى ولا سويدية، بل روسية. وهي ابنة منظم الحزب في لينتغراد. وكان اسمها الحقيقي فالنتينا نيكولاييفنا مالينوفسكا. وكانت مؤمنة إلى درجة التعصب الأعمى بالحزب الشيوعي. وإلى ذلك، فإن جمالها وذكاءها كانا في طليعة الأسباب التي حملت السلطة على اختيارها للتدريب التجسسي. وأدخلت المعهد التجسسي السوفياتي براكهوفكا في تشرين الأول عام ١٩٤٤. وعند قبولها في المعهد أعطيت هوية جديدة وأصبح اسمها غريتا نلسون من التابعة السويدية ومن مواليد غوبترغ. وسجلت رسمياً كعميلة للاستخبارات السوفياتية تحت رقم د ـ ٤٤١٦١٠/١١٠ ـ ب.

لم يقتنع مدربو فالنتينا بكفاءتها إلا بعد عشر سنوات من التدريب فقد كانت معاهد التجسس السوفياتية ذات مستوى عال من الكفاءة.

وتدربت فالنتينا بجد وأصبحت خبيرة في تقنية التجسس الحديثة. وعندما اجتازت امتحاناتها النهائية في براكهوفكا في تشرين الثاني عام ١٩٤٥ كانت قد بلغت الحادية والثلاثين من العمر. واعتبرت مؤهلة لأن تقوم بأعباء شبكة تجسس في الداغارك.

ووضعت غريتا في الاحتياط سنة أخرى في براكهوفكا، ذلك أن مدير قيادة الاستخبارات في موسكو ـ الشعبة الأولى ـ (المختصة بالحصول على الهويات الأجنبية) لم يكن مقتنعاً تماماً بالمستندات التي ستستعملها، كغطاء. ولذا أمر بإجراء كشف كامل للتأكد من سلامة مستقبل الجاسوسة العتيدة. وكان التقرير الأخير الذي استلمه يشير إلى أن غطاء غريتا الواقي كان على أكمل وجه.

وهكذا، وبعد عشر سنوات طويلة من التدريب المتواصل أصبحت الجاسوسية السوفياتية الجديدة مستعدة للبدء في العمل.

الزوج الهارب:

وقبل الميلاد سنة ١٩٥٤ بأسبوعين تسللت غريتا إلى «وطنها الأم». ولفترة شهر أخذت تتأقلم على العيش في السويد فسافرت طويلاً لتعود نفسها على البلاد

واستعانت بتدريباتها التجسسية لمعرفة ما إذا كانت تزرع الشك لدى ضباط مكافحة الجاسوسية. وأثناء فترة التأقلم تلك حرصت غريتا على التقيد بتعليمات الاستخبارات السوفياتية الصارمة التي تمنعها من القيام بأي نشاط تجسسي.

وبعد عدة أسابيع من وصولها إلى السويد، سافرت إلى كوبنهاغن. وهناك تزوجت من دانماركي بناء على أوامر من مدير قيادة الاستخبارات في موسكو ـ الشعبة الثالثة ـ واختير زوجها بعناية فائقة من قبل هيئة الاختيار لدى دائرة الاستخبارات في موسكو. وكان شاباً شيوعياً متحمساً، فأطاع الأوامر بإعطاء الحق في كسب الجنسية الدانماركية عن طريق الزواج.

وبعد زواج غريتا بمدة وجيزة اختفى زوجها حسب الاتفاق المسبق. فقد طلبه قسم النقل الروسي إلى الاتحاد السوفياتي حيث سلم مركز مدرس لغة في براكهوفكا تحت إشراف الـ «ك. جـ. ب».

واستقرت غريتا متمتعة بكل حقوق وواجبات المواطن الدانماركي وحرة من القيود المفروضة على المقيمين الأجانب. ولم تشك السلطات الدانماركية يوماً بأن زواج غريتا كان مدبراً من قبل موسكو. وكان التعليق الوحيد المثير للشك حول غريتا ينحصر بالدهشة من غباوة زوجها لهجرها امرأة لها جمالها وسحرها.

سحر الجنس:

وقد خصت موسكو غريتا بالمبالغ الكافية لخلق شبكة تجسس، لكن كان على غريتا أن تبين مصادر المال فيما إذا أرادت القيام بعمل يغطي نشاطاتها. وهكذا فضلت الالتقاء برجال أعمال دانماركيين فاستغلتهم متاجرة بسحرها الجنسي، فأقنعتهم بالمال اللازم لفتح متجر لبيع الهدايا، وقد قبلوا ترك إدارة المتجر بيدها وكانوا بالمقابل يكتفون بالمنح التي كانت تغدقها على كل منهم على حدة.

واستطاعت باستغلالها الجنسي تأمين مصدر رأسمال شرعي وحصلت على أصدقاء منفذين وذوي مكانة اجتماعية مرموقة.

وما إن أتمت المتجر حتى أصبح بإمكانها الشروع في بناء شبكة التجسس. وزودتها موسكو بلائحة تتضمن أسماء الشخصيات المناسبة للتجنيد. فقامت غريتا

بمقابلتهم شخصياً وانتقت منهم من وجدته ملائماً. وعملت على وضع المعدات التجسسية التقنية في المتجر. ونشطت في العمل حتى أن شبكتها كانت حتى شهر آدار ١٩٥٥ تتألف من سبعة عشر عميلاً ومخبراً. وكانت رسائل الميكرو دوت والأفلام الميكرو تتدفق على مقر القيادة في موسكو وكان رؤساؤها في دائرة الاستخبارات السوفياتية شديدي التأثر بأخبارياتها «المثالية» وعبقريتها البعيدة النظر.

كما عملت غريتا على أن لا تتدخل شخصياً في حقل النشاطات التجسسية. فقد علمها ذلك معهد براكهوفكا استناداً إلى خبرات غيرها من الجاسوسيات اللواتي ضبطن لعدم احتراسهن ولعدم تقيدهن بالتعليمات وقواعد السلامة التي تعلمنها في دائرة الاستخبارات السوفياتية.

ركزت غريتا على جمع المعلومات عن إنشاء حلف شمال الأطلسي وقواته الضاربة، وغيرها من الأمور العسكرية والتقنية الشديدة السرية. أما أهدافها الثانوية فقد كانت تتناول الأسرار الداخلية التي تتعلق باقتصاد الدانمارك واستراتيجيته السياسية. وكان عملاؤها ومخبروها الذين يحتلون وظائف حساسة في الإدارات الرسمية يمدونها بفيض دائم من المعلومات التي كانت تجدها موسكو لا تقدر بثمن.

أسرار في الهدايا:

وكانت تخفي الأفلام الميكرو التي تحتوي على نسخ ورق كاربون عن الأسرار الهامة والمستندات الديبلوماسية والتقارير السرية داخل هدايا المتجر البريئة المظهر التي تنتقي بمهارة وذكاء، مثل فراشي الثياب وماكينات الحلاقة الكهربائية والساعات المنبهة. وكان الكثير من هذه الأدوات تطير من كوبنهاغن داخل حقائب المسافرين حاوية أسرار الاستخبارات الروسية.

أما الرسائل والتقارير المستعجلة فقد كانت ترسل بالشيفرة بواسطة موجات راديو قصيرة وعالية الذبذبة. كما أن عدداً لا يحصى من المخابرات الميكرو دوت كانت تخفي تحت الطوابع الملصقة على البطاقات البريدية التي كانت ترسل إلى عناوين وسيطة عبر العالم الغربي وترسل الأسرار بعدئذ إلى مدراء الاستخبارات في موسكو بطرق مختلفة.

وسرعان ما عقدت غريتا اتفاق عمل مع زميلها في ستوكهولم الذي كان بدوره

على علاقة وثيقة بالجاسوس الكولونيل شتيغ وينير شتروم. ولم تسمح موسكو بعلاقتهما تلك ولكن خططهما الخاصة مكنتهما من تبادل الأخباريات المفيدة وزيادة الأخباريات المؤكدة التي كانا يرسلانها إلى رؤسائهما. وهكذا ثبت موقفيهما بالنسبة إلى مدرائهما في موسكو. فشغل الجواسيس الشاغل كان دائماً إرضاء رؤسائهم. فهم يعيشون حياة محفوفة بالخطر، لأن التخلص من العملاء غير الفعالين والذين لا يحوذون رضى رؤسائهم يتم بسهولة بالغة، أما بالوشاية من نشاطاتهم السرية وإما بالاغتيال!.

ولم يكن هتجر الهدايا في أي وقت من الأوقات محطاً بالشبهات. فقد كانت تعتبر مديرته الحسناء مواطنة طيبة ومحترمة. وكان سعاتها. وهم صلة الوصل بينها وبين عملائها يأتونها كزبائن عاديين وكان نجاح غريتا أن سعاتها لم ينقلوا مرة أي شيء يثبت عليهم جرماً ما. كما أنهم لم يقبضوا مرة ثمن خدماتهم في الحال. فقد كانت الأفلام الميكرو وثمن الخدمات تترك في سلال المهملات حيث تؤخذ بعد ذلك عندما يكون ذلك مأموناً.

هاتف «الصندوق الأسود»:

وفي شهر حزيران من عام ١٩٦٣ قبض على الكولونيل شتيغ وينير شتروم. ونشطت في الحال مكافحة الجاسوسية الإسكندنافية والإنكليزية والفرنسية للقضاء على التجسس في البلدان الإسكندنافية. فقررت غريتا تخفيف نشاطاتها والاحتراز في تحركاتها ونقلها للمعلومات فاستعملت الصحف لإعطاء عملائها ومخبريها التعليمات وذلك باستعمالها شيفرة متفقاً عليها. كما استعملت التلفون لنقل الرسائل المستعجلة، متخذة جميع الاحتياطات «كالصندوق الأسود». فقد استأجرت مكتباً باسم مستعار وطلبت خطين برقمين مختلفين، فأعطت رقماً لعملائها لإيصالهم الرسائل المستعجلة بواسطة الشيفرة المتفق عليها مسبقاً، وأبقت الرقم التالي سرياً ووصلت الخطين «بالصندوق الأسود» وعندما كانت ترتقب مكالمة من أحد العملاء كانت تطلب الرقم السري من كابين عمومي، بينما يطلب العميل الرقم الآخر فيتم الاتصال عبر «الصندوق الأسود» الذي كان يعمل بواسطة مؤقت أوتوماتيكي فيقطع المكالمة بعد دقائق معدودة، فقد كان يلزم لمكافحة التجسس سبع دقائق على الأقل لتتبع أية مكالمة، وهكذا حمت غريتا نفسها من أي خطر لتتبع المخابرات الهاتفية كما كان

الصندوق الأسود مهيئاً لأن يقطع الاتصال بين الهاتفين إذا ولج الغرفة شخص ما. كما أن غريتا كانت تغير الكابين العمومي في كل مرة تتصل فيها بالرقم السري.

وهكذا استطاعت غريتا متابعة عمليات التجسس مدة أربع سنوات بعد اعتقال الكولونيل شتيغ روينر شتروم. وفي عام ١٩٦٧ أثبتت التحقيقات مع الجاسوسية السوفياتية العامة في روما وتدعى انجلا ماريا رينالدي بأن ثمة جاسوساً روسياً يعمل في كوبنهاغن فأخطرت السلطات الداغاركية بذلك ولكن مكافحة التجسس الداغاركية لم تستطع الإمساك بأي خيط يوصلها إلى غريتا. ثم لما انحاز أحد كبار ضباط الـ «ك. ج. ب» الروسية إلى الغرب حمل معه مستندات كثيرة تتعلق بشبكات التجسس الروسية العاملة في الغرب. وكان واحد منها يختص بشبكة غريتا. وعلى الفور تحركت موسكو، وسافرت غريتا إلى العاصمة السوفياتية وتسلم عملاؤها إشارات التفرق والاختفاء كما أتلفت معدات غريتا التجسسية. وعندما أغار الحلفاء على متجر الهدايا لم يجدوا أية أدلة توحي بأنه استعمل للتجسس. ولولا اختفاء غريتا لما ظهر أي سبب للاعتقاد بأنها كانت جاسوسة.

ولا أحد يعرف أين تعمل الآن وبأية هوية.

عالم النساء :

العجائب والعادات

التقاليد والأمثال

مقدمة

منَ الذي قال: أن النساء كلهن سواء؟. . . .

إن لكل امرأة لوناً فريداً. . . وطعماً مُختلفاً. . ومذاقاً عجيباً. . ومزاجاً غريباً. . ومذهباً خاصاً. . ومعانٍ أخرى خفيت عن أن تصفها الألسن. . وتقوم بحصرها العقول. . وتعبّر عن شمولها أسنّة الأقلام بسحر البيان. . وجوامع المنطق. . ومختلف ألوان الأساليب. .

إن المرأة كائن ما كانت دائماً موضع اهتمام الباحثين من الأدباء والعلماء. . والفلاسفة. . والكتّاب. . والمفكرين. . والعباقرة. . والعظماء من القادة في كل وقت منذ بدء الخليقة. . وحتى يومنا هذا. . وإلى أن تقوم القيامة.

فلقد كانت المرأة. . ولا زالت. . وستظل وراء معظم أحداث الحياة. وحوادثها.

ولقد كانت المرأة أيضاً منذ قدم الوجود البشري سبباً في طرد آدم من جنان الخلد. . وقتل قابيل أخاه هابيل. . وفتنة ملكين من ملائكة السماء هما هاروت وماروت. . وسجن نبي الله يوسف. . واهتمام سليمان الحكيم بها. . وحيرة نوح العظيم. . ودهشة فرعون ورعبه. . واستئجار كليم الله موسى. . وإذلال شمشون عابد بني إسرائيل. . وتحطيم أنطونيو. . ونجاح وفشل نابليون. . وتنازل الملك إدوارد عن عرش إنكلترا. . .

نعم. . لقد كانت المرأة سبباً في فتنة الكثير من الأمم وإقامة الحروب. . وإشعال نيران الغيرة. . والحسد. . والبغضاء في القلوب. . .

لقد كانت المرأة سبباً في شقاء البشر. . وفي سعادتهم وفي خراب العمران. . وعمران الخراب. .

فهي الضعف الممزوج بالقوة. . والحنان الكامن في صورة القسوة. . والحب القريب من الكراهية. . والجمال الزائف بمر الزمن. . واللذة المُشتهاة بكل المرارة. . والبسمة الزائلة. . والفرحة المُحزنة. .

هي النور الذي يؤنس. . والنار التي تحرق. . هي الماء الذي يروي. . والطوفان الذي يغرق. . هي الهواء الذي يحيي. . والعاصفة التي تخنق. . هي

الطائشة المستهترة بكل القيم والتقاليد.. وهي الأم في أسمى عواطفها وأجلى معانيها.. هي السعادة بكل مسراتها.. والتعاسة بكل مضراتها.. هي الحياة بكل نبضاتها.. ومتناقضاتها...

ولقد كانت المرأة دوماً سبباً في الكثير من الأحداث والحوادث.. وستظل سبباً في الآتي منها.. ما بقي على الأرض من متنفس..

***

كيف خلقت المرأة؟

في الأساطير القديمة حديث رائع عن كيفية خلق الله للمرأة..

وهو حديث يفوق ببراعته، وبلاغته، ومعانيه الكثير من القصص التي تحدثت عن طبائع المرأة..

وتقول الأسطورة:

في البدء خلق الله العالم والسماوات والأرض، وما فيها، وما عليها.. ثم خلق الرجل...

ولما أراد صنع المرأة.. وجد أنه قد استنفذ في صنع العالم، والرجل جميع المواد والعناصر الصلبة التي كانت لديه...

وحينئذ غاص في تأمل عميق فيما ينبغي أن يخلق منه المرأة..

ثم ثاب من تأمله، واهتدى إلى أن أخذ من القمر استدارته.. ومن أشعة الشمس إشراقها.. ومن النجوم لمعانها.. ومن السحب دموعها.. ومن الأزهار شذاها.. ومن الورود ألوانها.. ومن الأغصان رقتها وتمايلها.. ومن الحشائش اهتزازها.. ومن النسيم رقته ولطفه.. ومن الأوراق خفتها.. ومن النبات ارتجافه وارتعاشه.. ومن الأمواج مدها وجذرها.. ومن النار حرارتها.. ومن الثلج برودته.. ومن المها عيونها.. ومن الأرنبة إجفالها.. ومن الحمام هديله.. ومن الكلب وفائه.. ومن صوت الكروان حلاوته.. ومن العسل لذاته.. ومن الماس صلابته.. ومن النمر شراسته وقوته.. ومن الراح نشوته.. ومن الذهب توهجه.. ومن الطاووس كبريائه.. ومن الكركي نفاقه.. ومن العصفور زقزقته.. ومن البلابل

تغريدها. . ومن الغزال نظراتها. . ومن الزواحف ملمسها الناعم. . ومن الحرباء تلونها. . ومن الحية حكمتها. . ومن الثعلب مكره وروغانه. . ومن العقرب لدغته. . ومن الزمن غدره وخيانته. . ومن اليمامة وداعتها. . ومن الببغاء ثرثرتها وهذيانها. . ومن الندى رطوبته. . ومن البنفسج أريجه. . ومن الربيع ابتسامته. .

ومزج كل هذه الأشياء بعضها ببعض. . وخلق منها المرأة، ثم أهداها إلى الرجل. . .

وبعد ثمانية أيام عاد الرجل وقال للإله: رب. . إن هذه المخلوقة التي أهديتها إلي. . قد حوَّلت حياتي إلى شقاء، وسعادتي إلى تعاسة، ومرحي إلى بؤس، وفرحي إلى يأس. . فهي ثرثارة لا يهدأ لها لسان، وتبكي بلا سبب، إنها مُستضعفة مُخيفة، ومطالبها لا حد لها، إنها تشكو من أقل شيء، وتتألم من كل شيء، وهي مُحتاجة إلى عناية دائمة، ورعاية لا تنقطع. . ومن ثم فقد جئت لأردها إليك، فلست أستطيع العيش معها. . فخذها وأرحني منها. . .

فتأمله الإله ملياً. . وقال: حسناً. . هاتها. . .

وبعد أسبوع أتى الرجل إلى الإله قائلاً: رب إني قد وجدت حياتي فارغة مذ رددت إليك هذه المخلوقة التي منحتنيها. .

إني لأذكر الآن كيف كانت ترقص أمامي في رشاقة الغزال. . وكيف كانت تغني لي بصوت العندليب. . وكيف كانت تلاعبني في خفة ومرح. .

إني لأذكر كيف كانت. . تبتسم لي. . فتجدد نشاطي. . وتضحك فتبدد همومي. . كيف كانت ترتمي بين ذراعي. . كيف كانت تحبب إلي الحياة. . كيف كانت تخفف آلامي. . وتمنحني لذة أحلامي. . فأرجعها إلي يا رب. . .

وأعاد الله المرأة إلى الرجل. .

وبعد ثلاثة أيام رجع الرجل إلى الخالق شاكياً باكياً. . وقال:

رب إني لا أستطيع التعرّف إلى كُنه هذه المخلوقة فكأنها سر مُغلق لا أملك مفاتيحه. . ولقد صممت أخيراً على ردها إليك غير آسف لأنها كالخمر ضررها أكثر من نفعها. . .

فأجابه الإله قائلاً: على رسلك أيها الرجل.. يجب أن تتدبر في أمرك...

فقال الرجل: لا يمكنني أن أعيش معها يا رب..

فأجابه الإله: ولا يمكنك أن تعيش بدونها.. (وتركه)..

فانصرف الرجل يائساً وهو يردد: واحيرتاه.. إنني لا أستطيع الصبر على مفارقتها.. ولا تسكن نفسي لمعاشرتها...

... وهكذا الأنثى.. في حياة معظم الرجال...

***

اوليات نسائية

* أول ملكة في مصر بنت الملك (أثريب)...
* أول امرأة حازت ميدالية الصحة الذهبية (مدام افريل سان كوري).. الفرنسية..
* أول سفيرة في العالم.. (مدام الكسندر كولنتاي) بحكومة السوفييت في النروج..
* أول امرأة عصامية في مصر (هيلانة عبد الملك)...
* أول محامية زنجية.. (السيدة ماريان بو).. في الولايات المتحدة..
* أول ممثلة اعتلت المسرح الانكليزي (مسز كلمان) في رواية حصار رودس سنة ١٦٥٦..
* أول محامية من السيدات في اليونان (ماريا ملابورارى).
* أول سيدة رشّحت للانتخابات البلدية في باريس (الآنسة لالولية).. سنة ١٩٠٧..
* أول امرأة عينت في أعمال السفارات (كلوت لد) في أوروغواي بروكسه ١٩١٢..
* أول امرأة بني لها زوجها أعظم مقبرة في العالم هي (تاج محل) بالهند السلطانة (نورجيهان).. سنة ١٦٣١.
* أول تمثال مصري تمثال الملكة (نفرتيتي).. زوجة الملك أخناتون..

* أول امرأة تلد بعد عملية جراحية حجراً طوله عشرة سنتيمترات.. اسمها (بخيتة) وكان جنيناً تحجَّر قبل أن يولد.

* أول امرأة تربح من قصتها (المسبحة) ٣٥٠٠٠ دولار.. وبيع منها ٣٠٠ ٠٠٠ نسخة في أول عام.. هي (مسز باركلي)..

* أول امرأة ماتت على المسرح ٣٠ ٠٠٠ مرة، وتجرعت السم ١٠ ٠٠٠ مرة، وألقت بنفسها في الماء ٧٠٠٠ مرة، وأطلقت على نفسها الرصاص ٥٨٠٠ مرة.. هي الممثلة (سارة برنارد).

* أول محامية (مارغريت براند).. وكذلك كانت أول من دفعت ضريبة، وأيضاً أول امرأة صوتت في الانتخابات.

* أول دبابيس شعر استعملت في العالم.. كانت عبارة عن جنازير، وقد استعملتها نساء الصين منذ ١١٢٤ لاعتقادهن أنها تحميهن من العيون..

***

عجائب نسائية

* أطول امرأة ذكرها التاريخ كانت (ماريانا فيدا)، وقد بلغ طولها ٢٥٥ سم.. وقد ماتت في برلين ولم تتجاوز السابعة من عمرها..
* الشيخة (زبيدة) طولها شبرين وعمرها ٤٥ سنة.. ولدت في قرية شابور في كوم حمادة..
* أنجبت امرأة (ماثيو بوير)، وهو أحد المزارعين المقيمين في يوغوسلافيا.. أنجبت ولداً كل عام ولمدة ٢٨ سنة، وهي محافظة على إتحاف بلادها بمولودها السنوي.. وكل أولادها على قيد الحياة..
* أكثر نساء العالم إنجاباً هي السيدة (فاسيليت)، فقد أنجبت ٦٩ طفلاً في ٢٧ عملية ولادة، منها ٤ ولادات بأربعة توائم، وسبعة ولادات بثلاثة توائم، وستة عشرة ولادة بتوأمين..
* المرأة الوحيدة التي أصبحت (جدة والد الجدة) هي بيتي هيلي من كاليفورنيا، وقد توفيت عام ١٩٥٦، ولها ٢٥٦ شخصاً من نسلها..
* امرأة تلد أولاداً على القاعدة التصاعدية في الحساب، وهي مدام

(دي مالدنير). . فقد ولدت في السنة الأولى ولداً واحداً. .

وفي السنة الثانية ولدين. .

وفي السنة الثالثة ٣ أولاد. .

وفي السنة الرابعة ٤ أولاد. .

وفي السنة الخامسة ٥ أولاد. .

وفي السنة السادسة ٦ أولاد. .

وقد توفيت هذه المسكينة بعد ولادتها السادسة. . ومَن لا يثق بهذا الخبر فليرجع إلى الدكتور «أمبرواز باديه» أشهر جرَّاح في فرنسا. .

* رزقت مدام (مونتجاست) الباريسية ١٧ ولداً من ١٤ زوجاً مختلفاً.
* ظلت السيدة (اليزابيت دالي) محتفظة برأس زوجها محنطاً على وسادة بعد موته مدة ٢٩ عاماً. . أي بعد وفاتها هي. . .
* **تزوج هيدو نجيمس من روما واحد وعشرين امرأة. . وكانت زوجته الأخيرة** لـ ٢٠ زوجا قبله. . وكان هو الزوج الحادي والعشرين لها. . وهي الزوجة الحادية والعشرين له. . .
* قطعت المحظية (ليون) الأثينية لسانها لتمنع نفسها عن إفشاء أسرار المؤامرة التي جرت بين (هيرموديوس) و(أرستوجيتوس). . وقد أقاموا لهذه المحظية تمثالاً على شكل (لبوءة) إكراماً لتضحيتها في مدينة أثينا. .
* لا شك في أن أتعس امرأة في العالم هي (فرانكفورت فرولين) فإنها قد خلقت ولها لسانين. . ولكنها لا تستطيع أن تتكلم كلمة واحدة. . لأنها خرساء. .
* تزوج (جون سنكلير) الاسكتلندي ثلاث نساء. . وكانت كل امرأة تلد له عشرة أولاد. . ولم تستطع واحدة منهن أن تميِّز عن الأخرى. . كان عدد أولاده ٣٠ في عام ١٨٦٠. . عام وفاته.
* من أعجب حوادث الولادة أن (صوفي بونن) زوجة أحد المزارعين في بروسيا. . قد ولدت ١١ ولداً في ١٦ شهراً . . وقد ولَّدها المولِّد الألماني المشهور الدكتور (غوتلوب).
* لما وجدت مسز (كوفاكس) أن أقاربها يعاملون قططها التي تحبها معاملة جافة أرادت أن تنتقم لقططها أغرب انتقام. . فأحرقت كل ثروتها قبل موتها بيوم واحد. . وقد كانت من سكان ڤيينا. .

* طلبت (صوفيا رياوولف) أن تحفر صورة زوجها على لسانها كالوشم. . لأنها هي التي تسبب في موته بتذمرها المستمر. .
* توفي خطيب مس (ماتيلدا جون) الانكليزية عام ١٧٩٥. . وتوفيت الخطيبة بعده بـ ٨٩ عاماً (مكسورة القلب). .
* امرأة من هنود أميركا ظلت ترقص لمدة ١٧٢ ساعة دون توقف.
* (ماجدلينا سترومرزوك) من توبولسك في روسيا. . كان ثدياها في ظهرها، ورضعت أولادها الثلاثة منها كالعادة. . وكتب عنها(د. لناترويكز) - الذي عالجها مراراً - في كتابه الذي نُشر سنة ١٩١٠. .
* فتاة مقلوبة الأعصاب في (بوردو) ذات أعصاب معكوسة، إذا امتلأ وجهها بالدموع عينيها تبرقان وتتلألآن سروراً، وإذا أبرقت أساريرها رأيت علامات الخوف في عينيها. .
* (أدرين). . امرأة ذات لحية كثيفة ظهرت في لونبارك في باريس. .
* امرأة تركت ٧٠ جنيهاً سنوياً للإنفاق على ٣ سمكات كانت تربّى في حوض منزلها، وامرأة أخرى تنفق ٢٠٠ جنيه على ببغاء. .
* امرأة من بلدة السودان ولدت بعد عملية جراحية حجراً طوله عشرة سنتيمترات وكان جنيناً تحجَّر قبل أن يولد. . .
* امرأة تُدعى (أدريان جويوه) من مونيس في بلجيكا تزوجت ٥٠ رجلاً وخطبت ٦٥٢ فتىً حسن الطلعة، ذات شعر ذهبي وقدٍّ رشيق ومظهر فتَّان. .
* وكان لامرأة ألمانية لحية يبلغ طولها ربع متر.
* مسز (جوزفين) في شيكاغو وضعت ١٤ ولداً في سبع سنوات. .
* ماتت في برشلونة امرأة عرجاء في ثروة كاملة، وأوصت بمبلغ ٥٠٠ فرنك لكل أعرج يمشي في جنازتها. .
* في برلين امرأة اسمها (فيا أليبا) تستطيع أن تكتب ٤ كلمات في وقت واحد. .
* يبلغ طول رموش (كاليسنج) عشرة سنتيمترات. وهي فتاة صينية حسناء. .
* تسلمت سيدة ألمانية من سكان هامبورغ نبأ وفاة زوجها الثاني في الميدان، وفي ذات الوقت عاد زوجها الأول الذي كان مفقوداً منذ سنة ١٩١٧. . بعد أن قضى ٣٠ عاماً في (سيبيريا). .
* **كانت «مرجريت» من بلمونت في فرنسا الوحيدة في العالم التي بلغت من العمر مائة**

وثلاثين سنة.. إذا لم يسبق لفتاة عجوز غيرها أن بلغت المائة.. فقد ولدت عام ١٧٨٤ وتوفيت عام ١٩١٤...

* عاشت سيدة في الأربعينات في مدينة بكنجهام بأميركا.. باسم (ماري كريسماس).. ومعناها (عيد ميلاد سعيد)...
* ولدت خمس فتيات لأسرة وود الأميركية.. وقد ولدن جميعاً في شهر يوليو من أعوام مختلفة..
* يمكن لمسز (سارة ويدن) ٨٥ سنة.. أن تقفز من فوق سور منزلها ٣ أمتار بخفة ورشاقة.. وكان ذلك في الثلاثينات..
* امرأة اسمها (ليديا سشا) في نيويورك تملك دجاجة لها ست أصابع في كل رجل.
* اشترك الأبناء الثلاثة لمسز (لويزا كلوت) وعمرها ٩٠ عاماً في ثلاث حروب.. فقد اشترك الأكبر في الحرب الأميركية الإسبانية.. والأوسط في الحرب العالمية الأولى.. والثالث في الحرب العالمية الثانية. أما زوجها فقد اشترك في حرب تحرير أميركا..
* بينما كان المشيعون يسيرون بجنازة الطفلة (ماري باين) البالغة من العمر ثلاثة أعوام، إذ بها تستيقظ من التابوت وتصرخ.. وتعيش مرة أخرى حتى بلغ عمرها ١١٠ أعوام...
* فتاة من قبائل (السدرا) الهندية في مدينة (جانجان) زوجوها الأهالي لخيال الشمس المنعكس على المياه لأنهم يقدِّسون أشعة الشمس المُنعكسة على الماء..
* يزيد عدد النساء في قبيلة (الأردز) بمنغوليا على عدد الرجال زيادة كبيرة جداً.. حتى أن الرجل الواحد تتزوجه خمس فتيات..
* في الأربعينات كانت (مسز أندرسون) تملك حذاء.. استعمله من أولادها ١٧ عاماً متتالية.. دون أن يبلى..
* كانت امرأة تُدعى (مسز جورج) البريطانية تملك شاة وأوزة نشأت بينهما صداقة وطيدة حتى باتتا لا تفترقان.

عادات وتقاليد نساء العالم

* عندما تلد المرأة.. الكبسيجية ـ وهي قبيلة تعيش على مرتفعات كينيا ـ تلزم كوخها ثلاثة أيام إذا كان المولود بنتاً.. وأربعة.. إذا كان ولداً.. ولستة أيام متوالية لا تستطيع لمس أي شيء بيديها، ولهذا فهي تتناول طعامها على طرف عصا وتحلق رأسها في اليوم السابع...
* في غانا.. ترفض النساء الحوامل أكل الثعابين ـ وهو مصدر رئيسي للبروتين ـ ذلك لخوفهن من أن يولد الطفل أبلهاً..
* وفي أنغولا الشرقية.. إذا ماتت المرأة عند الوضع فعلى الزوج أن يدفع تعويضاً لأهلها.. فإذا تعذر عليه ذلك أصبح عبداً لعائلة زوجته...
* وفي أهانتا ـ إفريقيا الغربية ـ حتى عهد قريب جداً.. كان الطفل العاشر الذي يولد لنفس المرأة.. يدفن حياً..
* وفي القانون الألماني القديم.. كانت المرأة التي تقتل أحد أطفالها تدفن حية مع كلب في جوال فيه قط وأفعى وديك..
* وفي أميركا الشمالية.. كانت تُعامل الفتاة الهندية الأباشية عند أول بلوغها معاملة غريبة من نوعها.. إذ يعتبر الطمث الأول مصدراً للبركة فوق الطبيعة.. فيمر الكهنة ركوعاً أمام صف الفتيات الصغيرات، وقد جاءهن أول طمث ليتقبلوا منهن البركة من ملامستهن لهن.. كما يجيء الأطفال والمسنون بالضرورة وكلهم اعتقاد في شفائهم من أمراضهن على أيدي هؤلاء الفتيات..
* وفي تقدير بعض الصينيين.. أن المرأة التي تظهر بوجهها في لونه الطبيعي تُعد امرأة ذات سمعة سيئة، فكلما تراكمت الزينة الصناعية على وجهها.. اعتبرت المرأة أكثر عفة.
* وفي بلاد الكلدان ـ جنوب العراق الآن ـ كانت المرأة الزانية تُساق إلى الشارع ـ وقد غطى حقواها فقط بقطعة من القماش لتصبح بعد ذلك تحت رحمة المارة...
* وفي الهند.. تزحف العروس من قبيلة (تودا) في جنوب الهند على يديها وركبتيها حتى تصل إلى عريسها.. وينتهي هذا الطّقس بأن يضع العريس قدمه على رأس العروس..
* من العادات الشائعة في (بابو) ـ غينيا الجديدة ـ أن تخوض الفتاة الماء ـ بعد أن

تتـأكد من أن حبيبهـا قريب منهـا في مكان مـا ـ وتخلع عن جسمها آخـر (جونلة) قشية. . ويتم طلب الزواج عندما يقدم لها حبيبها جونلة جديدة. . .

* وكان في جنوب أستراليا. . تعتبر الفتيات أن الشرف يتطلب أن يُلقِى الرجـال بهن أرضاً فيفقدن الوعي من شدة الصـدمة، ثم يحملن الـرجال الـذين يصبحون بعـد ذلك أزواجاً لهن. . وإذ أنهن يقعن ضحيـة للعنف بهذه الصـورة، فلا حـاجة بهن إلى الخجل. .

* وفي جـزيرة تـاهيتي. . فإن المرأة تضع خلف الأذن اليسرى زهـرة عيد الـربيع. . وذلك إذا كانت تبحث عن صديق. . أما إذا وضعتهـا خلف الأذن اليمنى. . فإنها بذلك تبحث عن عريس.

* وفي (بورما) كان من أغرب عادات نساء قبائل (الكاوري) أن المرأة تـتزوج وتطلق في نفس اليـوم. . فإذا ظلت مقيمـة على حب زوجهـا بعد خمس سنـوات. . ألغي الطلاق. . وعادت إليه. . .

* وفي (ألبانيا) ترتدي النساء الأرامل ملابس بيضاء اللون. . في حالة الحداد. . .

* ونساء (سابو) بولاية (مانيسور) بالهنـد. . هن أغلى الـزوجات في العـالم كله. . إذ يجب أن يتكرر دفع ثمن الواحدة منهن كل عام. . .

* وفي جزيرة (موباسا) بالصومال قانون ينص على أن كل فتـاة يجب أن يطلب يـدها رجـلان. . ويتقـابـل الإثنـان في صراع مميت. . ينتهي بـأن يفـوز المنصر بيـد الفتاة. . .

* وفي (فنـدهار) بـأفغانستـان. . تعمد الـزوجات الـراغبـات في إنجـاب الأولاد إلى الصعـود إلى جامـع (شهل شـين) أي الأربعين درجـة. . وللزوجة التي تـرغب في إنجاب فتاة أن تصعد السلم، وتنزل عليه مائة مرة. . أما التي ترغب في الحصـول على ولد. . فلا بد أن تصعد الدرج وتهبط خمسين مرة على ركبتيها. .

* وفي (قبيلة فـاكليجا) الهنـدية. . لا تستـطيـع أيـة فتـاة أن تـتزوج إلا إذا أحضرت لزوجها المقبل عقلتين من إصبعـين من يد أمهـا اليمنى. ويُعد هـذا بمثابـة قبولهـا للزواج. . .

* وفي قبيلة (تودا) بالهند أيضاً. . لا يسمـح للمرأة بأن تحلب البقرة. . وعقـاب من تُخالِف ذلك. . هو الموت. . لاعتقادهم بأنها مقدسة .

* وفي جـزر (اندمـان) بأمـيركا عـادة غريبـة جداً. . وهي أن تحمـل النساء الأرامـل جماجم أزواجهن على ظهورهن حتى يتزوجن. . .

* وفي الصين.. وضعت امرأة طفلتها الأولى.. وهي في سن الثامنة فقط...
* (كالي شنج) امرأة من الصين كان يبلغ طول أهدابها عشرة سنتيمترات.
* احتفظت امرأة (وولتر رالي) برأس زوجها المحنّط لمدة ٢٩ عاماً بعد وفاته..
* **تزوجت (مارجريت كريستي) بمدينة (توكسفيل) بولاية تينسي ثلاث مرات.. وأنجبت ولداً من كل زوج.. وفي كل مرة كان الإبن يولد بعد وفاة الأب..**
* وفي جزر (هبريدا) الجديدة.. على المرأة أن تنتحر اختناقاً.. إذا مات زوجها.. وذلك بأن تقبع داخل عباءة لا ينفذ إليها الهواء.. حتى تموت..
* وفي إقليم (تشيا) بالصحراء الكُبرى.. يجب على المرأة التي لا تلد.. أن تحمل حجراً زنته ٩ كيلوغرامات على رأسها.. إلى أن تلد ولداً..
* وفي إقليم (موسكات) بشبه جزيرة العرب.. ترتدي المرأة نقاباً مصنوعاً من الصلب.. حتى تتذكر دائماً أنها أسيرة زوجها..
* وفي قبيلة (جارو) بالهند.. تتباهى النساء بعدد الأقراط التي يضعنها في آذانهن.. وهن يعتقدن أن في وسعهن الهرب بأرواحهن إذا ما أقبلت الشياطين للاستيلاء على هذه الأقراط..
* وفي (الهند الصينية) لا تعتبر المرأة كاملة الزواج.. إلا إذا أنجبت عشرة أولاد على الأقل..

***

هكذا.. كانت مهورهن

كانت مهور النساء في الماضي القريب من أغرب وأعجب العجائب.. وقد يجوز بعضها للآن تجري عاداته..

ففي الأيام اليهودية الأولى: كان الرجل يخدم أبا الفتاة التي يرغب في زواجها سنين معدودة، فإذا أتم خدمته فاز بيد عروسه. وهكذا تزوج بعض الأنبياء.

وعند الهنود الحمر في أميركا الشمالية: مهر العرائس رؤوس الخيل..

وعند بعض قبائل إفريقيا: فإن آباء الفتيات يتناولون مهورهن غنماً، وجلود فهود.

وعند فقراء بعض الصينيون: يدفع العريس مهر عروسه طعاماً..

وفي ولاية كانتون في الصين أيضاً: لا بد أن يقدم العريس لأبي العروس قبل الخطوبة

هدايا جمة، وبعد ذلك يقدم له هدية خطوبة وهي: ديكان، وجرتان من النبيذ، وأربعة خنازير، وعشر سمكات مملحات، وكيس قمح.

وعند قبائل الزولو: يدفع الزوج ثمن زوجه ثورين.. أو ثلاثة.

وعند زنوج ساحل الذهب في غرب إفريقيا: يدفعون مهور عرائسهن زجاجتين من الخمر.. بدلاً من البقر.

وكان الخطاب عند قبائل الجرمان القديمة: يدفعون مهور عرائسهن ذهباً، وفضة وماشية وأرضاً.

وعند قبائل «ماندي» بالباكستان: يدفع مهر العروس على سعر الرطل بعد وزنها ريالاً.. ووالدها يأخذ قيمة ثمنها بعد ذلك.

***

الأحسن والأغرب.. في النساء

قيل إن:

* أتقن السيدات في الطبخ (الفرنسيات)...
* أغنى عروس (ابنة روكفلر)...
* أشهر راقصات (الروسيات)...
* أجمل نساء أوروبا (النمساويات)...
* أغنى امرأة (بدت كروب).. صاحبة معامل كروب في ألمانيا...
* أغلى جراب لإحدى الراقصات بانكلترا ثمنه ٢٠٠ ٠٠٠ جنيه..
* (أبان سوزوكي) أغنى امرأة في اليابان..
* أسمن امرأة في العالم (ألين فون) تزن ٦٢٠ رطلاً..
* أقبح امرأة عرفها التاريخ الدوقة (مارجريت) عاشت من سنة (١٤٦٦ - ١٥٣٠).
* أبرع سيدة في الشطرنج الروسية (فيراماتشي) تلاعب ١٢ لاعباً في آن واحد.. وتفوز عليهم..
* أثمن حجر من الياقوت يزن ٢٢٠ قيراطاً مثل بيضة الحمام.. هدية ملك السويد إلى (كاترينا) أمبراطورة روسيا..

* أعظم محل هندسي نُسب إلى امرأة.. ضريح منلاوس.. إحدى عجائب الدنيا السبع.. (في العصور المتوسطة)..
* أقدم ملكة في العالم هي الملكة (شبادا) ملكة (أور) عاصمة الكلدانيين منذ ٥٥٠٠ سنة قبل هجرة إبراهيم الخليل إلى فلسطين..

***

من الأمثال العالمية في المرأة:

أمثال انجليزية

* المرأة.. شعر طويل.. وعقل قصير..
* من تزوج امرأة لها ثلاث بنات.. تزوج أربعة لصوص.
* إذا علم الرجل بما يفكر فيه النساء.. فقد تزيد جرأتهم مائة مرة..
* ثلاث لا يعول عليهن: صحة الحصان، وكلمة المرأة، وصحبة الطفل..
* لا سلاح للمرأة.. إلا لسانها..
* إحذر مقدم المرأة.. ومؤخر البغل.. وجميع أنحاء الكاهن..
* ثق بكلبك على طول الخط.. ولا تثق بالمرأة إلا في المرة الأولى..
* المرأة للرجل.. أما إله.. وأما ذئب..
* تضحك المرأة في وجهك.. ثم تقطع زورك..
* الحمقى حكماء في شؤون النساء..
* النساء والجسور.. تحتاج دائماً إلى ترميم..
* يجب ألا تؤرخ: النسوة.. والموسيقى إطلاقاً..
* النساء قديسات في الكنيسة.. وملائكة في الطرقات.. وشياطين في المطبخ.. وقردة في المخدع..
* قد تنسى النساء.. ويقسو الأطفال..
* لا يستطيع الخير والنساء أن يطبخا.. ولكن الشر والنساء يستطيعان..
* تنمو النساء إلى جانب الحائط المشمس..
* النساء أحكم من الرجال في وقت المحن..
* النساء.. شر لا بد منه..

* إذا جلست امرأتان معاً.. احدثتا طقساً بارداً..
* المرأة.. مفتاح كل بيت..
* نذور الرجال.. خيانة النساء..
* ثلاثة لا تغني ولا تسمن من جوع.. الكهنة، والدجاج، والنساء..
* المرأة الجميلة.. والعبادة الطويلة.. تجدان دائماً مسماراً ما.. في الطريق..
* لا تجني المرأة.. إلا ما نجهله..
* من ملك امرأة.. فقد ملك ثعباناً..
* المرأة القبيحة مرض للمعدة.. والمرأة الجميلة وجع للرأس..
* المرأة ملاك في العاشرة من عمرها.. وقديسة في الخامسة عشرة.. وشيطانة في الأربعين.. ومنجمة في الثمانين.
* من لا يحب امرأة.. فقد ابتلع خنزيراً..
* تحمل المرأة القذرة دائماً طلاسة في جيبها..
* بعد سن الثلاثين يبدأ الرجل يفكر في أمر النساء.. أما قبلا فإنه يشعر بهن فقط..
* آخر ما يموت في الرجل قلبه.. وفي المرأة لسانها..
* تظهر شيخوخة الرجل عندما يشعر بها.. أما المرأة فحسبها تظهر..
* من المؤسف ألا يحسن معاملة الزوجة.. إلا الأعزب..
* كثيراً ما تلهمنا النساء بمشروعات عظيمة.. ثم تمنعن فيها بعد عن تنفيذها..
* جميع الوارثات جميلات.. طبعاً لأن الثروة تجلب العرسان..
* هنا ترقد امرأتي.. لنتركها ممددة.. إنها مرتاحة، وأنا أيضاً مرتاح..
* إذا أردت أن تعرف سن امرأة.. فاسأل عديلتها..
* الزوجة الصالحة لن تبحث عن ابنتها في الفرن.. إلا إذا كانت أيضاً قد ذهبت إليه..
* بين الزوجة الصالحة والطالحة.. ساعة من النهار..
* الزوجات سيدات الشبان.. وممرضات الشيوخ..
* تزوج الأرملة.. قبل أن تهجر الترح..
* من لا يرفع دبوساً.. يستخف بزوجته..
* ثلاث قد يخدع فيها الناس: الجود.. الشعر المستعار.. والزوجة..

* الرجل الذي يقول لزوجته كل شيء. . لا يزال حديث الزواج بها. .
* لزام على الرجل أن يختار زوجة من وستمنستر، أو خادمة من كنيسة سانت بول، أو جواداً من سمث فيلد. . . وإلا فإنه يختار ملكة، أو وغداً، أو جواداً حروناً.
* من يقطع طريقاً طويلاً لأجل زوجة. . فأما أنه مخدوع، أو يهدف إلى الخداع. .
* من يحتفظ بزوجة. . كمن يحتفظ بقرد. . فهو مسؤول عن أذاهما. .
* ضمان ممتلكاتك في البيت الضيق ذي الزوجة القبيحة. .
* المرأة التي تجري، لا ينقصها الملاحقون. . لأن الرجل يهوي الغزو. .
* ثلاثة أمور لا أفهمها: الفن. . الموسيقى. . النساء. .
* أقوى قوة مائية في العالم. . هي دموع النساء. .
* هناك ثلاث مراحل للنساء المسنات: كبيرتنا العزيزة. . فالمرأة العجوز. . فالغولة. .
* لا ورد بلا شوك. . ولا امرأة بلا دبابيس أو أبر. .
* تسامح المرأة فقط. . عندما تشعر بأنها مخطئة. .
* عندما تكون النساء فضيلات. . فليس هذا دائماً حباً في الفضيلة. .
* إذا كانت امرأة ذاهبة للمشنقة. . فقد تطلب مهلة لتزين نفسها. .
* المرأة الجميلة. . جنة للعيون. . ومطهر للجيب. . وجهنم للروح. .
* عقلية المرأة أنظف من عقلية الرجل. . لأنها كثيراً ما تغيرها (آراؤها متقلبة). .
* عدم إدراك المرأة الحاضر. . نتيجة لعدم التفكير طيلة ملايين من السنين. .
* جميع فساتين النساء. . ما هي ألا متنوعات في صراع بين المصرح لبسه والغير مسموح خلعه. .
* عندما تصبح المرأة عالمة. . لا بد أن يكون لها داء في جنسها (لأنها لا تفكر عادة إلا في أنوثتها). .
* عندما تؤلف المرأة كتباً. . فإنها ترتكب خطأين. . : أولاً: تزيد عدد الكتب. . وثانياً: تقلل من عدد النساء. .
* يجب أن نرى النساء محليات. . كي نتخيل انهن آلهات جمال. .
* لا تعتبر رفض المرأة جدياً. . إذ أنها لو رفضت الآن فإنها قد تقبل فيها بعد. .
* يهوي الرجل أمرين: اللهو والمخاطرة. . وهو يحب المرأة لأنها أخطر لعبة. .

* من الصعب أن تقنع امرأة بأن حتى الشروة اللقطة.. ثمنها فلوس (عدم إدراكها للواقع)..
* الأرملة الغنية تبكي بعين.. وتفرح بالأخرى..
* خلق الله الرجال ليكذبوا.. والنساء ليصدقوهم..
* هناك امرأة أكثر إثارة للسخط من أن زوجة تعرف الطهي ولا تمارسه.. وهي تلك التي لا تعرف الطهي وتمارسه.
* لامرأتي أهواء من حديد..
* حب المرأة دائماً أعمى..
* ثلاث أمور لا تعيرها: حصانك.. كتابك.. وامرأتك..
* أجمل امرأة في العالم.. لا يمكنها أن تمنحك أكثر مما لديها (جمالها).

* * *

أمثال رومانية

* أنك لن تجد أباً وأماً ثانياً.. ولكن تجد زوجات كما تشاء..
* من ضرب زوجته.. ضرب رأسه، ومن ضرب بغلته.. ضرب كيسه..
* خيمة بلا زوجة.. ربابة بلا وتر..
* النساء يتعلمن البكاء.. ليكذبن..

* * *

أمثال برتغالية

* المرأة التي تحب اثنين.. تخدم كلاهما..
* ما الزواج يا والدتي؟.. الزواج يا ابنتي هو الغزل.. والحمل.. والبكاء..
* الأم النشيطة.. تجعل ابنتها كسلانة..
* المرأة الزرقاء العينان في البرتغال.. خطأ في الطبيعة..

* * *

أمثال أوكرانية

* امرأتان.. سوق.. وثلاثة، مولد..
* لا تثن على زوجتك.. قبل سبع سنوات..
* الزوج.. قانون زوجته..

* * *

أمثال هندية

* إذا أردت اختبار الذهب.. فحكه، أو قوة الثور، فحمله، أو خلق الرجل، فاستمع إليه.. أما إذا شئت اختبار فكر المرأة.. فلا سبيل إلى ذلك..
* لا تكف المرأة عن الكلام.. إلا لتبكي..

* * *

أمثال جماعة الباسك

* أشبع نهم الكلب بعظمة.. المرأة بأكذوبة..
* لا بد من اختيار الذهب.. والمرأة.. والكتان.. في وضح النهار..
* حذار من النساء ذوات اللحى.. والرجال عديمي اللحى.

* * *

أمثال اسكوتلندية

* من طعن في زوجته.. طعن في شرفه..
* إن ابني.. ابني.. إلى أن يتزوج، وابنتي.. ابنتي.. طوال حياتها..

* * *

أمثال فرنسية

* إذا فهمت الرجال.. فادرس النساء..
* المرأة.. ضرر لازم..

* لا أصعب من أن تجد بطيخة طيبة.. وامرأة طيبة..
* المرأة، والمال.. يضيعان الرجل..
* الأم وبناتها الثلاثة.. يكونون أربعة شياطين للأب..
* من يعتقد في امرأته.. يخطىء، ومن لا يعتقد.. يخطأ..
* الرجل هو النار.. والمرأة هي الحطب.. وإبليس هو الهواء..
* الهواء، والحظ، والمرأة.. كلها تتغير.. كالقمر..
* امرأة طيبة.. وبغلة طيبة.. حيوانان خبيثان..
* أن من يصفي أعمال المرأة كمن يغربل الدقيق.. فيذهب الصالح، ويبقى الفاسد..
* أن من يأوي خنزيراً.. أو امرأة.. لا يمكن أن يقال عنه أنه يعيش بلا ألم..
* المرأة مثل قطعة الشواء.. كلما زدتها ضرباً.. ازدادت ليناً..
* خلقت المرأة لكيس الرجل..
* المرأة صابون الرجل..
* لو عرفت المرأة قيمة التفاحة.. لما أعطتها لأحد..
* سلاح المرأة لسانها.. فكيف تدعه يصدأ بعدم الاستعمال..
* ثلاثة حلل على النار.. تدل على فرح، وثلاثة نساء بالمنزل تدل على مأتم..

* * *

أمثال ايرلندية

* المرأة.. تغلب الشيطان..
* لن يحطم ايرلندا سوى عظمة الكهنة.. وكبرياء النساء..
* اثنان يجلبان سوء الحظ في الدار.. الدجاجة الصائمة، والمرأة الشاحبة..
* حيث البقرة.. تجد امرأة.. وحيث المرأة.. تجد ضجراً.
* أينما تذهب.. فاصحب معك امرأة..
* الخنزير أقل فطنة من العنزة.. أما المرأة فتفوق الجميع.
* سل المرأة مرة أو مرتين، فإن لم تأخذ بوجهة نظرك.. فاقتنع أنت.. بوجهة نظرها..

* لا عذر للمرأة.. بدون طفل..
* لا تباري الريح عقل المرأة عند الاختيار بين رجلين..
* تتحسن النساء بعد التعنيف..
* أينما توجد الأوز.. توجد القوفاء.. وأينما توجد النساء، توجد ثرثرة..
* ثلاثة أنواع مس الرجال لا يفهمون النساء..: الشبان، والشيوخ، والكهول..
* تزوج امرأة من السهل.. فأنت تتزوج السهل كله..

* * *

أمثال ألمانية

* أم الزوج.. شيطان الزوجة..
* الأرملة سياج واطىء.. يتسلقه كل إنسان..
* عندما يتزوج الشيخ امرأة صغيرة.. يضحك الشيطان..
* من تزوج امرأة غنية.. باع حريته..
* من أحب زوجته حقاً.. تركها في البيت..
* ما لا يقدر عليه الشيطان.. تقدر عليه المرأة..
* رجل بلا امرأة.. رأس بلا جسد، وامرأة بلا رجل.. جسد بلا رأس..
* المرأة.. شيطان الرجل..
* الشيطان يكفيه عشر ساعات ليخدع رجلاً.. والمرأة يكفيها ساعة واحدة لتخدع عشرة شياطين..
* امرأة بلا رجل.. حديقة بلا سياج..
* تحمل الفتاة الجميلة مهرها.. في وجهها..
* العروس الباكية.. زوجة ضاحكة، والعروس الضاحكة.. زوجة باكية..

* * *

أمثال يونانية

* المرأة أما أن تحكم.. أو تخدم..
* لا تثق بالمرأة.. حتى وإن ماتت..

* أما أن تحب المرأة.. أو أن تكره..
* لا شيء أسوأ من المرأة.. حتى ولو كانت خير النساء..
* يجلب الصمت. الحكم للنساء..
* على المرأة أن تقف دائماً.. إلى جوار المرآة..
* خير ما يمتلك الرجل امرأة طيبة.. وأسوأ ما يملكه امرأة شريرة..
* تجلب المرأة للرجل أعظم بركة.. وأكبر هلاك..
* المرأة بطبيعتها: مبذرة.. متلافة..
* وعود المرأة.. تكتب على صفحات الماء..

* * *

أمثال لاتينية

* من له بيت هادىء.. ليست له زوجة..
* الشيطان نفسه لا يعرف أين تشحذ النساء سكاكينهن..
* النساء الجريحات.. لا يرحمن عادة..
* ثلاثة ملعونة في البيت: الشح.. والدخان.. والمرأة الشريرة..
* متى تجهر المرأة بالسوء.. فهي أمينة على الأقل..
* عندما تفكر المرأة بعقلها.. فإنها تفكر في الأذى..
* عندما تستحي الشمطاء.. تصبح لعبة الموت المفضلة..

* * *

أمثال أسبانية

* بالعينين تطلب المرأة.. وتأخذ.. وتكره.. وتقتل..
* حب الفتاة.. ماء في سلة..
* من تزوج امرأة لحب.. عاش مهموماً..
* أحسن حظ الإنسان وأسوأه.. امرأته..
* من العبث: أن تراقب امرأة سيئة..
* المرأة كظلك.. اتبعها تهرب، وأهرب منها تتبعك..

* لا تثق بالمرأة الصامتة، ولا بالكلب الذي ينبح..
* طبيعة النساء: أن يزدرين من يحبهن.. ويحببن من يزدريهن..
* النساء والزجاج.. دائماً في خطر..

* * *

أمثال بولندية

* كل آدم.. يجد حواء..
* مراقبة برغوث.. أسهل من مراقبة امرأة..
* ابتلع الشيطان امرأة.. فلم يستطع أن يهضمها..
* امرأة واحدة في البلد.. تحدث جلبة أكثر من مائة رجل..
* لا تثق بالكلب النائم، ولا باليهودي إذا اقسم، ولا بالسكران الذي يصلي.. ولا بالمزأة إذا بكت..

* * *

أمثال صينية

* النساء كالحكام.. قلما يجدن أصدقاء مخلصين..
* يستطيع الرجل أن يحمي المرأة من كل رجل.. إلا نفسه..
* المرأة الحقة.. هي التي لا تنصت.. ولا ترى.. ولا تسمع..
* أضرب المرأة في الصباح.. ولا تنس أن تعيد ضربها في منتصف النهار..
* المرأة كالبساط.. كلما ضربته بالعصا... تخلص من الغبار العالق به، ونظف..
* إذا اجتمعت امرأتان.. فلن يكف لهما حديث، وإذا اجتمعن ثلاثة، فلن ينقطع لهن شجار..
* أذا أخفق الشيطان في التسرب إلى مكان.. أوقد امرأة..

* * *

أمثال روسية

* الكلب أعقل من المرأة. . لأنه لا ينبح على سيده. .
* ما تجهله الفتاة. . يزينها. .
* عندما تولد البنت. . تبكي الجدران الأربعة. .
* لا تحب الفتاة لصغرها. . ولا تطردها لكبرها. .
* للمرأة سبعة وسبعون رأياً. . في آن واحد. .
* غالباً ما تشكو المرأة بدون سبب. . وتكذب عمداً. . وتضحك سراً. .
* الحرية تفسد. . حتى الزوجة الصالحة. .
* أضرب زوجتك قبل الغداء. . وقبل العشاء. .
* كل رجل. . ابن امرأة. .
* زوجة الجندي. . لا زوجة، ولا أرملة. .

* * *

أمثال إيطالية

* ابتسامات المرأة الجميلة. . دموع الكيس. .
* جمال السماء في نجومها. . وجمال المرأة في شعرها. .

* * *

أمثال ويلسية

* نصيحة المرأة قليلة الجدوى. . والويل لمن لا يعمل بها. .

* * *

أمثال فنلندية

* اشترى من بيت الغني جواداً. . ومن بيت الفقير زوجة.

* * *

أمثال بلغارية

* لا بيت.. حيث لا امرأة..
* لا تثق بشمس الشتاء.. ولا بقلب المرأة..
* بيت بلا امرأة.. بئر بلا دلو..

* * *

أمثال سويدية

* قلب المرأة يرى أكثر من عيون عشرة رجال..

* * *

أمثال ألبانية

* لا شجار.. بلا امرأة..
* إذا لم تطع أمك.. فستطيع زوجة أبيك..
* المرأة المغنية.. في حاجة إلى زوج..

* * *

أمثال ليفونية

* من ضرب امرأته.. ضرب جواده..

* * *

أمثال دانمركية

* الزوج الأصم.. والزوجة العمياء: هما أسعد الأزواج
* من يتناول الابن بيديه.. يتناول الأم بقلبه..

* * *

أمثال لاتفيا

* الزوج رأس امرأته.. والزوجة مفتاح زوجها..

* * *

أمثال جورجية

* أسلحة المرأة الحادة.. دموعها..

* * *

أمثال يابانية

* تظل المرأة (جنة) ما دمت تقف على أبوابها..
* الشيطان أستاذ الرجل.. وتلميذ المرأة..
* ثق بأمرأتك.. ما دامت أمك تراقبها..

* * *

أمثال هنغارية

* انظر الأم.. وتزوج الأبنة..

* * *

أمثال بولونية

* الربيع: عذراء.. والصيف: أم.. والخريف: أرملة.. والشتاء: زوجة..

* * *

أمثال سلوفاكية

* المرأة الجميلة.. تحتاج إلى ثلاثة أزواج. واحد ليدفع ديونها.. وواحد لتحبه وواحد ليضربها..

* * *

أمثال تشيكية

* إذا أردت أن تخفي مالك.. فلا تخفه تحت لسان المرأة..
* من ضرب زوجته.. ضرب شماله بيمينه..
* المرأة الألمانية في الاسطبل.. التشيكية: في المطبخ.. الفرنسية:... في الفراش..
* لا تستند إلى الجدار المائل.. ولا إلى المرأة..

* * *

أمثال بوسونية

* النساء والقطط.. كلهن سود في الظلام..
* سيدة البيت الحقيقية.. عبدة وسيدة في آن واحد..

* * *

أمثال صربية

* من الصواب أحياناً.. أن تطيع المرأة العاقلة..
* للمرء فرحتان: فرحة عند زواجه.. وفرحة عند دفن زوجته..
* لا يبني البيت على الأرض.. بل على المرأة..
* السر الوحيد الذي تحتفظ به المرأة.. هو ما لا تعلمه..

* * *

أمثال هولندية

* تستطيع المرأة بمأزرها أن تخرج من البيت.. أكثر مما يستطيع الرجل أن يجلب إليه بعربة الشعير..
* المرأة.. تأكل الحنظل..
* متى تصنع النساء الخبز.. ويقمن بالغسيل.. فإن الشيطان يكمن في أجسامهن..
* عندما يكون بالمنزل امرأة حسنة.. يضحك المرح من النافذة..

* * *

أمثال أستونية

* رأس المرأة.. والدجاجة.. سواء..
* لا تفهم المرأة.. ما يراه الرجل في الرجل..
* البنت بغير إبرة.. كالقطة بغير مخلب..
* الزوجة.. قفل الرجل..
* المرأة لا تثنى على المرأة..
* أطراف أنامل الطفل.. تؤلم قلب الأم..
* يدوم حب الأب إلى اللحد.. أما حب الأم فسرمدي..
* لا تثنى المرأة على الرجل..
* حجر الأم.. آمن من فراش الورد..
* لا تسير الحصان.. ولا المرأة بلا أعنة..
* إذا ماتت الأم.. أصبح الأب أعمى..
* إذا أردت أن يذاع أمر.. فافشه إلى زوجتك..
* الزوجة تفسر حياة الرجل..

* * *

أمثال بلجيكية

* يخرب البيت ثلاثة: زوجة شابة.. وخبز جديد.. وخشب أخضر..
* لا يجب على أيدي المرأة أن تفعل شيئاً.. أكثر من فم حصان..

* * *

أمثال شرقية

* لو تعلق قلبك بامرأة: لذهبت حياتك..
* يختبر الذهب بالنار.. وتختبر المرأة بالذهب..
* النساء.. حبائل الشيطان..
* لم تنه المرأة عن شيء قط.. إلا فعلته..

* طاعة النساء.. دليل على اقتراب الساعة..
* من أطاع عروسه.. فقد أضاع نفسه..
* خالف النساء وهواك.. وافعل ما شئت..
* المرأة سياج النعمة.. أو سلاح النقمة..
* دموع المرأة.. دليل كذبها..
* المرأة لعبتها الرجل..
* النساء ناقصات عقل ودين..
* مال المرأة في عفتها، ووداعتها..
* غيرة المرأة.. مفتاح طلاقها..
* حلية الرجال: الأدب.. وحلية النساء: ما يلبسونه .
* إياكم ومشورة النساء..
* لا وفاء.. للمرأة..
* اثنان في خطر.. النساء، والزجاج..
* نساء الدنيا.. أحسن من الحورالعين..
* لا تثق بالمرأة وإن اتقت.. ولا تغتر بالمال وإن كثر..
* إن النساء شقائق الأقوام..
* عار النساء.. باق..
* كالمرأة الثكلى.. والحبة على المقلى..
* المرأة فراش.. فاستوثروه..
* المرأة الشريرة.. غل من حديد..
* حلى الرجال الأدب.. وحلى النساء الذهب..
* رائحة النساء لا تغذي.. وقسوتهن لا تنسى..
* خفة رأس المرأة.. تثقل قلب الرجل..
* اليسار.. مفسدة النساء..
* المرأة لا يحسن الظن بها، وكل فن لا يؤخذ إلا من أهل ذلك الفن.
* ثلاثة تكدر صفو العيش: جار السوء.. والولد العاق.. والمرأة الخائنة..
* ما أشق على المرأة أن تكتم سراً..

* لأن يدير الرجل مملكة.. أيسر من أن يدير امرأة..
* رب حسناء مردودة.. وخرقاء محسودة..
* إنما الشؤم في ثلاثة: الفرس.. والدار.. والمرأة..
* خير مساجد النساء: عقر بيوتهن..
* من يطلب الحسناء.. يعطي مهرها..
* لا تخطب المرأة لحسنها.. بل لحصنها..
* المرأة عمران البيت.. وخرابه..
* تميز المرأة عن الرجل بعينيها.. ويتميز الرجل عن المرأة بعقله..
* المرأة الحسناء: نعيم العيون.. ومطهر الجيوب.. وجحيم القلوب..
* متى تكلمت المرأة.. فاسمع إلى ما تقوله عيناها..
* المرأة ريحانة.. وليست قهرمانة..
* ثلاثة نساء ودجاجة.. يتألف منهن سوق..
* المرأة كالحرباء.. تتلون كيفما شاءت..
* ذل من أسند امرأة على امرأة..
* الغدر، ومطاوعة النساء.. يؤديان إلى الغرم الثقيل..
* من كان لديه زوجة جميلة.. يحتاج إلى أكثر من عينين..
* استشر زوجتك دائماً.. ثم نفذ ما تراه أنت..
* الزوجة المواسية.. عون الرجل على دينه..

* * *

أمثال عامية مصرية

* أكفي القدرة على فمها.. تطلع البنت لأمها..
* البنت لعمتها.. والواد لخاله..
* الوليه.. مكسورة الجناح..
* اللي معاه أمه.. ما تحمل همه..
* ابنك على ما تربيه.. ومرأتك على ما تعودها..
* أهل الراجل مكروهين.. وأهل المرأة محبوبين..

* أكسر للبنت ضلع . . يطلع لها اثنين . .
* اللي يعمل النسوان تجارته . . يا خسارته . .
* العروسة ضفدعة . . والعريس له زوبعة . .
* إن كان الرجل بحر . . تكون المرأة جسر . .
* انت زي النسوان . . ما تحفظش سر . .
* بفلوسك . . بنت السلطان عروسك . .
* بنت الأكابر غالية . . ولو كانت جارية . .
* باتت جعانة . . وجوزها خباز . .
* باتت عطشانة . . وجوزها سقا . .
* باتت عريانة . . وجوزها خياط . .
* تتكحل بابرة . . وتتخطط بمسمار . .
* جوزوا بنت الشحات تغتني . . قالت : حسنة يا سيدي .
* عدوتي . . عملت مغسلتي . .
* موت المرأة . . تجديد عرس جوزها . .
* آدي احنا زي الجارية المليسة، لا ذهن طيب، ولا آنسة كويسة . .
* احذر من المرأة السليطة . . ولا تثق بالمرأة العاقلة . .
* أدب المرأة . . مذهبها موش ذهبها . .
* اديني الحرة النقية . . اللي تزودني وقية . .
* إذا اتخبوا نسوان المدن . . شوف ولادهم . .
* إذا استحلفوا لك الرجال، بات ناعس . . وإذا استحلفوا لك النساء . . بات صاحي . .
* الأصيلة . . تنام مع زوجها على الحصيرة . .
* أصيلة . . ورجعت للمربط . .
* أعوذ بالله من ٣ : عناد الرهبان . . وكيد النسوان . . وظلم السلطان . .
* ناموسة . . وعاملة جاموسة . .
* جم يخطبوها اتدللت . . راحوا وتركوها تذللت . .
* لو لبستها خيشة . . برضه عيشة . .

* خذ بنت الأصل ولو بارت.. تدور مع الأيام لو دارت..
* المرأة.. كالدنيا إذا اقبلت.. باض الحمام على الوتد.. وإذا ادبرت.. بال الحمار على الأسد..
* نسا بلا رجال.. مثل المية بالغربال..
* اللي ما عنده أم.. ينصب بين القبور خيمة..
* اللي يتجوز أمي.. أقول له يا عمي..
* «مين يشهد للعروسة»..
* لبس البومة.. تبقى عروسة..
* اللي يسمع كلام مراته.. تكتر نكباته..
* أيش تعمل الماشطة.. في الوش العكر..
* اللي ما يهمك.. وصى عليه جوز أمك..
* رجعت ريمة.. لعادتها القديمة..
* القرد في عين أمه.. غزال..
* اللي يقول لمراته يا عورة.. يلعبو بيها الناس الكورة..
* الشاطر تغزل برجل حمار..
* خدوا جوز الخرسة.. اتكلمت..
* فاتت ابنها يعيط.. وراحت تسكت ابن الجيران..
* جوزوا مشكاح لريمة.. والاثنين ما عليهم قيمة..
* مكسورة ما تاكلي.. صحيح ما تكسري.. وكلي يا مراة ابني لما تشبعي..
* في الحزن مدعية.. وفي الفرح منسية..
* جت الحزينة تفرح.. ما لقتلهاش مطرح..
* من طوبة لكركوبة.. يا قلب لا تحزن..
* عجوز وعورة.. وعاملة غندورة..
* زي أم العروسة.. فاضية ومشغولة..
* زي الأرنبة.. تولد ثمانية في بطن..
* تموت الغازية.. وكعبها يرقص..
* أصبري يا ستيت.. لما يخلالك البيت..
* اللي تعمله العامشة.. لجوزها يتعشى..

* في الأكل زي السوسة.. وفي العافية ممسوسة..
* أم الأخرس.. تعرف بلغاته..
* قالت يا بنتي خايفة عليكي من العيلة.. قالت يامي لساني معايا.. وأغلب..
* قرعة.. وتطلب الماشطة..
* القرعة تتباهى بشعر بنت اختها..
* بنت الغواصة.: غواصة..
* جيت اتاجر بالكتان.. ماتت النسوان..
* ست وجاريتين.. علي قلي بيضتين..
* فاتت عجينها بالمجور.. وراحت تضرب ع الطنبور..
* قالوا يا جحا مرات أبوك بتحبك.. قال يمكن اتجننت..
* قالوا للقردة اتبرقعي.. قالت داوش واخدع الفضيحة..
* يا ما جاب الغراب لأمه..
* يا مآمنة للرجال يا مآمنة للمية في الغربال..
* يا ابرة مصدية ع الكرم مرمية..
* كانت في جره.. وطلعت لبره..
* من همه.. خد قدامه..
* اديني حية.. لما اشوف اللي جاية..
* الأب عاشق.. والأم غيرانه.. والبنت حيرانه..
* ابن الكبة.. طلع القبة.. وابن اسم الله.. خدوا الله.
* هابلة.. ومسكوها طبلة..
* أبو البنات.. مرزوق..
* أبوك البصل.. وأمك الثوم.. ومنين لك الريحة الطيبة يا شوم..
* اتغندري.. وقولي مقدري..
* اتغربي.. واكدبي..
* اخته في الخمارة.. وعامل امارة..
* اخطب لبنتك.. قبل ما تخطب لابنك..
* ادلعي يا عوجة.. في السنة السودا..
* أخيط بسلاية، ولا المعلمة تقول هاتي كراية..

* اسألي . . على ما تفعلي . .
* اعشق غزال . . والا فضها . .
* أقل الرجال . . يغني النساء . .
* البس تعجب مراتك . . ولبس مراتك تعجب الناس . .
* ألف رفقية . . ولا لزيقة . .
* اللي تحبل بالليل . . تولد بالنهار . .
* اللي تحبل في الفرن . . تولد في الجرن . .
* اللي تخرج من دارها . . تقل مقدارها . .
* اللي في بال أم الخير . . تحل بيه بالليل . .
* اللي لها طرحة . . تخش بفرحة . .
* اللي ما تربيه أمه وأبوه . . تربيه الأيام والليالي . .
* اللي ما تعرفش ترقص . . تقول الأرض عوجة . .
* اللي ما تمسك بوصة . . تبقى بين الصبايا متعوسة . .
* اللي يجوز ستي . . أقول له يا سيدي . .
* اللي يختشي من بنت عمه . . ما يجبش منها عيال . .
* اللي يقول لمراته يا هانم . . يقابلوها على السلالم . .
* أم الأعمى . . أخبر برقاده . .
* الأم تعشش . . والأب يطفش . .
* أم بربور . . تجيب الشاب الغندور . .
* أم عبر . . جلابة الخبر . .
* أم القعود . . في البيت تعود . .
* أم قويق عملت شاعرة . . في السنين الواعرة . .
* أمه عياشة . . وعامل باشا . .
* ان دري جوزك بغيبتك . . كملي يومك وليلتك . .
* إن كان الراجل غول . . ما يكلش مراته . .
* إن كان لك مرة . . خشي، وإن كان لك راجل أخرجي . .
* إن كانت الميه تروب . . تبقي الفاجرة تتوب . .
* إن لقيتي بختك في حجر اختك . . خديه وأجري . .

* إيه يحرر النسا.. قال بُعد الرجال عنهم..
* بارك الله في المرة القريبة.. والزرعة القريبة..
* الجارية تيجي لغاية سيدها.. وتعمل حرة..
* في الشارع عروسة.. وفي البيت جاموسة..
* البايرة.. أولى ببيت أبوها..
* البحر.. غربال الخايبة..
* بدال خطوطك والحمرة.. أمسحي عماصك يا سمرة.
* البدرية.. علمت أمها الرعية..
* بره وردة.. وجوه قردة..
* بعد أمي واختي.. الكل جيراني..
* بعد سنة وست شهور.. جت المعددة تشخر..
* بعد ما كان سيدها.. بقي يطبل في عرسها..
* بلاش تاكلني فرخة سمينة.. وتبيتني حزينة..
* البنات بسبع أوشاش.. (وجوه)..
* البنات.. مربطهم خالي..
* بنت الحراثة.. تطلع دراسة..
* بنت الدار.. عورة..
* بنت السايغ.. اشتهت على أبوها مزنقة..
* بنت الفارة.. حفارة..
* بوس أيد حماتك.. ولا تبوس أيد مراتك..
* بيضة الفرخة مش لقية.. وجوز البنت مش خبية..
* تاخدي جوزي وتغيري.. ما تخيلي..
* تبقى عورة وبنت عبد.. ودخلتها ليلة الحد..
* تغور العورة.. بفدانها..
* تقعد تحت الحنية.. وتقول يا أمة مالوش نية..
* تموت الرقاصة.. ووسطها بيلعب..
* تيتي تيتي.. زي ما رحتي جيتي..
* جابو الخبر من أبو زعبل.. ان العجايز تحبل..

* جابو العمياء.. ترد الرمية..
* جارية تخدم جارية.. قال دي داهية عالية..
* نار جوزي.. ولا جنة أبويا..
* جوز الاتنين يا قادر يا فاجر..
* جوز القصيرة.. يحسبها صغيرة..
* جوزي ما حكمني.. دار عشيقي ورايا بالنبوت..
* جوزها بايديك.. وناديا تجيك..
* حاجة الست في الصندوق.. وحاجة الجارية في السوق.
* حافية وسابقة المداعي..
* حبلة ومرضعة.. وشايلة أربعة.. وطالعة للجبل تجيب دوا للحبل. وتقول يا قلة الذرية..
* حرة صبرت.. في بيتها عمرت..
* حماتي مناقرة.. قال: طلق بنتها..
* تحت البراقع.. سم ناقع..
* جوزتها تتاخر.. راحت وجابت دار آخر..
* حطت عجلها.. ومدت رجلها..
* خالتي عندكم.. ما جاتشي..
* خدتك عواز، خدتك لواز.. خدتك أكيد الوازل.. كيدت أنا روحي..
* خدي لك راجل بالليل غفير.. وبالنهار أجير..
* خنفسة شافت بنتها ع الحيط.. قالت: دي لولية في خيط.
* ربي يا خايبة.. لغايبة..
* الضرة ما تحب إلى المصيبة لضرتها.. وقطع جرتها..
* دموع الفواجر.. حواضر..
* زي الغازية.. ترقص لكل واحد شوية..
* الراجل وامرأته.. زي القبر وأفعاله..
* راح يخطبها له.. اتجوزها له..
* راكب بلاش.. ويناغش مرات الريس..
* رايحة فين يا هايلة.. رايحة أعدل المايلة..

* روحي يا ساحرة.. لا نايلك دنيا ولا آخرة..
* زاني.. ما يآمن على مراته..
* زي الإبرة.. تكسي كل الناس.. وهي عريانة..
* زي اللي رقصت على السلالم.. لا اللي فوق شافوها.. ولا اللي تحت شافوها..
* زي الحرمة المفارقة.. لاهية مطلقة ولا معلقة..
* زي الفرخة الدوارة.. كل ساعة في بيت..
* زي فوط الحمام.. كل ساعة في وسط راجل..
* زي القطط.. يأكلوا وينكروا..
* الست ما منهاش.. جالها البرد ما خلهاش..
* الشاطرة تقضي حاجتها.. والخايبة تنده جارتها..
* الشاطرة تقول للفرن.. قد من غير وقيد.. شامتة.. ومعزية..
* طول ما الولادة بتولد.. ما على الدنيا شاطر..
* عايبة بتعلم خايبة.. قال جات الاتنين نايبة..
* عدوتي.. وعملت مغسلتي..
* العروسة في صندفة.. واهل المحلة.. متحففة..
* عشيقك ما تخديه.. وطليقك ما ترديه..
* العقل زينة.. لكل رزينة..
* على ما تتكحل العمشة.. يكون السوق خرب..
* عمر النسا.. ما تربي عجل ويحرث..
* عامشة.. وعاملة مكحلة..
* عامية تحفف مجنونة.. وتقول حواجب مقرونة..
* عامية وعرجة.. وكيعانها خارجة..
* الفاجرة.. والحرة عاديها..
* قال يا مرة مال مناخيرك بتشر.. قالت من الشتا، قلت اعرفك في الصيف..
* قالوا يا مرة انت سمينة وعورة.. قالت قيم ده جنب ده..
* قبل ما تحبل حضرت الكمون.. وقبل ما تولد سمته مأمون..
* القديمة تحلي.. ولو كانت وحلة..

* قربة بمشطين. . وعورة بمكحلتين. .
* قعاد الخزانة. . ولا الجوازة الندامة. .
* قاعدة على قاعدة. . راح النهار يا سعدة. .
* لا تأمن للمرة إن صلت. . ولا للخيل إن طلت. . ولا للشمس إن ولت.
* لبس الخشبة. تبقى عجبة. .
* لما أنت ست وأنا ست. . مين فينا يكب الطشت. .
* كيد النسا. . غلب كيد الرجال. .
* لو كان الحب بالخاطر. . كنت حبيت بنت السلطان. .
* لولا جارتي. . لانفقعت مرارتي. .
* لولا النقر والنشارة. . كانت النسوان اتعلمت النجارة. .
* ما اسخم من ستي. . إلا سيدي. .
* ما زاد عليكي يا مرة. . إلا المجرجر من ورا. .
* ما ناقص على ستي. . إلا طرطور سيدي. .
* مال طاقيتك مدورة. . قال من تدبيرك يا مرة. .
* مجنونة. . وادوها طار. .
* متجوزة عدس. . عازبة عدس. .
* مرات الأب. . سخطة من الرب. .
* مراتك ما تزورهاش. . في البلد اللي ما تعرفهاش. .
* مركب الضراير سارت. . ومركب السلايف حارت. .
* الزوج رأس امرأته. . والزوجة مفتاح زوجها. .
* المرة المفرطة. . عليها قطة مسلطة. .
* المعددة تعدد. . وكل حزينة تبكي بكاها. .
* مكسحة. . وتقول للصايغ تقل الخلخال. .
* من أعطى سره لمراته. . يا طول عذابه وشتاته. .
* من يومك يا خالة. . وانت على دي الحالة. .
* النسا مقصل أعوج. . قال لولاه أعوج ما كانش يضم. .
* وفري نفسك يا حماتي. . مالي إلا مراتي. .
* العروسة للعريس. . والجري للمتاعيس. .

* يا داخل بلا مشورة . . إن ما مسخرك الراجل تمسخرك المرة . .
* يا فرحانة بالهدية . . يا كل ملهية . .
* يا واخد جوز المرة . . يا مسخرة . .
* شورة الست . . ان صابت فبخراب سنة . .

* * *

المحتويات

تمهيد ٥
مقدمة ٩
النساء الحاكمات في العالم ١١

(السيدة الرئيسة)

● من كليوبترا في مصر إلى شامورو
في نيكاراغوا ١٩
كليوباترا ٢١
زنوبيا ٢٣
بلقيس ٢٤
سميراميس ٢٤
شجرة الدر ٢٥
ليفيا دروسيلا ٢٧
أغربينا الصغرى ٢٧
ماتيلدا ٢٧
مرغريت دانجو ٢٨
إيرابيلا ٢٩
كاترين داراغون ٢٩
كاترين مديتشي ٣٠
ماري الأولى ٣٠
اليزابيت الأولى ٣١
ماري ستيوارت ٣١
كريستينا ٣٢
ماري تيريزا ٣٣
كاترين العظيمة ٣٥
ماري أنطوانيت ٣٥
جوزفين ٣٦
فيكتوريا ٣٧
اليزابيت الثانية ٣٧
تزوهسي ٣٨
سيريمافو باندرانايكه ٣٩
أنديرا غاندي ٤٢
غولدا مائير ٤٥
إيزابيل بيرون ٤٧
مارغريت تاتشر ٥٠
فيغديس فينبو غادوتير ٦١
أليزابيث كوب ٦٢
بنازير بوتو ٦٨
كورازون أكينو ٧٦
فيوليتا دي شامورو ٨٠
مارغريت الثانية ٨٤
بياتريس ٨٤
أسرار الملكات ٨٥

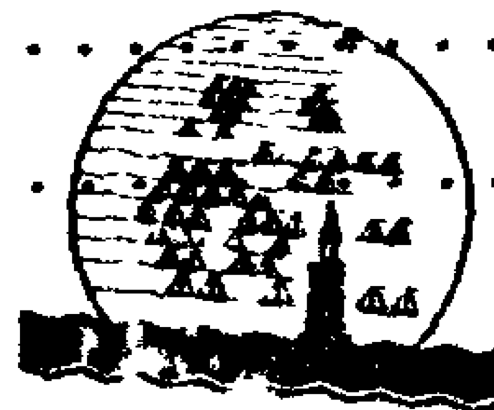
(السيدة الجاسوسة)

● نساء جاسوسيات ٨٧
المقدمة ٨٩
ايما روكين ٩٠
غريتا غاربو ٩٠
آمي ثورب ٩١
ماتا هاري ٩٣
مارغريت داندريان ٩٤
ريتا ايليوت ٩٥
لويز كوربالللي ٩٩
ايلين جنكيز ١٠٠
ايلكا فالك ١٠٥
ليونور هانيز ١٠٦
ليديا كوزازوفا ١٠٧
مدام مارتا ١٠٧
كيمي شميدت ١٠٨
أنجلا ماريا رينالدي ١٠٩
جرمين ١١٢
ماريا كنوت ١١٥
ماريان ١١٦
ليلي بيتال ١١٩
أورسل لورنتس ١٢٦
فيكتورين نينو ١٢٧
حايد زايد نبرغ ١٢٨
ڤيرا دوكس ١٣٠
كريستين كيلر ١٣١
باندا ماكلويد ١٣٥

كارمن ماري موري ١٣٧
سيبيل ديلكور ١٣٩
نيلي كاب ١٤٠
كرزوثر هلكر ١٤٠
جوتردبل ١٤٠
فلور ١٤١
أسمهان ١٤٢
تانيار أديونسكا ١٤٢
باميلا ١٤٣
انشراح موسى ١٤٤
جودي كويلن ١٤٥
كلير جوردن ١٤٨
ماري ليبك ١٥٠
أمينة المفتي ١٥١
غريتا نلسون ١٥٣

● عالم النساء: العجائب والعادات التقاليد والأمثال

مقدمة ١٦١
كيف خلقت المرأة ١٦٢
أوليات نسائية ١٦٤
عجائب نسائية ١٦٥
عادات وتقاليد نساء العالم ١٦٩
هكذا كانت مهورهن ١٧١
الأحسن والأغرب في النساء ١٧٢
الأمثال العالمية في المرأة ١٧٣



السيدة الرئيسة...

* كليوبترا * بلقيس * سميراميس * زنوبيا * شجرة الدر * ليفيادروسيلا * مرغريت دانجو * إيزابيلا * كاترين دراغون * كاترين مديتشي * ماري الأولى * اليزابيث الأولى * ماري ستيوارت * كريستينا * ماري تيريزا * كاترين العظيمة * ماري انطوانيت * ماتيلدا جوزفين * فيكتوريا * اليزابيث الثانية * تزوهسي * سيريمافو باندرانايكه * انديرا غاندي غولدا ماير * إيزابيل بيرون * مارغريت تاتشر * فيغديس فينبوغادوتير * اليزابيث كوب بنازير بوتو * كورازون اكينو * فيوليتادي شامورو * مارغريت الثانية * بياتريس.

السيدة الجاسوسة

* إيما روكين * غريتا غاربو * آمي ثورب * ماتا هاري * مارجريت داندريان * ريتا ايليوت لويز كوربالي * إيلين جنكيز * ايلكا فالك * ليونور هانيز * ليديا كوزازوفا * مدام مارتا * كيمي شميدت * أنجلا رينالدي * جرمين * ماريا كنوت * ماريان * ليلى بيتال * أورسل لورنتس * فيكتورين نينو * حايد زايد نبرغ * ڤيرا دوكس * كريستين كيلر * باندا ماكلويد * كارمن ماري موري * سيبيل ديلكور * نيلي كاب * كروثر هلكر * جو ترديل * فلور أسمهان * باميلا * انشراح موسى * جودي كوبلن * كلير جوردن * ماري ليبك * أمينة المفتي * غريتا نلسون

قرش جنيه
١٢/٠٠

دار
الحسام
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان